الفصل الثاني:
وسائل العولمة وأدواتها

وفيه مباحث:

المبحث الأول:
الأدوات الاقتصادية

المطلب الأول:
الشركات الدولية المتعددة الجنسية
"Multinational Corporation Or International Corporation"

obeikandl.com

توطئـــة:

تزامن هذا الاسم في بداية ظهوره مع صناعة النفط في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فيما عرف باسم الأخوات أو الشقيقات السبع " Sevin Sisters" التي سيطرت على إنتاج وتوزيع النفط وتسويقه في بلد المنشأ والعالم بأسره.

إن هذه الشركات كانت تسيطر على كل المناطق الرئيسية المنتجة للبترول حيث تتقاسم أسواق العالم فيما بينها، وتشترك في ملكية خطوط الأنابيب وناقلات البترول في جميع أنحاء العالم وتتحكم في أسعار البترول وتبقيه مرتفعاً كما تشاء بصورة مصطنعة(١).

ومع مرور الأيام والسنين اتسع مجال أعمال هذه الشركات ليشمل صناعة الأجهزة الإلكترونية الدقيقة وغيرها كما ازدادت البقع الجغرافية التي تزاول فيها أعمالها مما يجعلها أقوى توسعة في وقتنا الحاضر فما عادت تسيطر على الاقتصاد الكوني وحده بل على السياسة والثقافة (٢).

تعريف الشركات الدولية المتعددة الجنسية:

إذن فما هي الشركات المتعددة الجنسية؟

" إنها شركات ضخمة تزاول نشاطها في عدة دول وفي كل دولة تمنحها هذه الدول فيما يختص بإنتاجها أو الخدمات التي تحتاج إليها أو كليهما معاً، ولا تستطيع أن تحظى بهذه التسهيلات إذا ظلت محتفظة بجنسيتها الأصلية كما أن مقارها الرئيسية تقع في الدول الصناعية، أمريكا، أوروبا واليابان بشكل أساسي ".

ومن خلال هذا التعريف يمكن تحديد سماتها العامة بالنقاط التالية: -

- كبر حجم هذه الشركات.

---

(١) أحمد بلوافي الاستعمار الجديد - عن مجلة السنة - العدد (٧٤) ذو الحجة ١٤١٨هـ عن تقرير لجنة التجارة الفيدرالية الأمريكية عام ١٩٤٩م / وانظر عبد الحي زلوم نذر العولمة، - دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ / ٢٠٠٠ ص ٣٣٥، ص ٣٣٦

(٢) أحمد بلوافي الاستعمار الجديد نفس المرجع ص٢١، وانظر عن كمال الحيالي - في مجلة النور العدد (١٠٩) صفحة ٣٩ وانظر روبرت د. كاتتور السياسة الدولية المعاصرة ترجمة د. أحمد ظاهر، مركز المكتب الأردني ١٩٨٩م ص ١٨٣.

- توزيع عملياتها على عديد من البلدان قد تصل إلى أكثر من ٢٠ دولة. وتحاول الاستفادة من أي ميزة نسبية في أي دولة دون أفضلية لبلد المقر القانوني.

- مقارها الرئيسية تقع في البلدان الصناعية الكبرى.

وقد ذكر تقرير صادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (انكتار) عام ١٩٩٦م أن غالبية الاستثمارات الأجنبية المباشرة تمر عبر الشركات المتعددة الجنسيات التي توظف أكثر من (٢٧٠٠) مليار دولار خارج حدود الدولة التي تتخذها مقراً لها.

وقد أحصى التقرير حول الاستثمارات الأجنبية ٣٩ ألف شركة عالمية تشرف (٢٧٠) ألف فرع، وتستحوذ أكبر مائة شركة لوحدها على ثلث الاستثمارات الخارجية المباشرة، ويقع مقر كل هذه الشركات في الدول الصناعية، وللولايات المتحدة نصيب الأسد، إذ أن ثلث أكبر مائة شركة عالمية هي أمريكية [١].

هذا وتعتمد هذه الشركات في نشاطها وفعاليتها على مرتكزات أساسية وهي [٢]:

١- التكنولوجيا المتطورة.

٢- القدرة المالية الهائلة.

٣- القدرات التنظيمية التي تتيح لهذه الشركات أن تتجاذب مع القدرة على التطوير

---

(١) د. أحمد بلوافي: الاستعمار الجديد، عن مجلة السنة العدد (٧٤) ص٢١، ووكالة الصحافة الرئيسية (AFP) ١٩٩٦/٩/٢٦م، وانظر عبد الحق زلوم نذر العولمة ص ٣٣٦.

(٢) انظر د. ماجد شدود: العولمة مفهومها، مظاهرها، سبل التعامل معها - ص١٠٩ وما بعدها، وانظر عبد الحي زلوم: نذر العولمة ص٣٣٦. وقد ذكر في كتابه هذا أن أضخم مائة اقتصاد في العالم ٥٠٪ منها تمثله في شركات والباقي دول. وإن شركة متعولمة واحدة لديها دخل ومبيعات سنوية تفوق مجموع إجمالي الناتج القومي لتسع دول يبلغ تعداد سكانها ٥٥٠ مليون نسمة أي ما يعادل ١٠٪ من تعداد سكان العالم ويضيف عبد الحي زلوم: " أن هذه الشركات ذات النفوذ الهائل، والمؤسسات المالية التي تدور معها في المدار نفسه قد أوجدت نظاماً تستطيع من خلاله تغيير التشريعات لتتلاءم مع مصالحها حتى ولو اقتضت تلك الإجراءات تفكيك وإلغاء أو تقليص الخدمات الاجتماعية مثل العلاج الطبي Medicare، والمساعدات الطبية Medicaid والمنافع الاجتماعية الأخرى ".
وقد بلغ إجمالي مبيعات أكبر خمس شركات خدماتية متنوعة عام ١٩٩٧م ما يعادل تقريباً حجم الاقتصاد الروسي بكامله، والكلام لا يزال لزلوم وإذا كانت سيئة النظام السوفيتي كونه أوتوقراطياً وغير ديمقراطي فإن طبيعة الشركات المتعددة الجنسية أوتقراطية كذلك.
انظر: المرجع نفسه ص ٣٣٦، ٣٣٧ وما بعدهما.

المستمر، ونشر الابتكارات بطريقة فعالة على مستوى العالم.

إضافة إلى ما سبق فإنها تعنى بانتقاء كوادرها على أساس الكفاءة والأداء بغض النظر عن جنسيتهم وتحصل على تمويل محلي من كل بلد يمتد إليه نشاطها الذي قد يكون فرعاً أو شركة مملوكة بالكامل أو شركة مساهمة، وتقوم ببيع أسهمها لمواطنيه، وتقترض من الدولة أو من الجمهور على شكل سندات، كما تجتذب مدخرات كبيرة من دول أخرى غير البنوك وأسواق المال وفي أحيان كثيرة تقتصر مبيعات الشركة في بلد المقر الرسمي على نسبة ضئيلة من إجمالي المبيعات [1].

سمات الشركات المتعددة الجنسية:

إن من أهم أو سمات هذه الشركات (المتعدية الجنسية وليست متعددة الجنسية) أنها تتعدى الجنسيات والحدود القومية للدولة ذات السيادة، فضخامة حجمها لا يقاس بمقدار رأس المال أو برقم العمالة حيث أنها قد رفعت إنتاجها إلى مستويات غير مسبوقة ولا يصلح حجم الإنتاج فيها أن يكون مقياساً بسبب التنوع الشديد في المنتجات التي أهم مقياس لهم رقم المبيعات.

إن قيمة المبيعات السنوية لإحدى هذه الشركات تتجاوز الناتج المحلي الإجمالي لعدد من الدول متوسطة الحجم، وهي قادرة على الحد من سيادة الدول، فهي تستطيع قفل فرعها من دولة إلى أخرى بحيث تؤثر على الدولة وتشكل رادعاً للدولة المضيفة، وتمثل هذه الشركات فوق القومية كالمصارف الكبرى وشركات التأمين وبيوت المال دور الشرطي الذي يوافي التزام الدولة المضيفة للاستثمارات والتوظيفات في بلدان أخرى مما يؤدي إلى انخفاض أسعار العملات والأسهم والسندات في الدولة المضيفة[2].

إن الشركات متعددة الجنسيات تحل في دول العالم الثالث محل الدولة القومية تدريجياً وبالأسلوب نفسه الذي حلت فيه الدولة القومية محل الدولة الإقطاعية قبل خمسة

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) انظر رعد كمال الحيالي - العولمة خيرات المواجهة مجلة النور اليمنية العدد (١٠١) جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ - صـ٣٩. وانظر مها ذياب تهديدات العولمة للوطن العربي والمستقبل العربي (٢٧٦) /٢/٢٠٠٢م صـ١٥٥.

قرون إذ تسعى هذه الشركات إلى تحطيم الولاءات القديمة لهذه الدول الفقيرة كالولاءات للوطن أو الأمة واستبدالها بولاءات جديدة قبل الشرق أوسطية أو الأفرو آسيوية أو البحر متوسطية وغير ذلك من المسميات التي تبعد هذه الدول لا سيما العرفية منها والإسلامية عن الولاء لبعضها البعض ويتم ذلك بمساعدة المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وأجهزته المختلفة في الدول الكبرى والهيئات المانحة للجوائز الدولية. إن العالم في نظر هذه المؤسسات لعبة كبيرة من ألعاب الكمبيوتر الذي عندهم لا يضيع أمواله في عمليات إنتاج حقيقية، بل يعمل على مضاعفة أسواقه من خلال المضاربات في سوق الأفراد والأسهم والحصول على أرباح طائلة من خلال التغيرات في أسعار الأسهم والعملات [1].

إن الحقيقة التي لا ينبغي أن يجهلها أحد هي أن هذه الشركات حينما تستثمر أموالها في بلدان العالم الثالث ومنها بلاد المسلمين، إنما هي في الحقيقة تمتص أموال هذه البلدان ومواردها وخيراتها وهي تمثل أهم مظاهر عولمة الاقتصاد.

وثمة نقاط توضح هذه المظاهرة منها [2]:

١- تكريس الاحتلال الاقتصادي للبلدان المختلفة عن طريق الاستثمار.

٢- استفادة المستثمرين من المواقع الجغرافية التي تمنحها لهم الدول المختلفة.

٣- تعزيز قدرة الشركات العابرة للقارات على المنافسة عن طريق اختصار بعض الأنشطة.

٤- الضغط على العاملين في القطاع الاقتصادي والاجتماعي من أجل إحداث التكييف والموائمة مع نظام هذه الشركات.

٥- إن خصصة المشاريع الحكومية وبيعها للقطاع الخاص الوطني أو الوافد سيؤدي حتماً إلى مزيد من العاطلين وتفشي سوء البطالة التي تنمو بمعدلات تفوق معدلات نمو الناتج المحلي.

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) د. المقدادي: العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ص ٩٥ - ٩٨، مرجع سابق، ود. عبد الحي زلوم: نذر العولمة، ص ٣٣٨.

٦- إن مشاركة هذه الشركات باسم المستثمرين يعني سيطرة هذه الشركات الوافدة على مشروعات البلد المضيف مالياً وإدارياً وتسويقياً، مما يجعل هذه الشركات تتحكم في كمية المدخلات التكنولوجية ونوعيتها.

٧- وتفضل هذه الشركات امتلاك الشركات المحلية تخفيض كلفة الاستثمارات وشروط أفضل للمنافسة في الأسواق الاستهلاكية.

٨- تحاول هذه الشركات غاية جهدها أن تمنع استعمال تقنياتها في الدول النامية وتحتكر معرفتها وتقنياتها حتى لا يلحق بها ضرراً أو يجر نفعاً لسواها.

٩- تعمل هذه الشركات على تحجيم رأس المال الوطني.

وهذه نبذة من الإحصاءات التي توضح مدى خطورة تمركزها الرأسمالي [1] أوردتها مجلة Mutinational Monitor pod ١٩٩٦ كحقائق نقلاً عن أنتوني سيمون في كتاب الشقيقات السبع " Seven Sisters" وذلك في منتصف السبعينات تقريباً، تشير هذه الحقائق إلى مدى نشاط هذه الشركات وهي لا تزال آخذة في التوسع والازدياد يوماً بعد يوم كما يشير إلى ذلك الدكتور أحمد بلوافي فيما سماه الاستعمار الجديد في عام ١٩٨٠م:

- إن إيرادات أكبر خمسمائة شركة في العالم عام ١٩٩٤م نحو (١٠) تريليون، (٢٥٤) مليار دولار أي ما يقارب نصف الناتج المحلي لإجمالي دول العالم لسنة ١٩٩٣م.

إن مبيعات أكبر ٢٠٠ شركة تجاوزت مداخيل اقتصاديات (١٨٢) دولة ما عدا أكبر (٩) دول فقد وصل دخل (١٨٢) دولة إلى مستوى (٦. ٩) تريليون دولار، بينما وصلت مبيعات أكبر (٢٠٠) شركة إلى (٧.١) تريليون دولار.

- إن حجم المبيعات لأكبر ثلاث شركات متعددة الجنسيات (إكسون - شل - موبيل)

---

(١) د. محمد المحزون العولمة بين منظورين - من مجلة البيان (١٤٥) صـ١٢٣، وانظر يسري مصطفى العولمة والدولة الوطنية والهوية من الشاهد العدد (١٩٦)/ ديسمبر ٢٠٠١م / صـ٧٣، وانظر محمد الأطرش العرب والعولمة ما العمل عن ورقة قدمت في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن العرب والعولمة صـ٤١٣.

عام ١٩٨٠م فإن حجم الإنتاج الوطني الإجمالي لكل دول العالم الثالث عدا سبع دول (الصين - البرازيل - الهند - المكسيك - نيجيريا - الأرجنتين - أندونوسيا).

- في عام(١٩٩٦م)تعدى حجم المبيعات السنوية لأكبر(٢٠) شركة(٦٧) مليار دولار.

١. وتجاوز مجموع مبيعات أكبر ٢٠٠ شركة ربع نشاط الاقتصاد العالمي، ولا زالت حصتها في الاقتصاد العالمي آخذة في الازدياد.

والدليل على ذلك أنه في عام ١٩٨٢م مبيعات الـ ٢٠٠ شركة هذه شكلت نسبة قدرت بـ (٢٤.٢٪) من الإنتاج العالمي (GDP)، وفي عام ١٩٩٦م وصلت هذه النسبة إلى (٢٨.٣٪) وأن ما تنتجه هذه الشركات يغطي احتياجات ما يقارب ثلث سكان العالم.

وفي عام ١٩٩٦م ضمت قائمة أكبر مائة اقتصاديات في العالم ٥١ شركة متعددة الجنسية و٤٩ دولة فقط.

وفي نفس العام تعدى حجم المبيعات السنوية لأكبر ٥١ شركة ٣٦ مليار دولار.

وعلى الرغم من كبر هذه الشركات فإن مجموع ما تشغله أكبر ٢٠٠ شركة وصل إلى مستوى ١٨.٨ مليون عام.. وهذا لا يمثل سوى (٠.٠٠٧٢٪) من مجموع القوى العاملة على المستوى العالمي التي بلغ تعدادها عام ١٩٩٦م ٢.٦ مليار عامل كما أن هذا العدد الذي توظفه هذه الشركات لا يمثل سوى نسبة لا تتجاوز (٠.٠٠٣٤٪) من مجموع سكان العالم الذين يزيد عددهم عن ٥.٦ مليار شخص من خلال هذه الإحصاءات تتبين لنا مدى حجم هذه الشركات التي أصبحت تشكل عالماً مستقلاً بذاته على مسرح الأحداث العالمية الاقتصادية منها والسياسية الدور الذي تقوم به هذه الشركات [١].

يرى صاحب كتاب الشقيقات السبع المشار إليه سابقاً أن أهداف هذه الشركات لم تعد تتمحور في الناحية الاقتصادية وتحقيق مزيد من الأرباح وتقديم بعض المنافع مثل التطور التكنولوجي والإدارة الجيدة والناجحة، ومن ثم المساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية للبلد المضيف، لا بل تجاوز مجال عملها هذه الأهداف الضيقة ليتسع إلى

(١، ٢) عن مجلة السنة العدد ٧٤ ص٢٤، وانظر ماجد شدود - العولمة ومفهومها - ص١٢٣، وانظر د. عبد الحي زلوم - نذر العولمة - ص٣٣١. وانظر محمد مقدادي العولمة صـ٢٩٣.

العمل على التأثير في القرارات السياسية أو ثقافة الناس، وطرائق عملهم، مما حدا ببعض المهتمين بظاهرة هذه الشركات أن يسميها الاستعمار الجديد [١].

أما بالنسبة لكل شركة على حدة: -

- فليب مورس: التي احتلت المركز (٦٩) تجاوز حجم مبيعاتها حجم اقتصاد نيوزلندا، ولها فروع في (١٧٠) دولة [٢].

- وول مارت: احتلت المركز (٤٢) تجاوز حجم مبيعاتها أكبر من مداخيل (١٦١) دولة بما فيها دولة اليهود، وبولندا، واليونان.

- متسوبيشي: احتلت المركز(٢٢)تجاوز حجم نشاطاتها الاقتصادية حجم النشاط الاقتصادي لأندونوسيا التي تحتل المركز الرابع على مستوى العالم من حيث تعداد السكان.

- جنرال موتورز: احتلت المركز (٣١) اقتصادياتها أكبر من اقتصاديات جنوب أفريقيا.

- تويوتا: احتلت المركز (٣٦) اقتصادياتها أكبر من اقتصاديات النرويج.

ولقد أطلق على هذه الشركات اسم الاستعمار الجديد، وكثيراً ما كانت وما زالت تتدخل في الشؤون الدبلوماسية العالمية خاصة في عقود الخمسينات والستينات والسبعينات، بل إن شركة النفط " شل " هي الحكومة الفعلية في نيجيريا [٣].

ويقول (بيير أوجين) رئيس منظمة الشفافية العالمية التي تهتم بمراقبة الفساد المالي والإداري على المستوى العالمي: -

" إن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في العالم الثالث هي من صنع الشركات المتعددة الجنسيات التي تتركز مقارها في الدول الصناعية وتعمل على تقديم رشاوي كبيرة لمسئولي الدول المختلفة من أجل الفوز بالصفقات " [٤].

---

(٢) د. أحمد بلوافي الاستعمار الجديد المرجع السابق صـ١٢، ١٣.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٣.
(٤) عن أحمد بالوافي - الاستعمار الجديد - ص٢٧ - ٢٩ نقلاً عن مجلة ملتسيونا (مونتر). وانظر د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد صـ٩٥، ٩٦ مرجع سابق.

لقد اتخذت هذه الشركات شكل الشركات المساهمة منذ القرن التاسع عشر لتلعب دوراً رئيساً في مضمار عولمة النشاط الإنتاجي، فخلال الفترة من١٨٢٠ - ١٨٧٠م وصل متوسط معدل النمو التجاري الدولي سنوياً إلى ٥.٥٪ في حين بلغ في القوة (١٨٧٠ - ١٩١٣م) معدلاً سنوياً لنسبة (٣.٥ - ٤)٪ ويرجع ذلك لنقطة التحول الأولى للرأسمالية الصناعية حيث انتقلت الثورة الصناعية إلى كلٌ من فرنسا وألمانيا وبلجيكا والولايات المتحدة وأصبح توسعها مقيداً بتوافر المواد الأولية الرخيصة، والسلع الغذائية اللازمة للتوسع في العمالة الصناعية من ناحية وتوافر الأسواق لمنتجاتها من ناحية أخرى(١)

وبناءً على ذلك تم إدماج الدول المختلفة في السوق الرأسمالي لتستغل أبشع استغلال ولتصدير المواد الأولية (المواد الخام) منها إلى المراكز الصناعية، وتم نشوء نمط تقسيم العمل الدولي، ولم يكن أبداً ليكتب لهذه العولمة الإنتاجية النجاح إلا بمساندة العولمة السياسية والثقافية على محل القرار السياسي في هذه الدول وفي اختياراتها الاستهلاكية، وهكذا تم بدء عولمة الأنشطة المالية جراء التطورات التقنية المهمة ولعل أهمها الخط التلغرافي بين لندن ونيويورك ودوره في اندماج أسواق المال فيها، ثم تراجعت آليات العولمة لفترة غير بسيطة ومع نهاية الستينات وأوائل السبعينات بدأت تستعيد عافيتها كما يزعمون ونشطت أكثر فأكثر في ظل ثورة صناعية جديدة المعروفة بثورة المعلومات والاتصالات وتقنياتها وتلعب الدور الرئيسي في ذلك الشركات المتعددة الجنسيات وبلغت ذروتها في التسعينات حتى أصبح الإعلام العولمي في ظلها قادراً على التأثير في توجيهات وقرارات الأفراد الاستهلاكية، ومن ثم اختيارهم لأسلوب الحياة وأصبحت في هذه الفترة غير الدول النامية دولة تلو الأخرى تخضع لشروط العولمة تحت مسميات عدة(٢).

وتعتبر الشركات متعددة القومية إحدى آليات العولمة الاقتصادية التي تؤثر في تنمية ونمو الاقتصاد الحقيقية، وهي الأداة المسؤولة عن الاستثمار الأجنبي المباشر والذي لا

(١، ٢) عمر محيي الدين في تعقيبه على ورقة السيد ياسين، في مفهوم العولمة في الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن العرب والعولمة صـ٣٥، بتصرف مرجع سابق.
(٢) انظر بول هيرست جراهام طوبيسوف ما العولمة ترجمة د. فالح عبد الجبار. سلسلة عالم المعرفة (٢٧٣) جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ، ص ١٠٢، ص ١٠٣.

يتوزع بنسب عادلة، بل يتركز بدرجة كثيفة في الدول الصناعية المتقدمة وفي عدد ضئيل من الاقتصاديات صناعية النامية نمواً سريعاً وتبدو الفوارق القومية هائلة ومهمة في جذب شتى المواضع للاستثمار ونشاط الأعمال الأخرى[1] وتبعاً لذلك تتباين البلدان تبايناً ملحوظاً في قدرة اقتصاداتها على تحقيق مزايا الاستثمار الأجنبي المباشر للشركات متعددة الجنسيات وثمة اعتقاد غالب يعتبر أن المهمة التي من أجلها تجوب هذه الشركات الكون هي ثلاث نقاط تتلخص في البحث عن: -

١- مواضع إنتاج رخيصة.

٢- أيدي عاملة ذات مهارة وكفاءة عالية.

٣- تخفيض أكبر قدر من الأرباح وأضمنها عند النجاح في المنافسة، صورة ملخصة عن حجم ومدى تأثير هذه الشركات وموقعها على المستوى العالمي[2].

دور هذه الشركات:

يقول أنتوني سميون عن وضع الشقيقات السبع: " هذه المجموعة من الشركات كانت بزعامة شركتين عملاقتين هما (أسكوة، وشل) كانتا على مدى الستين سنة الماضية النموذجية الأصليين للشركة الدولية المعقدة، لقد كان تنافس هذه الشركات عبر القارات جزءاً متتابعاً وطويل المدى من مسرحية التاريخ الحديث، من حيث تمويل أمم بأكملها، وتزويد الحروب بالوقود، وتطوير الصحاري وكانت طموحاتها التجارية محفوفة بالنتائج الدبلوماسية: الثورات في العراق والحركة الاقتصادية في إسكتلندا - الحرب الأهلية في نيجيريا - وبدت في كثير من الأحيان أشبه بحكومات خاصة تنازلت لها لدول قريبة عمداً عن جزء من دبلوماسيتها، وظهرت أحياناً كأنها تمثلت بـ"أطلس" نفسه وهي تحمل العالم على كتفها وداخل مراكزها الرئيسية المشتركة التي شهدت حروباً وأزمات كثيرة تجيء وتذهب، كأن من الصعب أن يصدق المرء أن ظاهرة الأوبيك الجديدة لا تتعدى أن تكون نكسة مؤقتة أخرى في سيرة النصر الطويلة لشركات البترول، والسبب في ذلك أنها كانت تمثل أكثر بكثير من نفسها، لقد كانت جزءاً رئيسياً

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) عن د. أحمد بلوافي - عن مجلة السنة العد ٧٤ ص٢٥.

من مجمل النظام الاقتصادي في الغرب"[١].

بل إن الهدف الاستراتيجي[٢] لهذه الشركات هو خدمة الدبلوماسية الغربية وإن عمليات البترول الأمريكية ما هي إلا أدوات يسيرها المسؤولون عن السياسية الخارجية الأمريكية في هذه البلدان [٣].

إن مسئولي هذه الشركات كما يصرح أحد مدرائها قائلاً: - "لقد نشأوا في (أكسون) كشركة محلية في بنسلفانيا ولكننا انغمسنا في السياسة طول حياتنا، مع أننا بدأنا عملنا كتجار ومستوردين للبترول إلى بلادنا". أي أن هذه الشركات لم يقتصر عملها محلياً بل جابت الأرض طولاً وعرضاً، ومن هنا فقد تدخلت من أجل مصالحها في السياسات والاقتصاد للبلدان التي كانت تعمل فيها ولم يقتصر تدخلها على الناحية الاقتصادية والربح بل تعدى ذلك إلى النواحي الدبلوماسية والمهام السياسية كما هو الحاصل في تاريخ شركة شل حيث كان لها وجود في كل من بريطانيا وهولندا وأمريكا وأوروبا وغيرها من البلدان لدرجة أن مسؤوليها ومدراءها لم يكن يفوتهم أي حدث يجري في جزء ما من العالم، ولأنه يؤثر حقيقة وليس خيالاً في مصالحهم [٤].

ولم يكن هذا الدور ليقف عند هذا الحد بل إنه تعداه إلى الأنظمة الحاكمة في الدول التي تعمل بها. فنظرة إلى الوراء قليلاً وبالتحديد إلى عهد الخمسينات والستينات والسبعينات يلحظ المستقرئ للتاريخ كيف أنها حفلت بكثير من الحوادث التي لم تكن هذه الشركات في غفلة منها، بل لقد كان لها الدور الكبير والمؤثر في كبريات تلك الأحداث، ففي أحداث ١٩٧٢م في الشيلي أدّى تدخل شركة (I T T) إلى سقوط نظام سلفادور ألندي ذي التوجهات الماركسية.

واستطاعت شركة برتش بتروليوم (BP) أن تسقط حكومة مصدق في إيران الذي أمم مصافي النفط وآباره.

وفي الستينيات تدخلت شركة أكسون وغيرها في أحداث دول أمريكا اللاتينية وفي

---

(١) عن د. أحمد بلوافي - عن مجلة السنة العد ٧٤ ص٢٥.
(٢) المرجع السابق ص ٢٧.
(٣) المرجع السابق ص ٢٥ عن تقرير المعرفة وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٥٣م.
(٤) المرجع السابق ص ١٦عن الشقيقات السبع.

العقد الأخير للقرن العشرين، هذه الشركات تدخلت في صميم سياسات الحكومات التابعة لها ممثلاً: -

في عام ١٩٩٥م أعدمت الحكومة العسكرية في نيجيريا تسعة معارضين منهم الكابت كن (Ken) سي اديوا بسبب انتقاده لشركة شل لأنها تحقق أرباحاً طائلة من إنتاجها البترول في منطقة يسكن بها شعب (أوجوني) في حين تتعرض حياة ٥٠٠ ألف شخص للخطر من جراء التلوث.

وما ذلك إلا لعلاقة شل الوثيقة بالحكومة العسكرية بسبب النفط الذي يشكل ١٤٪ من مجموع إنتاجها على المستوى العالمي.

وكان أقوى تعليق بل تصريح هو الذي صرحت به مجلة ملتنا شيونال مونتر في ديسمبر ١٩٩٥م حينما صرح أحد الكتاب قائلاً: "إن النفط هو السلعة الأساسية والهامة الوحيدة في نيجيريا وشل هي العمود الفقري (لسوق هذا النفط)" [١].

ثم ذكر بالأرقام الكمية الهائلة من النفط التي تسربت في كذا كذا عملية بسبب سوء الأنابيب ولأجلها يقول الكاتب: قامت المظاهرات في ذلك البلد واحتج العالم على نيجيريا لسوء تصرفها حتى مع شعبها وقمعه واقترحت حكومات العالم أن تفرض عليها عقوبات إلى غير ذلك من الأحداث.

وأجرت هذه المجلة مقابلة مع الدكتور أوين سراديوا شقيق (كن) في عددها الصادر في يوليو / أغسطس ١٩٩٦م لتجد الإجابة بكل وضوح عن سؤال مفاده من يحكم نيجيريا فيقول: -

" شل بطبيعة الحال هي التي تحكم فعلياً، هذا معروف جداً.. " ولا أظن بعد هذا أن مثل هذه الحقائق تحتاج إلى تعليق!!

- وفي عام ١٩٩٧م شاركت شركة إلف (ELF) الفرنسية المعروفة التي تسيطر على حوالي ثلثي إنتاج النفط في الكونغو في الانقلاب الذي أطاح بالرئيس المنتخب

---

(١) مجلة Multinational Monitor (MM)، وانظر عبد الحق زلوم نذر العولمة ص ٢٩١، ٢٩٢، December 1995 وانظر أحمد بلوافي حول دور الشركات في إسقاط الحكومات وصناعة الزعماء، المرجع السابق ض ٢٩.

باسكال ليسوبا، وذلك بتقديم الدعم المادي للمعارضة بل زودتها بالأسلحة وذلك لأن الرئيس المنتخب بدأ بالتفاوض مع شركة أمريكية حتى ينهي عملية الاحتكار التي تقوم بها إلف (ELF) لأنها أخلت ببنود كثير من العقود المتفق عليها وبدأت تتصرف كما لو كانت هي التي تملك فقط الكونغو لا شعبه وبسبب ذلك فقد أدرجتها مجلة ملتنا شيونال مونتير (MM) ضمن قائمة أسوأ عشر شركات متعددة الجنسية عام ١٩٩٧م.

- إن الشركات المتعددة الجنسيات تسهم بشكل كبير في زيادة التعفن المالي والإداري لمستوى الدول النامية بما تقدمه من رشاوى مغرية يقول الدكتور/ بيير إيجن، رئيس منظمة الشفافية العالمية: - " إن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في دول العالم الثالث هي من صنع الشركات المتعددة الجنسيات التي تتركز مقارها في الدول الصناعية، وتعمل على تقديم رشاوى كبيرة لمسؤولي الدول المتحالفة من أجل الفوز بالصفقات ".

- لم يعد يخفى على أحد الدور السلبي الذي تقوم به هذه الشركات في تلوث البيئة وتغيير كثير من معالم المناطق ذات الطبيعة الخلابة مثل الغابات في الأمازون في أمريكا اللاتينية أو أفريقيا.

- إنها تعمل وبنشاط منقطع النظير على التأثير على حياة الناس وتغيير نمط سلوكهم وطريقة تفكيرهم واهتماماتهم مثلما يحدث الآن في دول العالم الثالث. ومن الأمثلة على ذلك: -

- أدخلت الشركات الأمريكية إلى أوروبا موسيقى " البوب".
- تعتمد شركات الخمور لترويج منتجاتها بشكل كبير على الدعاية الكافية ولحث الناس ليس على الشرب فحسب بل على الإدمان حتى يكثر الطلب وللأسف فإن المستهدفين في تلك الدعاية وتلك الإعلانات هم طبقة الفقراء والشباب والمدمنين وتستخدم لذلك أرقى وأحدث أسلوب الدعاية من أجل نشر ثقافتها الهابطة وتربط ذلك عادة بالجنس والرياضة والموسيقى وغير ذلك مما يجذب المستهدفين إليها.
- تستغل هذه الشركات ظروف الفقر والعوز والحاجة لدى كثير من البلدان النامية فتنقل فروعها إلى تلك الدول حيث العمالة الرخيصة وحيث الأمية المتفشية حتى

على مستوى النخبة. فمثلاً: -

- شركة نايك العالمية المشهورة بصناعة الأحذية والألبسة الرياضية يتعرض عمالها في الدول الآسيوية لظروف قاسية مثل تدني الأجور، وانعدام الشروط الصحية والأمنية الواجب مراعاتها لتجنب تعرض حياتهم للخطر.

- ففي عام ١٩٩٦م ذكرت محطة (CBS) الأمريكية أن متوسط ما يتقاضاه العمال في فيتنام ٢٠سنتاً للساعة وأن ١٥ امرأة تعرضت لمعاملة قاسية من مرؤوسيها، ٢٥ امرأة طلب منها الجلوس على ركبهن وأيديهن مرفوعة في الهواء لمدة ٢٥ دقيقة، هذا عدا التعرض للتحرش الجنسي والاحتقار من قبل المسؤولين.

وذكرت الأكونوميست في أحد أعدادها الصادر في يوليو ١٩٩١م أن الحذاء الرياضي الذي تبيعه نايك في أمريكا بـ ١٥٠ دولاراً يتم صنعه من قبل امرأة إندونيسية تتقاضى ٥٨ سنتاً في اليوم!!

وقد أثبتت إحدى الدراسات التي قامت بها هيئة هولندية أن ٩٩٪ من مجموع الـ٩٠ مليون حذاء الذي تنتجه الشركة كل عام تصنع في آسيا عبر شبكات نايك التي يصل عددها إلى ٧٥ ألف.

* * * * *

المطلب الثاني:
صندوق النقد الدولي

إن نظرة تأمل عميقة في ظروف نشأة وأهداف هذه المؤسسة تغني عن كثير من الكلام فقد «كان نظام النقد الدولي قبل قيام الحرب العالمية الثانية مفكك الأوصال مشتت الاتجاه لا تحكمه قواعد ثابتة، وبالتالي لم ينقذ العالم من الأزمات المتفاقمة التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الثانية بسبب الصراعات التي أنشبت أظفارها بسبب التكتل وعدم الانسجام في التعامل الدولي لاختلاف السياسيات النقدية والمالية وتأثيرها على العلاقات الاقتصادية الدولية» [1].

(١) د. أحمد بلوافى - الاستعمار الجديد - عن د. إبراهيم العيسى في كتابه صندوق النقد الدولي عن مجلة السنة العدد(٦٥) ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ص٣١، وانظر محمد شريف بشير - صندوق النقد الولي أهدافه

عبرت هذه الكلمات عما وصل إليه العالم من اضطراب وفوضى مالية ونقدية كان أبرزها انهيار النظم الاقتصادية، وتدهور مشروط التجارة، وارتفاع معدلات التضخم والبطالة، وتقلبات أسعار الصرف، مع تعثر عمليات الدفع والتسوية، مما قاد إلى انهيار قاعدة الذهب التي كانت تحكم السوق في البلاد المختلفة عند اختلال موازين مدفوعاتها، حتى بدأ المفكرون الاقتصاديون والماليون والسياسيون ورجال الحكم يفكرون في وضع نظام نقدي عالمي يتحقق في ظله الاستقرار النقدي وتتوفر فيه المحافظة على أسعار الصرف.

إن المسيرة التي قطعها صندوق النقد الدولي والمصرف العالمي عبر أكثر من خمسين سنة مضت على قيامهما، لم تشهد إلا فقراً مدقعاً عاتت وتعاني ولا تزال تعاني منه عمالقة عظمى من البشر في حين بلغ الثراء حداً عالياً وخيالياً لدى قلة يتحكمون في سياسة هاتين المؤسستين الدوليتين، والحقيقة تشير إلى أنه من البداية قامتا نتيجة مخطط موضوع على أساس مطامع هيمنة أمريكية محضة، فيوم أجمع ممثلو زهاء خمسين دولة للإنفاق على أنظمة عمل المؤسسين، لم يكن في العالم الذي خلفته الحرب العالمية الثانية أحدٌ قادرٌ على معارضة الدولة الوحيدة التي بقيت بمنجاة من الدمار الاقتصادي والمالي، بل ازدادت قوتها المالية اعتماداً على الصناعة العسكرية وهي الولايات المتحدة الأمريكية، فالأوروبيون المنتصرون والمنهزمون في الحرب على السواء كانوا كاليابانيين تحت أنقاض الدمار الشامل، كذلك الاتحاد السوفيتي كان منهكاً اقتصادياً ومالياً رغم سيطرته على شرق أوروبا، أما ما يسمى اليوم بالعالم الثالث فقد كان في الحضيض اقتصادياً ومالياً، بعد نهب ثرواته في العهود الاستعمارية والاستغلالية المتطاولة، وهذا ما جعل الأمريكيين قادرين على فرض ما يريدون[1].

هذه هي ملابسات ظروف نشأة صندوق النقد الدولي، وكان الغرض الأساسي من إنشائه خدمة دول الحلفاء بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من أجل الحفاظ على الاستقرار النقدي والمالي في هذه البلدان، فتصحيح أسعار صرف العملات

وسياساته "الحالة السودانية" - معهد الدراسات السياسية - إسلام أباد باكستان ط١/١٩٩٥م ص٣,٤.

(١) أحمد عبد الفتاح - عولمة الفقر في مؤتمر الربيع - مقال في مجلة المجتمع العدد (١٣٩٨) ١٤٢١هـ مايو ٢٠٠٠م عن مجلة السنة العدد ٣١ص٣٤.

واختلالات موازين المدفوعات في آجال قصيرة.

أهداف الصندوق:

ويمكن تلخيص أهداف الصندوق في النقاط التالية[1]: -

١- تنمية التعاون الدولي في المجالات النقدية والمالية من خلال إشادة نظام مؤسسي دائم بغية إيجاد حلول للمشاكل النقدية الدولية.

٢- إقامة نظام دولي متعدد الأطراف للمدفوعات بغية تنظيم العمليات الجارية بين الأعضاء والحد من الإجراءات العتيقة كنمو التجارة الدولية.

٣- اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لتنشيط التجارة الدولية ودعم تطورها على أسس متوازنة من خلال تطوير الموارد الإنتاجية وتأمين حرية تبادل العملات بين الدول بحيث تقود إلى مستويات عالية من العمالة والتشغيل والدخل الحقيقي.

٤- تحقيق الاستقرار النقدي، وتجنب المنافسة في أسعار الصرف.

٥- منح البلدان الأعضاء فرصة للاستفادة من الموارد العامة للصندوق بشكل مؤقت عند حدوث أي عجز لتصحيح موازين مدفوعاتهم بشروط ضمانية محدودة.

٦- تأمين وسائل السيولة الدولية الضرورية لمجابهة الاضطرابات المؤقتة في موازين المدفوعات.

ومن خلال الأهداف يتبين أن الصندوق يقف راعياً لظروف الدول الكبيرة حتى تتهيأ لها الظروف الملائمة لنمو مبادلاتها التجارية، ولم يبق هذا الأمر مؤقتاً لظرف معين ولكنه استمر حتى بعد أن نالت الدول المستعمرة استقلالها فلم تتغير هذه الأهداف مراعاة لهذه الدول حديثة الاستقلال التي ما زالت هياكلها وقواعدها المالية والبنى التحتية مهملة.

---

(١) د. أحمد بلوافى - الاستعمار الجديد - عن د. عز الدين صالحاني - صندوق النقد الدولي والمساهمة السعودية - عن مجلة السنة العدد ٦٥ ص٣٣، ٣٤. وانظر محمد شريف بشير صندوق النقد الدولي أهدافه وسياسته صـ(٧، ٨)

علاقة الصندوق بالدول النامية (خاصة الإسلامية):

لمعرفة طبيعة هذه العلاقة فإنه بالنظر إلى نظام الحصص والتصويت المتبع لدى الدول الأعضاء في الصندوق نجد أن القيود المتعلقة بالعضوية قسمت هذه العضوية إلى قسمين: عضوية أصلية منحت للدول التي شاركت في أول مؤتمر للصندوق وهو مؤتمر (بروتن وودز) وعضوية ثانوية وهي للدول التي انضمت للعضوية بعد هذا المؤتمر، وعلى كل دولة ملتزمة بهذه العضوية جملة من الشروط منها [1]: -

١- تحديد قيمة عملتها إما بالذهب أو الدولار الذي كان قابلاً للتحويل إلى الذهب.

٢- تقديم المعلومات الاقتصادية والمالية التي تطلب منه.

٣- إلزامها بدفع حصة للمساهمة في رأس مال الصندوق الذي يمثل المورد الأساس لدعم نشاط الصندوق وعملياته، وتقدر هذه الحصة وفقاً لعدد من الاعتبارات الاقتصادية والسياسية، وتؤخذ وفقاً لمعادلة تسمى معادلة " بروتن وودز " والتي استخدمت منذ نشأة الصندوق وحتى أوائل الستينات وقد منحت هذه المعادلة أو صيغة أولية خاصة للعوامل التالية [2]: -

حجم تجارة الدولة الخارجية.

دخلها الوطني.

احتياطاتها من الذهب والعملات الأجنبية.

عدد السكان، مع اعتبارات أخرى.

هذه الشروط وهذه العوامل مجتمعة كلها تصب في مصالح الدول الكبرى وخاصة

---

(١) أحمد بلوافي نفس المرجع ص٣٥، ٣٦، وانظر محمد شريف بشير - صندوق النقد الدولي أهدافه وسياساته - معهد الدراسات السياسية ص٩.

(٢) احمد بلوافي المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦، ٣٨ ومحمد شريف بشير المرجع السابق ص ١٢، ١٣وانظر د. رمضان عبد الله النظام الدولي تحولات الاقتصاد العالمي مركز دراسات العالم عن تقرير حولي عن الشؤون السياسية والاقتصادية والإسلامية مركز الدراسات الحضارية ١٤١٤هـ - ٩٣ - ٩٤م ص ٤٦، ٤٧، انظر د. حازم الببلاوي النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة سلسلة عالم المعرفة الصادر عن الجيش الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد (٢٥٧) ص ٥٥، ١٧٣ وما بعدها.

الولايات المتحدة الأمريكية، إذ استأثرت هذه الدول بالنصيب الأكبر من الحصص ولم يبق للدول الأخرى إلا القدر الضئيل من جملة الحصص، ومن هنا فقد أحكمت هذه الدول قبضتها على قرارات الصندوق من خلال نظام الحصص وبكيفية غاية في المكر والدهاء ربطت قرارات الصندوق بمبدأ الأغلبية الخاصة متمشياً مع نسبة ارتفاع وانخفاض حصة الولايات المتحدة بالذات مما أتاح لها الاعتراض على ما لا يناسبها من قرارات أو العكس. بل والتدخل في شؤون الدول تحت أي ذريعة وأي مبرر خاصة بعد الشروط التي أقرها صندوق النقد الدولي في أيلول ١٩٩٦ م، وهذا الأسلوب في الحقيقة يشبه عملية " الفيتو" الذي يعطي الحق للدول الخمس الأعضاء في مجلس الأمن استخدامه والتلويح به فيما لا يناسب مصالحها وسياساتها [١]، الذي سمي بـ" إعلان شركاء في نمو عالمي مستدام " حيث حددت شروط صريحة لتعاون المؤسسات المالية العالمية مع الدول النامية المتلقية للمساعدات والقروض وبحسب فتحي يكن ورامز طنبور فقد اشتملت تلك القروض على الظواهر السياسية التالية [٢]: -

١ - محاربة الفساد في أجهزة الدولة.

٢ - زيادة كفاءة الأداء في مؤسسات القطاع العام.

٣ - اتباع أساليب الحكم الرشيد وسيادة القانون.

٤ - التزام الشفافية في السياسات والخطط الحكومية.

٥ - إعمار مبدأ المحاسبة في مؤسسات القطاع العام وأجهزة الدولة.

والملاحظ على هذه الشروط فضفاضتها وإيجابيتها لأول وهلة إلا أنها أعطت الضوء الأخضر للدولة المهيمنة على الصندوق" وهي بالطبع أمريكا" حق التدخل في شؤون الدول النامية تحت أي مبرر وتحت أي غطاء.. مخترقة بذلك مبدأ السيادة الوطنية وحتى يتسنى لها الهيمنة الكاملة على مقدرات وخيرات الشعوب الفقيرة والدول النامية.

نخلص من هذا كله إلى أن الدول النامية التي لم تكن بعد قد نالت استقلالها، لم تبدأ

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر فتحي يكن رامز طنبور العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص ٦٠.

علاقتها بالصندوق إلا في نهاية الخمسينات وبداية الستينات وتطورت أو ارتبطت به أكثر خلال عقدي السبعينات والثمانينات، وارتبطت بالصندوق وهي في حالة لا تغبط عليها حين خرجت من ربقة الاستعمار وهي مفككة الأوصال منهارة الاقتصاد فبمجرد ارتباطها بالصندوق اعتمدت على القروض لتغطية العجز في موازين مدفوعاتها ولم تكن بناها الداخلية قوية، وحتى أسعار موادها الأولية التي تصدرها معرضة على الدوام للانخفاض مقابل الازدياد المستمر في أسعار المواد المصنعة والاستهلاكية التي تستوردها وهكذا بدأت عملية الاختلال هذه تأخذ صفة الديمومة والاستمرار مما اضطرها ذلك لمزيد من القروض ومزيد من الديون حتى تراكمت عليها وزادها ذلك عبئاً بل كان عائقاً في طريق تحقيق تنمية اقتصادية منشودة، حتى وجدت نفسها بعيدة من الزمن عاجزة عن التحكم في أوضاع اقتصادياتها الداخلية ودفع أقساط الفوائد والديون المستحقة وطالبة بتمديد آجال الديون والفوائد والحصول على قروض أخرى، هنا يكمن الخطر حيث اشترطت الدول الدائنة على الدول المدينة الفقيرة العاجزة التعامل مباشرة مع صندوق النقد الدولي والاتفاق معه على تبني برنامج الإصلاحات الاقتصادية[1].

مما جعل الصندوق يتبوأ مكانة خاصة على صعيد المؤسسات الاقتصادية والمالية العالمية وأصبح يمثل البوابة التي لا يمكن تجاوزها مع من يضطر لاستخدام موارد أو مواد المؤسسات العالمية الخاصة والعامة[2].

فيتوقف التعامل مع أي دولة دائنة على رضى الصندوق الذي يتخذ إن شاء موقفاً إيجابياً أو سلبياً إزاء بلد ما وعليه يمنحه رضاه إذا كان ذلك في صالح الصندوق وينطبق عليه قول الشاعر:

إذا غضبت عليك بنو تميم ::: حسبت الناس كلهم غضابا[3]

وثيقة خطاب النوايا:

(١) أحمد بلوافي الاستعمار الجديد (علاقة الصندوق بالدول النامية) عن مجلة السنة العدد (٦٦) محرم ١٤١٨هـ أيار مايو ١٩٩٧ص ٣٤.
(٢) المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦.
(٣) المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦.

وعلى الدول التي تلجأ إلى الصندوق لتبني برنامج الإصلاحات الهيكلية (adjustment programs) عليها أن تقدم وثيقة خطاب النوايا (Letter of intent) متضمنة ملخصاً عن أهداف السياسات التي سوف تتبعها من أجل تصحيح الخلل في ميزان المدفوعات ومستوى النمو الاقتصادي وحركة الأسعار العامة وكذلك التدابير التي تستخدمها الدولة من أجل تحقيق هذه الأهداف كما يقوم خبراء الصندوق بزيارة ميدانية للبلد المعني للاطلاع على أوضاعه الاقتصادية عن قرب ومناقشة ذلك مع المسؤولين الماليين والاقتصاديين [1].

وصفة الصندوق الجاهزة:

كما أن السياسات المتبعة التي يطلبها الصندوق لا تراعي اختلاف الظروف من بلد لآخر وتتضمن الوصفة السياسية والاقتصادية الجاهزة عدة نقاط يمكن إجمالها في الآتي[2]: -

١- تحرير أسعار الصرف والرقابة على الواردات وأهم بند في هذا هو تخفيض قيمة سعر صرف عملة الدولة المعنية مقابل العملات الأجنبية الحرة.

٢- رفع الدعم عن أسعار المواد الاستهلاكية وخدمات المرافق الاجتماعية وبينها سياسة الزيادة في مستوى الأسعار بشكل عام.

٣- مراقبة الائتمان المصرفي من خلال رفع أسعار الفوائد وزيادة نسب الاحتياطات النقدية التي تحتفظ بها البنوك التجارية لدى البنك المركزي.

٤- اعتماد سياسة الخصخصة أو الخوصصة.

٥- رفع القيود عن التجارة الخارجية والعمل على تسهيل الإجراءات القانونية أمام المستثمرين الأجانب.

---

(١) البيت للشاعر جرير بن عطية بن حنيفة الكلبي اليربوعي، أبو حزورة، من تميم أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، (٢٨هـ - ١١٠هـ).

(٢) انظر مصطفى محمد العبد الله التصحيحات الهيكلية والتحول إلى اقتصاد السوق في البلدان العربية بحث مقدم إلى الندوة الفكرية التي نظمها المركز الطبي للدراسات والتحاليل الخاصة بالتخطيط الجزائر ط١ /١٩٩٩ بيروت ص ٣٩ وما بعدها، وانظر رمزي قاسم إصلاح الاقتصاد في مصر، الدار المصرية اللبنانية ضمن مشروع مكتبة الأسرة طبعة خاصة ١٩٩٨ ص ٦٦.

٦- الحد من العجز الحكومي وذلك بالضغط على النفقات التي تتعلق عادة بالخدمات الاجتماعية ورفع الدعم عن أسعار المواد الأساسية، ثم رفع الضرائب والأسعار مع مراقبة الزيادة في الأجور أو تثبيتها وأن تكون الزيادة في الأجور إن حصلت أقل من الزيادة في معدلات التضخم.

* **الآثار السيئة لهذه السياسة[١]:**

١- إلحاق الضرر البالغ بالفئات ذوي الدخول المتوسطة والمتدنية.

٢- الاضطرابات الاجتماعية والقلاقل والمظاهرات عن هذه السياسة في كل بلد اتبع هذه الشروط.

٣- النقد المستمر والصيحات العالية من محللي ومنتقدي برنامج الإصلاحات التي يطلبها الصندوق.

٤- عدم نجاح هذه السياسة في البلدان التي اتبعتها.

إن أهم إفرازات صندوق النقد والبنك الدوليين التي نفذت من أوائل السبعينات وهي الآن تحت غطاء التنمية من خلال القروض المشروطة هو تضخم أرقام المديونية للدول النامية حتى برزت على السطح كأزمة عالمية مع مطلع الثمانينات حين عجزت هذه الدول عن الوفاء بالتزاماتها المالية ومن ثم تعسر عليها الوفاء بخدمة هذه الديون في ظل النمو الاقتصادي الأعرج والمتعثر على الدوام.

وبالتالي انعكست هذه الأزمة سلباً على شعوب هذه الدول واستقلالها من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

* **بداية الأزمة [٢]:**

---

(١) د. أحمد بلوافي المرجع السابق ص (٣٤، ٣٨، ٣٩) وانظر جيمس صيداوي جغرافيا ما بعد الاستعمار ترجمة أحمد سليم عن مجلة الثقافة العالمية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد (١٠٨) سبتمبر أكتوبر ٢٠٠١ / ص ٧٥، وانظر د. محمد مقداوي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد ص (٨٨، ٨٩، ٩٠).

(٢) انظر عبد الكريم حمودي: تجارة الديون بوابة استعباد العالم الثالث المجتمع، العدد ١٤١٣هـ جمادى الأولى ١٤٢١هـ ١٥/٨/٢٠٠٠م، ص ٢٦، وانظر: بول هرست ومراهام طربسون بالعولمة، ترجمة د. صالح عبد الجبار، مرجع سابق، ص٥٦، وانظر. د. رمضان عبد الله: تحولات الاقتصاد العالمي،

- بعد انهيار نظام " براثيون وودز " عام ١٩٧١ م وبعد إعلان الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون إلغاء الصلة بين الدولار الأمريكي والذهب استطاع صندوق النقد والبنك الدوليين إقناع الدول النامية بإمكان إحداث تنمية اقتصادية من خلال القروض والمساعدات التي يقدمانها والشروط تبدو لأول وهلة سهلة وميسرة وبأسعار فائدة أدنى من سعر التضخم عوضاً عن الاعتماد على الشركات الخاصة والاستثمار بالمشاركة أو المساهمة برأس المال الوطني الذي كان يهرب نتيجة عوامل كثيرة.

- أقبلت الدول النامية وبكثافة منذ منتصف السبعينيات على الاستدانة من الصندوق والبنك الدوليين وغيرهما من مؤسسات الإقراض الدولية بهدف استثمارها في مشاريع البنية التحتية وتطوير القطاع الصناعي والزراعي.

- من سنة إلى أخرى تعاظم الاقتراض الخارجي الذي كان دافعه تجنب الانخفاض في معدلات الاستثمار والنمو، وذهبت نسب كبيرة من هذه القروض لتمويل الاستهلاك بما يصل إلى النصف.

- وتوجه الإنفاق العام الاستثماري بالفعل نحو مشاريع غير ذات كفاءة وباهظة التكاليف، مما تسبب في إحداث خسائر كبيرة وهوة واسعة في الميزانيات العامة.

- ارتفعت أسعار الفائدة مع ارتفاع أسعار النفط في مطلع سنة ١٩٧٩م وانخفضت أسعار المواد الأولية بشكل حاد، فتفاقمت كلفة تسديد الديون.

- قامت الدول النامية بالاقتراض مجدداً للإيفاء بالتزاماتها والتخلص من شبح الانهيار

- مع تراكم القروض وفشل المشاريع التنموية في هذه الدول تعمقت أزمة المديونية وتحولت إلى أكبر عائق أمام التنمية وتفجرت أزمة الديون كأزمة عالمية عام١٩٨٢م

- أعلنت العديد من دول العالم عجزها عن أداء التزاماتها المالية تجاه الدائنين، الأمر الذي أثر على شعوبها واستقلالها في قرارها السياسي والاقتصادي.

مركز الدراسات الحضارية، ص ٤٩، مرجع سابق، وانظر: د. جلال عبد العزيز القباطي: نحو هيكلية مالية عالمية جديدة، عن جريدة الثورة اليمنية، العدد (١٣٠١٦) يوليو ٢٠٠٠م، ص ١١، وانظر د. جازم البيلاوي النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، ص ١٨٨، مرجع سابق.

الأسباب التى أوقعت الدول النامية فى شراك المديونية:

وهناك مجموعة من الأسباب تضافرت جميعها في دفع الدول النامية في شرك هذه المديونية منها على سبيل المثال:

١ - العلاقات غير المتكافئة التي تربط الدول النامية بالبلدان الصناعية المتقدمة.

٢ - فشل الدول النامية في تحقيق مهام الاستقلال الاقتصادي وسلوك طريق التنمية المستقلة. أما أسباب المديونية فهي ترجع إلى:

١ - اعتماد الدول النامية سياسات واستراتيجيات غير ملائمة.

٢ - تضخم الاستيراد وتمويله بالاقتراض من صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات المالية والدولية.

٣ - سوء استخدامها الموارد والقروض وعدم كفاءة الأداء الاقتصادي.

٤ - الفساد الإداري والمالي وتدني الإنتاجية.

٥ - نشوب الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة المتكررة وإنفاق أكبر كم من القروض في هذا الجانب.

٦ - ازدياد نسبة الإنفاق العسكري الذي شهدته الدول النامية خلال السبعينات والثمانينات وحتى بداية التسعينات.

هذا على الصعيد الداخلي. أما على الصعيد الخارجي فيمكن تلخيص الأسباب وإجمالها إلى النقاط التالية:

١ - تعويم أسعار الصرف وتزايد المضاربات تحت رعاية وحماية صندوق النقد الدولي.

٢ - التغيرات في أسعار صرف العملات وخاصة الدولار والارتفاع الحاد الذي طرأ على أسعار الفائدة بل وتعويمها في أسواق النقد الدولية وخاصة في الولايات المتحدة، حيث الهدف من وراء ذلك استقطاب رؤوس أموال الدول النامية وخاصة النفطية وإعادة تدويرها عبر قروض يقدمها الصندوق.

٢ - الإجحاف الذي طرأ على الدول النامية من قبل الدول الصناعية الكبرى إذ أنها

ضاعفت أسعار مواد الاستيراد مقابل أسعار المواد الأولية التي تصدرها الدول النامية.

٤ - انخفاض الطلب العالمي على المواد الأولية من الدول النامية نتيجة الركود الاقتصادي الذي عانى منه العالم الرأسمالي.

٥ - تدهور حجم المعونات والقروض الميسرة الرسمية التي كانت تقدمها الدول الغنية للدول الفقيرة.

٦ - نشاط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في سعيهما لإقراض الدول النامية في ظل حاجتها المتزايدة للقروض لتسديد الديون ودفع خدماتها [١].

*** شروط استمرار تقديم القروض[٢] :**

منذ البداية اعتمد الصندوق استراتيجية طويلة الأجل تبدأ بالقروض تحت غطاء التنمية واستمراريتها حتى إذا عجزت الدول النامية عن السداد حولت اقتصادات الدول النامية إلى اقتصادات السوق وذلك من خلال برامج التصحيح الاقتصادي التي كانت تفرض على الدول الراغبة في الحصول على قروض جديدة.

وفي حالة حصول انهيار اقتصادي كإفلاس دولة ما أو عدة دول يتقدم الصندوق بمد يد المساعدة للإنقاذ لكن بشروط أقسى وأمرّ حيث يفرض على دول الأزمة أن تبيع شركاتها وبنوكها ومؤسساتها إلى الشركات الأجنبية الراغبة في الحصول على الاستثمار وهذا هو عين ما حدث في البرازيل وإندونيسيا وغيرهما.

وثمة شروط للصندوق يحددها لاستمرار القروض منها:

١- أن تكون أولوية السداد لصندوق النقد الدولي حالة وجود مؤسسات دولية مالية دائنة أخرى.

٢- أن تصرف أموال القروض في تمويل مشروعات نتيجة تضمن - نظريات - تحقيق مداخيل من شأنها سداد القروض مستقبلاً مع إغفال جانب البنى التحتية للبلدان النامية مثل(مجالات النقل - التعليم - الصحة - الخدمات الاجتماعية،

---

(١) انظر: عبد الكريم حمودي: تجارة الديون، المرجع السابق، ص ١٧، ١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨، وانظر: مهارات الفهم العالمي: العولمة، إعداد لجنة البحوث والدراسات الإسلامية عن طريق الإنترنت، ص ٤٨، وما بعدها.

وغيرها..).

٣- فرض معدلات فائدة تتناسب مع وضع الدولة ومع قدرتها على السداد ومواردها الطبيعية...

٤- فرض الخيارات الاقتصادية والسياسية الغربية على الدول المستدينة دون النظر إلى خصوصيتها الحضارية والثقافية ودرجة تطورها التاريخي ومدى ملائمة تلك الخيارات لأنماط الحياة السياسية والاقتصادية فيها وذلك عن طريق برامج الإصلاح الاقتصادي والتي تتطلبها تلك المؤسسات كشرط لتقديم القروض. تتضمن هذه البرامج تخصيص الصناعات والمرافق العامة، ورفع الدعم عن السلع الأساسية وإلغاء أي حواجز جمركية تهدف إلى حماية السلع المحلية وإلغاء التشريعات كافة التي تحد من تنقل رأس المال دخولاً وخروجاً.

وعندما تعجز الدول النامية عن تسديد ديونها فقد ابتكر الصندوق طريقة جديدة تسمى " إعادة جدولة الديون" ولكنه يربطها بشروط إضافية تعجيزية منها [١]:

سياسات التثبيت المالى أو النقدى:

وقد ارتبطت هذه الشروط بما يعرف بسياسات التثبيت المالي أو النقدي (Stabilization programs) حيث يلزم الصندوق الدول المدينة باتباع سياسات اقتصادية من شأنها تحسين أوضاع المتغيرات الكلية (Maicro Economic) لاسيما فيما يتعلق بضبط عجز الموازنة واختيار أسعار صرف واقعية وأسعار فائدة مناسبة [٢].

١- التخلص من العجز في ميزان المدفوعات.

٢- تحرير التجارة الخارجية والصرف الأجنبي.

٣- إحداث سوق للصرف وتقويم قيمة العملة الوطنية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩، وانظر د. حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر.

(٢) مرجع سابق، ص ١٨٩ - ١٩٠، وانظر: فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي،= =ص٥٨، ولمزيد من المعلومات انظر: تقرير معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية - حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة: عمران أبو جيسلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١٩٩٧م، ص ٦٣، ٦٥، وما بعدها، وانظر: مهارات الفهم العالمي - العولمة إعداد لجنة البحوث والدراسات الإسلامية، ص ٣٤ - ٣٧.

٤- إحداث إصلاحات مصرفية.

٥- إحداث أسواق للمال والنقد.

٦- اعتماد سياسة مالية ونقدية محددة تركز على تخفيض الإنفاق العام في إطار خفض العجز في الموازنة العامة للدولة.

٧- تجميد الأجور والتوظيف في الإدارات الحكومية.

٨- تصفية القطاع الحكومي خاصة في مجال الخدمات وابتعاد الدولة عن النشاط الاقتصادي.

تحمل هذه الشروط المجتمعة في طياتها روح الهيمنة والانتهازية والاصطياد في الماء العكر حتى تبقى الدول النامية وبخاصة الإسلامية منها خاضعة وخانعة للدول القوية مثقلة ومكبلة بالديون وهي بهذا تمهد الطريق في هذه البلدان لترزح تحت هيمنة وسيطرة الشركات، تحت غطاء التنمية، وتحت مسمى الخصخصة وإدخالها في عالم سوق الصرف وإيجاد الأسواق المالية والنقدية لممارسة الربا بكل أصنافه وإخفائها للجشع والنهب واستغلال الثروات وترزح الشعوب تحت سيطرة هذه الشركات اقتصادياً وسياسياً وما يتبع ذلك من نواحي أخرى تشمل التعاونية والاجتماعية والإعلامية وغيرها، وتنتهي إلى دواعي الفوضى والاضطراب لتخيم على هذه البلاد البطالة والبؤس والفقر المدقع والحاجات المعوزة وهذا كله بسبب ما ندخله نحن بأيدينا ونفتح لهم الطريق تحت ما يسمى بالانفتاح على الآخرين من غير أساس متين ولا تعامل ندي.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**توشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**» [(١)]، وكذلك قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً شبرا، أو ذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**». قالوا اليهود والنصارى! قال: «**فمن**» [(٢)].

كل ذلك باسم الرأي والانفتاح على الحضارات الأخرى لتنتهل منها بغير هدى إلا

---

(١) هو عند الإمام أبي داود في سننه كتاب الملاحم، باب تداعى الأمم رقم (٣٧٤٥).
(٢) الحديث في صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم رقم (٦٧٧٥).

مما نستفقه منهم وهل هذا بمنطق!!

وإنما يرجع ذلك ابتداءً ونهاية إلى غياب الوازع الديني وغياب روح الرسالة الخاتمة الهادية العالمية، وإهمال القيام بواجب تبليغ هذه الرسالة، وإلا فالمفروض أننا - نحن المسلمين - المسيطرون الآمرون الناهون في ظل روح إيجابية وخيرية ورحمة هذه الرسالة الإسلامية الكاملة الخالدة التي ينبغي ألا تغيب عن الحضارة الغربية إذ هي في حاجة إليها حاجة الظمآن للماء.

* * * * *

المطلب الثالث:
البنك الدولي

تضمنت الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية قيوداً على تحويل النقد وحروب أسعار الصرف بين الدول لتوفير ميزة مناسبة لها في كسب الأسواق، وترتب على ذلك قيود على حرية التجارة وتسبب ذلك كله في انخفاض معدلات النمو الاقتصادي وشيوع الكساد ونزاعات ضارية حادة وتعصب مقيت حتى تهيأت الظروف لحرب جديدة لم تلبث أن استمرت أوارها في الثلاثينات لذا فقد حرص الحلفاء ومنذ وقت مبكر على إنشاء ووضع نظام اقتصادي تحول دون تكرار هذه التجربة المريرة وقاد هذه الفكرة النظامين البريطاني والأمريكي وكانت البصمات الواضحة منه هي البصمات الأمريكية حيث تم في الأخير بعد محاولات ومحادثات وخلافات حادة تم الاتفاق على إنشاء البنك الدولي مع صندوق النقد ضرورة البنك الدولي وعرفت هذه الاتفاقية باسم بريتون دودز عام ١٩٩٤م والتي تضمنت أهم معالم النظام والاقتصادي الدولي فيما بعد الحرب العالمية الثانية [١].

وكان الغرض الرئيسي من إنشاء البنك وأخويه الصندوق ومنظمة التجارة هو العمل على استقرار النقد وتوفير قابلة العملات للتحويل (Conver tihility) وضمان حرية التجارة متعددة الأطراف (Moltieteral Trad) وكذلك بغرض الإسهام في تعمير

(١) عن د. حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر صـ٤٣ سلسلة عام الموقعه. انظر د. رمضان عبد الله في تحولات الاقتصاد العالمي - توازنات الثروة والقوة.

وتنمية أقاليم الدول الأعضاء المتضررة من الحرب العالمية الثانية عن طريق تقديم القروض المالية وضمان تدفق الاستثمارات الدولية [١]. وكذلك مساعدة الدول الفقيرة وتعزيز حركة الاستثمارات وأنشأ البنك الدولي للإنشاء والتعمير (IBRD) وتعني تفصيلاً:

(Inter national Bank for Re cons truction and Develoment)

ثم اتفق أخيراً على استبدال كلمة التعمير (Development) بمصطلح التنمية وبدأ البنك عمله حيث تمثل في تمويل الجهود الرامية إلى إعادة بناء الاقتصادات المهدمة في أثناء الحرب ثم الجهود التنموية[٣].

المؤسسات الدولية التي تعمل في إطار البنك الدولي:

تمخض مشروع التنمية الذي قام به البنك الدولي عن مؤسسات شقيقة أخرى تعمل في إطار ما يسمى بمجموعة البنك الدولي وهي: The World Bank Griup

١- مؤسسة التمويل الدولية International Finance Corparation (IFC)

٢- هيئة التنمية الدولية International Devdopmont Association (IDA)

٣- الوكالة متعددة الأطراف لضمان الاستعمار

Multilateral Investmant Guarante (Agensy) (MiGA)

أما مؤسسة التمويل الدولية (IFC) فقد أنشأت في عام ١٩٥٦م لتمثل فروع البنك المهتم بتنمية القطاع الخاص وتشجيعه عن طريق المساهمة في مقابل القروض التي يعطيها البنك للدول باسم القطاع العام وبضمانات من حكوماتها [٢].

وتقوم فكرة هذه المؤسسة على مشاركة الشركة (القطاع الخاص) في استثمار

---

(١) د. طه أحمد الفسيل - استراتيجية البنك الدولي تجاه اليمن (١٩٧١ - ٢٠٠١م) عن مجلة شؤون العصر السنة ٦ العدد ٧ محرم - ربيع أول ١٤٢٣هـ - ابريل - يونيو ٢٠٠٢م. صـ٤٣ وما بعدها وانظر د. رمضان عبد الله - تحولات الاقتصاد العالمي وتوازنات الثروة والقوة مركز الدراسات الحضارية تقرير الأمة في عام تقرير حول الشؤون السياسية والاقتصادية الإسلامية ١٩٩٣ - ١٩٩٤م صـ٤٧.

(٣) د. حازم الببلاوي النظام الاقتصادي المعاصر صـ٤٥.

(٢) انظر د. طه أحمد الفسيل - استراتيجية البنك الدولي تجاه اليمن (١٩٧٢ - ٢٠٠١م) عن شؤون العصر ٢٠٠٢م صـ٤٥.

مشروع ما، مما يشجع القطاع الخاص على دخول ميدان الاستثمار، وتقوم فلسفة هذه المؤسسة على بيع حصتها من الشركات (القطاع الخاص) بعد أن تقف على قدميها!!

وأما هيئة التنمية الدولية:

فقد أنشأت عام ١٩٦٠م، وتعتبر ذراع البنك في الدول ذات الدخل المنخفض[١]، والغرض منها كما يقال أنها باب جديد لتوفير مصدر آخر للتمويل تلجأ إليه الدول الفقيرة جداً ولا تستطيع أن تحصل على تمويل من البنك الدولي مباشرة لارتفاع التكليف وصعوبة الشروط، فهذه المؤسسة باب ميسر لتمويل رخيص وطويل الأجل، وسعر الفائدة في حدود (٠.٧٥) ولفترات تصل من ٣٠ - ٤٠ سنة مع فترة سماح تصل إلى عشرة أعوام (تسمى عمولة نقل عن ١٪ بغرض تصفية المصاريف الإدارية).

وتتكون موارد هذه الهيئة من المساهمات الاختيارية للدول الغنية، والتي تخصص لذلك الغرض، وقد كانت الهند أكبر مستفيد من قروض الهيئة في خلال الثلاثين سنة الأولى من عمرها، ثم تغير الأمر بعد انضمام الصين إلى البنك الدولي في بداية التسعينات، ويرجع هذا الاختلاف بين البنك والهيئة بشكل رئيسي إلى اختلاف مصادر تمويلها، فالبنك يحصل على معظم موارده المالية من أسواق رأس المال العالمية ليعيد إقراضها للدول الأعضاء فيه بينما تحصل الهيئة على معظم مواردها المالية من مساهمات الدول الأعضاء الغنية في البنك وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا حيث تعرف هذه الدول في الهيئة بمجموعة الدول الأولى.

الوكالة متعددة الأطراف لضمان الاستثمار:

أنشأت في عام ١٩٨٥م وذلك لتوفير الضمان للاستثمارات الأجنبية ضد المخاطر غير التجارية [*] المصادرة والحروب [٢]ومنع التحويلات للعملات الأجنبية - التي قد تتعرض لها الشركات الاستثمارية في البلد النامي (المضيف) على رغم أن معظم الدول الصناعية تعرف مؤسسات وطنية لضمان استثمارات مواطنيها في الخارج ضد

---

(١) انظر الفيل شؤون العصر العدد ٧ يونيو ٢٠٠٢ صـ٤٥.

(*) المخاطر: مثل التي قد يتعرض لها المستثمر مثل مخاطر التأميم أو مخاطر تحويل العملات - أو مخاطر سياسية.

(٢) المصدر السابق.

المخاطر غير التجارية ولكن إنشاء هذه الوكالة في نظر البنك من شأنه أن يؤدي إلى تحسين المناخ العام للاستثمار وخاصة في الدول النامية.

وتتكاثف هذه المجموعة من البنك الدولي لتنفيذ سياسة في ميدان تمويل التنمية الاقتصادية [١].

نشاط البنك الدولي:

بدأ البنك نشاطه بالتعاون في تعمير الاقتصادات الأوروبية المحطمة أثناء الحرب، ثم ركز عملياته على قضايا التنمية في دول العالم الثالث والدول الاشتراكية أيضاً وذلك في نهاية الخمسينات والتسعينات على التوالي.

وقد أخذ البنك بفكرة قائمة على رأس المال القابل للاستدعاء (Callable Cabtall) بمعنى أن الجزء الأكبر والذي يمثل (٩٠٪) من مساهمات الدول الأعضاء في رأس مال البنك ضمن التزامها بسداد هذا الجزء عن طلب البنك[٢].

أما موارده التي يستخدمها في الإقراض، فإنها تأتي من اقتراض البنك من أسواق رأس المال الدولية. ويتمتع البنك بجدارة ائتمانية عالية، حيث إن رأس المال القابل للاستدعاء يمثل ضمانة التزامات البنك التي يعقدها في شكل قروض وسنوات في الأسواق المالية[٣].

وتتكون عضوية البنك من حكومات الدول الأعضاء حيث تتحدد حقوقها بمدى مساهمتها هذه في رأس المال الذي يتحدد وفقاً لمعايير معقدة تأخذ في الاعتبار الوزن الاقتصادي للدول. ومن هنا فإن الدول الصناعية الكبرى تتمتع بقوة تصويت كبيرة تمكنها من السيطرة الفعلية على مقدرات البنك لذا فإن خمس دول كبرى تتمتع بما يقرب من ٤٣٪ من رأس المال، وبالتالي من الأصوات وقد زاد عدد الأعضاء في نهاية التسعينات إلى ١٨١دولة من أصل ٢٨ دولة في فترة التأسيس.

ويأتي نصيب الأسد من الحصص للولايات المتحدة الأمريكية حيث تبلغ ١٨٪ من

---

(١) د. حازم الببلاوي - النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة - سلسلة عالم المعرفة (٢٥٧) العام ٢٠٠١م صـ٤٣ - ٥١.

(٢) د. الببلاوي: النظام الاقتصادي، ص ٤٥، مرجع سابق.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٦.

مجموع الحصص، وقد كانت هذه النسبة أصلاً ٣٧٪، ومن هنا فإن لها دوراً متميزاً جداً بين جميع الدول الأعضاء.

وقد حرصت أمريكا على ذلك منذ نشوء البنك حين أصرت على أن يكون المقر الرئيس لها أمريكا، وهناك اتفاق غير مكتوب مفاده أن رئيس البنك ترشحه أمريكا، حتى يصبح تأثير السياسة الأمريكية على سير العمل في البنك شيئاً مقبولاً ولا يتسم بأي معارضة، بعكس الأداة السياسية البارزة للعولمة (أي الأمم المتحدة) والتي مقرها في نيويورك، فإن سياسة أمريكا فيها تتعرض للضغوط من قبل التدخلات الإدارية للوفود الأعضاء حيث ترسل الدول الأعضاء ديبلوماسية كاملة لتمثلها في الأمم المتحدة ولتتابع أعمال الأمم المتحدة متابعة تضطرها كثيراً للتدخل في أعمال الإدارة[١].

أما أعضاء البنك الدولي والذي مقره واشنطن، وإن كانت هناك بعثات ديبلوماسية من قبل الدول الأعضاء لمتابعة أعمال البنك والصندوق الدوليين، إلا أن جل اهتمامها هو بالعلاقات الثنائية لبلدانها مع الحكومة الأمريكية[٢].

فالبنك في أمريكا لا يخضع إلا للسياسة الأمريكية وحدها، وأياً ما كان الأمر فإن البنك يديره إلى جانب الرئيس مجلس إدارة يتكون من ٢١ عضواً منهم خمسة دائمون والباقون منتخبون.

مهمة البنك الدولي:

ويمكن إجمال ما يقوم به البنك بالنقاط التالية: -

١ - الإقراض المشروعي (Project Finaneing) وخاصة مشروعات البنية الأساسية في المرحلة الأولى (الخمسينات).

٢ - التمويل البرامجي - وهذا بدأ في الثمانينات - فلا يمول البنك مشروعاً محدداً بعينه وإنما يمول حزمة من السياسات خاصة المتعلق فيها بالإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٧، وانظر: رمضان عبد الله: تحولات الاقتصاد العالمي عن التقرير الحولي لمركز الدراسات الحضارية، ص٤٧، مرجع سابق، وانظر عبد الوهاب: مزارعة البنك الدولي، أهدافه خدماته، مصادر تمويله، عن جريدة النور، اليمنية، العدد (١٣٠١٦) يوليو ٢٠٠٠م، ص ١١.

(٢) د. البلاوي: ص ٤٧، ود. رمضان عبد الله، تحولات الاقتصاد العالمي، ص ٤٨.

٣ - تمويل يهتم بخصخصة المشروعات - وبدأ التحول نحو هذه النقطة من بداية التسعينات - ولما كان اسم البنك مرتبطاً بالإنشاء والتعمير، فقد كانت عملياته الأولى مختصة بإعادة إنشاء وتعمير الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية وكانت هي المستفيدة بالدرجة الأولى. ثم تحولت عمليات البنك إلى التنمية فتحول نشاطه تبعاً لهذه التسمية إلى البلاد التنموية (العالم الثالث) فكانت هي الأكثر استفادة من قروضه بعدئذ[١].

أساس فكرة القروض[٢]:

وأما أساس هذه الفكرة فهي قائمة على توفير مصدر لتمويل الدول غير القادرة على الالتجاء إلى السوق المالية الدولية ولذا فإن المتعاملين مع البنك هم الدول الفقيرة، حتى إذا تحسنت أوضاعها توقف البنك عن إقراضها، ويقال أن الدول الفلانية قد تخرجت (Graduated) وأصبحت غير قادرة على الاقتراض التجاري.

وهنا يتبادر سؤال بعد معرفة فكرة القروض، إذاً كيف تتم القروض؟

إنها تتم بضمان من الحكومات في الدول المعنية، أي أن قروض البنك دائماً قروض سيادية (Sovereing loans).

ومع تطور الأوضاع الاقتصادية العالمية وتطور الفكر الاقتصادي في مجال التنمية تحول البنك إلى قضايا التوزيع والعدالة (Redliotribution with Growrh) وبظهور أزمة التنمية والمديونية في الثمانينات اتجه الاهتمام الأكبر إلى برامج الإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي اتجه البنك الدولي كونه مؤسسة بيد الغرب إلى التعامل السيادي حيث بدأ يفرض نفسه في كل صغيرة وكبيرة للتدخل في الهياكل الاقتصادية للدول النامية وأنظمتها السياسية ومفاهيمها وخصوصياتها ويعتبر ذلك تدرجاً نحو توحيد الرؤية الاقتصادية العالمية على النمط الليبرالي الغربي ومع بزوغ أهمية تحول

---

(١) انظر: البيلاوي: النظام الاقتصادي الدولي، ص ٤٧، وانظر: فضل علي مثنى: الآثار المحتملة، ص ٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٨، وانظر فضل علي مثنى: الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية، مكتبة منبولي، ٢٠٠٠م، ط١، ص٤١.

الاقتصادات الاشتراكية إلى اقتصادات السوق، احتلت خصخصة المشروعات أهمية كبيرة في النشاط التمويلي للبنك [1].

الشروط الأساسية المصاحبة للقروض:

ولأن قروض البنك متعلقة ببرامج الإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي فإنها تشترط لذلك تنفيذ سياسات اقتصادية محددة، ولا يهمها بعد ذلك تنفيذ المشروعات المعينة، ويغلب على البنك طابع تصدير المعرفة وتقديم النصح أكثر من كونه مصدراً لتوفير الموارد المالية في كثير من الأحيان تكون قروض البنك الدولي أو صندوق البنك الدولي هي شروط للحصول على التمويل من المصادر التجارية، أو تكون إشارة إلى المستثمرين الأجانب لسلامة الأوضاع الاقتصادية في الدول النامية.

ثم ظهرت فلسفة جديدة سادت دوائر البنك، وتغيرت مع نهاية الثمانينات حيث دعت هذه الفلسفة إلى تشجيع دور القطاع الخاص، وتقليص دور الدولة والاهتمام بصياغة التصدير مع أن البنك كان في فترة الخمسينات والستينات يدافع عن تدخل الدولة المتزايد في النشاط الاقتصادي [2].

وإن كان ثمة تعليق على ما سبق فالملاحظ أن البنك يمثل إخطبوطاً سرطانياً يريد أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في النواحي الاقتصادية والسياسية، ويريد أن يجعل نفسه المعلم السامي والناصح الأمين، ويمهد بعد ذلك باسم الخصخصة للشركات الأجنبية التي تفوق قدراتها وإمكانياتها المدنية المفترضة سياسياً واقتصادياً، ومن هنا تصبح الشركة هي الدولة وتصبح الدولة مسلوبة الإرادة تماماً في ظل تواجد هذه الشركات المدعومة والمملوكة أصلاً لزعماء الدول الصناعية الكبرى وربما بل ومن المؤكد أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً باليهود فهم وراء كل فساد.

وبالإضافة إلى الشروط التي سبق وأن تعرضنا لها في سياسة صندوق النقد الدولي فإن البنك قد فرض شروطاً خاصة على الدول النامية إمعاناً منه في التدخل والرقابة

---

(١) د. حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي، ص ٤٩، وانظر فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٦٢، ٦٣ وانظر شايف الحسيني: حديث العولمة وآفاق تطور اليمن، ص٩١.

(٢) د. حازم الببلاوي: المرجع السابق، ص ٤٩.

الأمر الذي يتعارض مع مفهوم والسيادة الدولية والشروط مفصلة هي:

١- أن تلتزم الدول النامية بسيادة حكم القانون.

٢- لا بد من انتهاج أسلوب الديمقراطية في الحكم.

٣- النظر بعين الاعتبار إلى حماية حقوق الإنسان.

٤- النزوح إلى المعالجات السلمية للأسباب الحقيقية للنزاعات الداخلية وتحجيم العمل العسكري.

٥- الإفساح للمواطنين من غير فرق بين المرأة والرجل للمشاركة في الحياة السياسية الاقتصادية.

٦- تحقيق الإدارة الرشيدة للمال العام.

٧- العمل على معالجة الفقر ومشاكله ومسبباته.

٨- الحرص على مواجهة وقمع الفساد.

٩- العمل على تحقيق التوازن بين التنمية المستدامة وحماية البيئة.

هذا الأمر جعل من الدول النامية وخاصة الإسلامية مرتعاً للأجانب إلى التدخل المبرر وغير المبرر في شؤونها الداخلية وانتقاص سيادتها الوطنية وأخذ ما يملى عليها مقابل الاستفادة من الميزات المقدمة من المؤسسات المال العالمية المتمثلة بـ (الصندوق والبنك الدوليين).

وإلا فالحصار الاقتصادي السياسي والدبلوماسي ينتظرها وإلا لم فالتدخل العسكري إمعاناً من الدول الكبرى وقوى العولمة في ترسيخ النظام العالمي الجديد [1].

* * * * *

(١) عبد الوهاب مزارعة: البنك الدولي أهدافه خدماته، عن جريدة الثورة اليمنية، العدد (١٣٠١٦)، ص١١.

obeikandl.com

المطلب الرابع:
منظمة التجارة العالمية

توطئـــة:

تشكل التجارة العالمية الدولية العصب المركزي لاقتصاديات ودول العالم ولها أهمية عظمى في العلاقات بين الدول ومع هذه الأهمية فقد:

مرت التجارة الدولية بموجات من المد والجزر في مجال الحمائية - مثل الجمارك - والقيود النوعية والكمية على الواردات، ومن المعلوم فإن الحروب تشكل أكبر عائق أمام إنسيابية التجارة الدولية بسبب فقدان الثقة بين الدول التجارية، وكان يصاحب ذلك وقت تصدير واستيراد الذهب والفضة على وجه الخصوص بسبب كونهما نقوداً مقبولة في كثير من أنحاء العالم، ولمدة قرون طويلة، حيث يعتبران بمثابة غطاء إلزامي للنقود الورقية، ولما تغير وضع النقود، وأصبحت لا تصرف بالمعدن الثمين، خفت تلك الآثار من جهة، وزادت من جهة أخرى، فأصبحت الدول التجارية تتعامل بعملات قوية مصدرة في بلد غير مشمول بالحرب، وتمتد آثار الحروب الضارة لتشمل بتأثيرها السيئ كثيراً من الأدوات الاقتصادية، ومن هنا فقد كانت الحربان العالميتان الأولى والثانية، ذواتي أثر كبير وضرر بالغ على التجارة العالمية، وبرز هذا الضرر أكثر في البلدان المتقدمة، لذلك فقد قامت جهود كثيرة من العالم المتقدم المتضرر لتصحيح المسار السيئ والخلل الناتج من الحروب على التجارة العالمية.

وكان الحظ قد حالف الولايات المتحدة خاصة في هاتين الحربين إذ لم يلحقها أي أذى أو ضرر من تلكما الحربين، بل خرجت منتصرة، ففرضت سياستها على العالم بتشكيل مؤسسات ومنظمات عالمية، لتحل بها كثيراً من المشكلات التي نشأت عن تلك الحروب، ولم يفتها ذلك الوضع السيئ للعالم فحرصت على أن تكون أكبر المستفيدين من خلال تلك المؤسسات حيث كانت من أكبر الداعمين لها: مثل (منظمة الأمم المتحدة) والهيئات والوكالات التابعة لها، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير).

وكان الغرض الرئيسي منها ترتيب الوضع السياسي والاقتصادي في العالم، وفي

تلك الأثناء تم اقتراح إنشاء (منظمة التجارة العالمية)، وبالفعل تم ذلك من خلال مؤتمر (هافانا)، ولكن لم يكتب لهذه المنظمة البقاء والاستمرارية نتيجة لاعتراض الكونجرس الأمريكي عليها، نظراً لسحبها كثيراً من صلاحياته [1]، إلا أن جهوداً فردية من مسؤولي تلك القطاعات التجارية والاقتصادية التي لها علاقة بالحركة الانسيابية للتجارة الدولية بلورت من تلك اللقاءات أطراً حظيت خلالها بقبول عام بين الدول التي شكلت فيما بعد ما يسمى بالاتفاقية العامة للرسوم الجمركية والتجارة (الجات) (GATT).

فكرة منظمة التجارة العالمية:

إن فكرة إنشاء منظمة للتجارة العالمية وردت ضمن مؤتمر (هافانا)، حيث كان الهدف الرئيس تأكيد مبدأ حرية التجارة وإنشاء منظمة التجارة الدولية [2].

وقد سبق أن قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإعداد مشروع لإنشاء منظمة للتجارة العالمية قبل بروز (الجات) دعت إليه ضمن مؤتمر بروتون وودز إلا أن ذلك لم يتم في حينه، وتأخر هذا الموضوع قرابة خمسين عاماً إلى أن تم اتخاذ قرار بإنشاء هذه المنظمة ضمن قرارات الجولة الثامنة لاتفاقيات (الجات)وهي جولة الأورغواي

ويعتبر مؤتمر (هافانا) بمثابة اللبنات الأساسية لقيام منظمة التجارة العالمية [3].

وحتى تتضح فكرة منظمة التجارة العالمية فلا بد من إبداء فكرة موجزة عما سبقها وهيأ لظهورها وهو ما يتمثل في الاتفاقية العامة للتعريفات التجارية المعروفة يصير عنواناً اختصاراً بكلمة (الجات).

سعى المجتمع الدولي بخطى حثيثة نحو التغلب على الأثار والحد من نتائج الحرب العالمية الثانية وخاصة في الجانب الاقتصادي، وقد كان من أبرز نتائج هذا السعي وهذه

---

(١) عبد الناصر نزال العبادي منظمة التجارة العالمية واقتصاديات الدول النامية ط١/١٩٩٩م دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان صـ(٨٩، ٩٣)

(٢) د. حازم الببلاوي - النظام الاقتصادي الدولي المعاصر (من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة) سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٥٧) الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ط ١، ٢٠٠١م، ص ٦٠وانظر الببلاوي المرجع السابق صـ٦٢، ٦٣، وانظر فضل علي مشى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة مكتبة مدبولي ط١ / ١٤٢٠ه - ٢٠٠٠م صـ(١٤، ١٥)

(٣) عن محمد بن سعيد بن سهوايو زعرور - القات ومنظمة التجارة العالمية بين النظرية والتطبيق، دار البيارق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٣.

الجهود المؤتمر الذي عقد في براتين وودز (Bretton Woods) في الولايات المتحدة الأمريكية في شهر تموز ويوليو ١٩٤٤م وذلك لمعالجة الآثار والمشكلات الاقتصادية التي تعرضت لها دول العالم وحشد الجهود وتنسيقها لإعادة الوضع الاقتصادي إلى مساره الصحيح والسعي إلى تنظيم العالم اقتصادياً والنهوض به من جديد[١].

وقد كان من أبرز نتائج هذا المؤتمر إنشاء كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بحيث يقوم البنك الدولي بتقديم القروض للمشاريع في حين يقوم الصندوق بتقديم النصح والإرشاد للدول التي تعاني من مشكلات اقتصاد[٢].

كما تم عقد مؤتمر آخر في (هافانا) عاصمة(كوبا) بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع لهيئة الأمم المتحدة خلال الفترة من أواخر نوفمبر ١٩٤٧م إلى شهر مارس ١٩٤٨م حضره مندبو ست وخمسين دولة واتفقوا فيه على وضع ميثاق للتجارة الدولية (وهو الموضوع الذي أغفله مؤتمر براتين وودز في العلاقات الاقتصادية بين الدول) وأطلق على هذا المؤتمر اسم (ميثاق هافانا) وقد كان للولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة الدور الرائد في التخطيط للجان، والتوصل إلى صياغة أسس النظام التجاري العالمي الذي تضمنته مواد هذه المعاهدة [٣].

القواعد التجارية التي تم الاتفاق عليها بين الدول الأعضاء في ميثاق(هافانا) [٤]:

١- تخفيض التعريفات الجمركية ووضع بعض القواعد الخاصة بها التعريفات والرسوم الأخرى المتعلقة بالواردات والصادرات.

٢- حظر نظام الحصص على الواردات بشكل عام مع وضع عدد من الاستثناءات

---

(١) عن محمد بن سعيد بن زعرور، المرجع السابق، ص١٣.

(٢، ٣). انظر إبراهيم العيسوي، ص ٢٠، وانظر د. حزام الببلاوي النظام الاقتصادي الدولي المعاصر (٢٥٧) ص٦٢، وانظر فتحي يكن العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٦٨ مرجع سابق. وانظر فضل علي مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية صـ٨، د. إبراهيم العيسوي: إلغات وأخواتها - النظام الجديد للتجارة العالمية ومستقبل التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢/١٩٩٧م ص٢٠.

(٤) محمد سعيد زعرور: القات ومنظمة التجارة العالمية، ص ١١، د. مصطفى عبد الغني - الجات والتبعية الثقافية مركز الحضارة العربية، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٥، فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٦٨.

الهامة على هذه القاعدة.

٣- إلغاء إعانات التصدير.

٤- تحقيق التنمية الاقتصادية للدول الاعضاء.

ولما كانت الولايات المتحدة غير مستعدة ولا متهيئة لتنفيذ مثل هذه البنود خوفاً من أن يلحق تحرير التجارة في تلك الفترة الضرر في اقتصادها تمنعت من المصادقة على الميثاق بحجة حماية اقتصادها وصناعاتها العملاقة التي كانت تتهيأ للانتشار عالمياً، وهذا الموقف نابع من مصالحها ونفعياتها الزامنة الخاصة بها، حتى أنها لا تحركها إلا مصالحها فقط، وعندما نتعرض هذه المصالح أياً كانت لخطر ما فإنها تتحرك على الفور[١].

ولكن في هذه الأثناء وقبل أن ينتهي مؤتمر هافانا اجتمعت (٢٣) دولة في صيف عام ١٩٤٧م لمناقشة الأمور المتعلقة بتحرير التجارة فيما بينها، وعقدت هذه الدول اتفاقية سميت " الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (GATT) وتعتبر هذه أول جولة عقدت بشأن هذه الاتفاقية [٢].

وقد كانت تجري مراجعة هذه الاتفاقية بين الحين والآخر ليتم التطبيق العملي لها فتمت مراجعتها في المرة الأولى عام ١٩٥٥م ثم ١٩٦٥م وأضيف إلى الاتفاقية الجزء الرابع منها المتضمن للمواد (٣٦ - ٣٨) حيث أطلق على هذا الجزء من الاتفاقية تسمية (التجارة والتنمية) بهدف وضع قواعد خاصة بتحرير التجارة الدولية ومراعاة الدولة النامية من الأعضاء، ينص على قيام الدول المتقدمة بمنح الدول النامية معاملة تفضيلية في مجال التبادل التجاري، حتى وإن كان ذلك وفق أسس تناقض ومبادئ الجات الأساسية[١]. وقد خصصت جولات المفاوضات الست الأولى لبحث مسألة تخفيض

---

(١) محمد سعيد زعرور، القات.... ص ١١، د. مصطفى عبد الغني - الجات والتبعية الثقافية مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٥، د. إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها - النظام الجديد العالمية ومستقبل التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢ / ١٩٩٧م ص٢٠، فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص ٦٨.

(٢) انظر عبد الحليم محيسن أضوء على الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة (GATT) جمعية رجال الأعمال الأوروبيين وانظر د. حازم الببلاوي النظام الاقتصادية، ص٦٤.

(١) محمد زعرور الجات.. ص١٢.

الرسوم الجمركية، ثم تلتها الجولة الثانية التي عقدت في أنسي Anecy بفرنسا عام ١٩٤٩م حيث شاركت فيها ثلاث عشرة دولة.

أما الجولة الثالثة فقد عقدت في توركاي Torguay بإنجلترا حضرتها ثمان وثلاثون دولة، وعقد الجولة الرابعة في جنيف بسويسرا عام ١٩٥٦م وشاركت فيها ست وعشرون دولة أعطت هذه الجولات الأربع أهمية خاصة لموضوع تخفيض الرسوم الجمركية.

وهكذا تلتها جولات أربع أخرى عقدت الخامسة في جنيف بسويسرا أيضاً خلال عام ٦١ - ١٩٦٢م وسميت بجولة (ديلون Dillon) وهو وزير الخزانة الأمريكي آنذاك، وكان أهم موضوع بحث في هذه الجولة هو (أثر قيام السوق الأوروبية المشتركة على الجات) وقررت الدول المنظمة للسوق الأوروبية مساعدة وتقدم الامتيازات الخاصة إلى باقي الدول الأعضاء المتضررة من قيام السوق.

ثم عقدت الجولة السادسة في مدينة جنيف بسويسراً كذلك خلال الفترة من عام ٦٤ - ١٩٦٧م، وأطلق عليها اسم (جولة كيندي) وشاركت فيها اثنتان وستون دولة.

أما المفاوضات التجارية التي تمت في هذه الجولة فقد شملت موضوعين اثنين هما: -

١- تخفيض الرسوم الجمركية على السلع الصناعية بنسبة ٣٤٪. تشجيعاً لنمو التجارة العالمية.

٢- إحداث ما عرف باسم نظام مكافحة الإغراق أو السياسات الإغراقية (Anti - Dumping - Code) لتعارض ذلك مع المنافسة المشروعة[١].

الجولة السابعة والتي امتدت من عام (١٩٧٣ - ١٩٧٩م) وكانت أيضاً في جنيف وتعرف باسم جولة (طوكيو) البلد المضيف للجولة وبلغ عدد الدول المشاركة فيها تسع وتسعون دولة وشملت المناقشات موضوعين أساسيين هما: -

- تخفيض الرسوم الجمركية على السلع الصناعية والزراعية في الدول التسع

(١) انظر محمد زعرور المرجع السابق ص١٦، وانظر فضل مثنى المرجع السابق ص٤٩، والنظر إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها ص١٤، ٤٤.

الأكثر تصنعياً في العالم.

- دمج المعوقات غير الجمركية في المفاوضات التجارية متعددة الأطراف بهدف تسهيل أكثر لحرية التبادل التجاري بين الدول الأعضاء.

- ولقد أسفرت هذه الجولة عن عملية وضع أنظمة وقوانين اقتصادية ومحلية ذات العلاقة والأثر على حرية التبادل التجاري لا تسري إلاّ على الدول الموقعة عليها، وهي في الغالب نفس الدول التي تفاوضت فيما بينها من أجل الخروج بتفاهم مشترك حول السياسات والإجراءات الواجب على كل دولة الالتزام بها في كل نظام من الأنظمة السابقة ويمكن للدول غير الأعضاء في (الجات) التوقيع على الأنظمة السابقة والالتزامات ببنودها دون الالتزام بأسس ومبادئ عمل (الجات) الأخرى.

- وتم التوصل إلى أربعة قرارات مهمة أطلق عليها اتفاقيات الإطار القانوني تتخلص في[1]: -

١- المعاملة الخاصة والمتميزة للدول النامية تعني (المعاملة التفصيلية) التي تقدمها الدول المتقدمة، للدول النامية ولكن من غير أي صفة التزامية قانونية تترتب على عدم الوفاء بهذه المعاملة.

٢- اتخاذ قرار يتعلق بقيام الدول الأعضاء بإجراءات تتعارض مع مبادئ (الجات) الأساسية من أجل معالجة الخلل في موازين مدفوعاتها.

٣- اتخاذ قرار يجيز للدول النامية الأعضاء اتخاذ إجراءات حماية لصناعاتها الوليدة.

٤- كذا تم الاتفاق بين الأعضاء حول الموضوعات التالية: -

١ - عملية الأخطار أو التبليغ No Lification

٢ - آلية التشاور بين الأعضاء Consultation

٣ - معالجة الخلافات Dispute - settlement

٤ - الإشراف على تنفيذ بنود الجات Surveillance

(١) انظر محمد زعرور المرجع السابق ص١٨، وانظر د. البيلاوي النظام الاقتصادي ص٦٦.

وأخيراً جاءت الجولة الثامنة خاتمة الجولات ونقطة التحول الأخير، حيث كانت بمثابة انطلاق نحو العولمة وجاءت كضربة قاضية للدول النامية حيث فرضت الدول الصناعية الكبرى شروطها المجحفة فحررت التجارة وانتقال رؤوس الأموال، لكنها فرضت حماية مبالغ فيها للملكية الفكرية مما يجعل نقل التكنولوجيا والمعرفة أمراً باهظ التكلفة بالنسبة للدول النامية.

وعقدت هذه الجولة في عاصمة الأروغواي «بونتاوليسته إبستي» وذلك خلال الفترة ١٩٨٦م - ١٩٩٣م، بل وامتدت إلى ١٩٩٤م، وقد كان من المقرر أن تنتهي المفاوضات في عام ١٩٩٠م، إلا أن الفترة امتدت بسبب الأزمات والخلافات الحادة التي كانت تظهر من فترة لأخرى، خاصة في مجال تجارة السلع الزراعية وتجارة الخدمات، وقد شاركت مائة ودولتان في هذه الجولة، وتم عقد المفاوضات التجارية متعددة الأطراف في جنيف وأما الموضوعات التي تناولتها فيمكن حصرها في الآتي[1]: -

١- تجارة السلع الصناعية - الزراعية - الملابس والمنسوجات.

٢- مناقشة السياسات التجارية المحلية والمعوقات غير الجمركية (كسياسات الدعم - إجراءات الحماية - سياسات الأفراد).

٣- إدراج موضوعات جديدة في المفاوضات التجارية متعددة الأطراف مثل: -

أ- الإجراءات الاستثمارية ذات العلاقة بالتجارة.

ب- الاتفاقية العامة لتجارة الخدمات.

ج- حماية حقوق الملكية ذات العلاقة بالتجارة.

٤- إنشاء منظمة التجارة العالمية(world - trade organization w. t. o)

والملاحظ في الجولة الأخيرة.

أولاً إن إضافة ما يسمى بحماية الحقوق الملكية أو الفكرية إنما ينطوي على أسلوب

---

(١) انظر محمد زعرور الغات وتنظيم التجارة العالمية ص١٩و لمزيد من الإيضاح انظر د. إبراهيم العيسوي الغات وأثره ص٥١ - ٥٢ وانظر فضل علي مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية ص٥٤، ٦٠، ٦١، وانظر أ. محمد فائق - حقوق الإنسان في عصر العولمة رؤية عربية كلمة مقدمة في برلين عن أمين عام المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ٢٤ مارس ٢٠٠٠م.

ماكر وخبيث في السيطرة على العالم، وإنه بالنظر إلى جدول مشتملات الحقوق في الاتفاقية فإنها تشتمل على عدة حقوق منها: -

العلاقة التجارية - المؤشرات الجغرافية - التصميمات الصناعية - براءة الاختراع - حماية المعلومات - تصميمات المعروضات من الدوائر المتكاملة - السيطرة على الممارسات التي تعين التنافس في مجال التراخيص التعاقدية.

وتشدد الاتفاقيات على البند الأخير في محاولة منها لتوظيف المنظمات الدولية لمصالحها الخاصة.

ثانياً: توصلت أمريكا من خلال الجولة الأخيرة في (الجات) إلى إجراءات عنيفة في (تطبيق حقوق الملكية الفكرية) من أهمها إجراءات انتقامية أو قوة ردع عنيفة Enforcement Mechanism.

أي أن من يجاوز حدوده في (الملكية الفكرية) سوف يجازى سواء كان ذلك على مستوى الفرد بالسجن أو الغرامات المالية أو على مستوى الدول التي تنتهك سيادتها كأسلوب ردع عنيف إذا تجاوزت حدودها.

وظائف الجات: وعلى هذا فيمكن حصر وظائف الجات (Gatt) بالآتي[1]:

١- وضع التنظيمات اللازمة للتجارة الدولية والإشراف على تنفيذ المبادئ والقواعد والإجراءات التي تنظمها الاتفاقات المختلفة.

٢- وضع التنظيمات اللازمة لجولات المفاوضات التجارية متعددة الأطراف لتحرير التجارة.

٣- فصل وحل المنازعات الناشئة بين الدول الأعضاء...

أو بمعنى آخر:

١- إزالة الحواجز الجمركية التي تضعها الدول في وجه تحركات السلع عبر

(١) انظر: إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها، ص ١٤، مرجع سابق ومحمد زعرور الغات ومنظمة التجارة العالمية ص١٥، ١٩، وانظر فضل مثنى الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية ص١٧، مرجع سابق..

الحدود الدولية.

٢- فتح الأسواق وإتاحة أوسع الفرص والمجالات للمنافسة الدولية[١].

وفي سبيل تحقيق فتح الأسواق وضعت المنظمة مجموعتين من الالتزامات على الدول الأعضاء.

(١) د. فتحي يكن - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ص٦٦، مرجع سابق،

obeikandl.com

المجموعة الأولى:

١- عدم اللجوء إلى القيود الكمية على الواردات إلا في ضوء ما قررته الاتفاقية.

٢- معاملة الدول الأولى بالرعاية.

٣- مبدأ الثقافة.

وأما المجموعة الثانية فكلها تتعلق بمستويات التعريفة الجمركية مع ملاحظة الاستثناءات التي منحتها الاتفاقية للدول النامية الأعضاء مراعاة لظروفها وتيسيراً لحركتها الإنمائية.

والخلاصة التي توصلت إليها الجولات طويلة المدى أي من (١٩٤٧م حتى ١٩٩٤) هي:

١- تحقيق قدر متزامن من تعميق الصلات التجارية بين أعضائها بتحرير التجارة الجارية بينهم.

٢- المضي في تبادل المزيد من التخفيضات الجمركية، وإزالة العوائق غير الجمركية [١].

وقد كانت جولة أوروغواي بمثابة الطريق الممهدة لإنشاء منظمة التجارة العالمية والتي استمرت زهاء خمسين عاماً فجاءت الدعوة إليها لعدة عوامل منها[٢]: -

١- لإتمام صياغة جديدة تتمشى مع إعادة سياسة رسم الخريطة الاقتصادية للعالم.

٢- وضع قوانين لحركة التجارة العالمية من منظورها النظام العالمي الجديد.

٣- جاءت الدعوة إلى جولة أوروغواي من منطلق حرص الدول الصناعية على مواصلة سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي.

٤- الرغبة الملحة في احتواء النزاعات الاقتصادية التي تظهر من حين لآخر بين

---

(١) ود. سمير صارم، معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط١/٢٠٠٠ ص٢٤.

(٢) انظر: د. إبراهيم العيسوي الغات وأخواتها، وانظر د. محمد العصيمي منظمة التجارة العالمية والعولمة الاقتصادية عن مجلة البيان (١٧٠)، ص ٤٨..

الدول الصناعية الكبرى، والتي قد تتطور إلى حروب جارفة خصوصاً في مجال الأسواق، وذلك في ظل بروز اقتصاديات جديدة ناشئة كقوة ربما يكون لها السيطرة العظمى والمنافسة في المستقبل المنظور.

٥- ازدياد درجة الفوضى في النظام التجاري الدولي، كالتجاوز على قواعد الجات، والتحايل عليها بالاتفاقيات الثنائية، وضعت آلية فض المنازعات، وقدرة بعض الدول على عرقلة هذه الآلية.

٦- شعور الولايات المتحدة الأمريكية بهشاشة نفوذها الاقتصادي، وتآكله على الرغم من تعاظم دورها السياسي والعسكري، ورغبتها في تحسين وضعها وهيمنتها الاقتصادية من خلال حماية مصالح الشركات متعددة الجنسيات، وتوسيع نشاطها في شتى أرجاء العالم، مع إزالة العراقيل التي تحول دون ذلك[١].

وظائف منظمة التجارة العالمية:

ومما تضمنته جولة أوروغواي الاتفاق على إنشاء منظمة التجارة العالمية، وذلك لتولي المهام التالية[٢]: -

---

(١) ويندرج تحت هذا العامل عدة عوامل أخرى منها:
تنامي قوة اليابان والدول الآسيوية حديثة التصنيع.
سياسة الدعم الزراعي في أوروبا خصوصاً سياسة دعم الصادرات الزراعية الأوروبية التي أصبحت الدول الأوروبية ذاتها تنوء بأعبائها الثقيلة من ناحية، وأدت على تناقص نصيب الولايات المتحدة الأمريكية في الأسواق الزراعية.
ومنها تنامي قطاع تجارة الخدمات وتطلع الولايات المتحدة على فتح المزيد من الأسواق اعتماداً على ما تملكه في هذا المجال من مزايا نسبية ضخمة.
تنامي التجارة في حقوق الملكية الفكرية، ومن ثم ظهرت الحاجة على فرض الانضباط في هذا المجال لحماية مصالح هذه الشركات، دعم نفوذها في الأسواق المحلية، ورغبة الولايات المتحدة والدول الصناعية الأخرى في تمكين شركاتها الكبرى من العمل في أية رقعة على الكرة الأرضية من دون قيود تجارية، أو غير ذلك من الإجراءات المعيقة لحركتها عبر الحدود، وإن بروز مثل هذه القضايا فيه دلالة واضحة النوايا للدول الصناعية الكبرى، وخاصة الولايات على النحو الذي يعزز قدرة الدول الصناعية الكبرى في المجال الثقافي مع الحيلولة دون ظهور أي منافس خاصة من الدول النامية.
(٢) انظر إبراهيم العيسوي الجات وأخواتها، ص ٤٧، ٤٨، مرجع سابق، محمد سعيد بن زعرور - القات ومنظمة التجارة العالمية، ص ٤٥ مرجع سابق، وسمير صارم - معركة سياتل، ص ٢٢.

١- الإشراف على تنفيذ الاتفاقات المنظمة للعلاقات بين الدول الأعضاء بما في ذلك الاتفاقات الجمعية.

٢- تنظيم المفاوضات التي ستجري بين الدول الأعضاء، والفصل في المنازعات التي قد تنشأ بينها.

٣- متابعة ومراقبة السياسة التجارية للدول الأعضاء وفق الآلية المتفق عليها.

٤- التعاون مع صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي والوكالات الملحقة بهما من أجل تأمين المزيد من الاتساق في محلية صنع السياسات الاقتصادية على الصعيد العالمي.

وأصبحت (منظمة التجارة العالمية W. T. O) ذات صفة قانونية مستقلة لها كافة الحقوق والامتيازات الممنوحة لوكالات الأمم المتحدة، وهي تمثل الإطار التنظيمي والمؤسسي الذي يحوي كافة الاتفاقات التي أسفرت عنها مفاوضات جولة(الأروغواي)، وقد أنيطت بها مسؤولية الإشراف والتنظيم والمتابعة والمراقبة والمذكورة أعلاه وعلى ذلك فقد شكل لها هيكل تنظيم يتكون من:

١- مجلس وزاري. ٢- مجلس عام. ٣- مجلس تجارة السلع.

٤- مجلس تجارة الخدمات. ٥- مجلس الملكية الفكرية.

وتعمل هذه المجالس عدا المجلس الوزاري - تحت إشراف المجلس العام، ولها أن تنشئ أجهزة فرعية حسب الضرورة [١].

ومن الجوانب التي استحدثت في المنظمة:

جانب السلع الزراعية - كيفية النفاذ للأسواق - الملكية الفكرية - الاستثمار الأجنبي - جانب الخدمات كالتأمين والمصارف - الملاحة - النقل، وغيرها.

مسألة السماح للدول الأعضاء باتخاذ إجراءات لمكافحة الإغراق - الدعم ضد إدخال المنسوجات ضمن الاتفاقية.

---

(١) سمير صارم - معركة سياتل ص ٢٤، ٢٥.

ولهذا فقد تكلل النجاح في هذه المنظمة وأخصُّ ما ترمي إليه من أهداف تتمشى مع مصالح الأقوياء والكبار واتسعت الهوة وتعمقت بين الأغنياء والفقراء، بين الأقوياء والضعفاء، كل ذلك على حساب الدول النامية بما فيها الإسلامية، وازداد الأغنياء غنى والفقراء فقراً.

نتائج جولة الأوروغواي السلبية على الدول العربية: –

أسفرت دراسات مؤتمرات عدة ركزت جهودها حول معرفة آثار الجات على الدول العربية من بين المؤتمرات المؤتمر المنعقد في المنامة في شهر مارس عام ١٩٩٦م وانتهى المؤتمرون بالحقائق التالية[١]: -

١- إن العرب والمسلمين لا يمكن أن يكون لهم دور فاعل إلا إذا انضموا إلى منظمة التجارة العالمية ككتلة وليس كدويلات متناثرة مما يعزز قوتها التفاوضية، وإعلاء الشروط للتبادل التجاري.

٢- الوضع الحالي للصناعات البتر وكيماوية قد تؤدي في أحسن الأحوال إلى عدم زيادة الصادرات العربية بسبب تعرضها للمنافسة من قبل الواردات المماثلة [٢].

٣- لأن النظام التجاري الموقع عليه يفترض لاستمرار صناعة ما خفض كلفة الإنتاج والمحافظة على جودته وهو ما لا يتوفر في المنتجات العربية الآن، فإن من المتوقع أن ينخفض حجم الصادرات العربية.

والملفت للنظر أن أهم إنتاج عربي وعالمي، وهو النفط الذي يمثل ٨٠٪ من الصادرات العربية لم تشمله اتفاقيات الجات الأخيرة مما يتيح للدول الصناعية التحكم في سوقه، ووضع القواعد التي تراها مناسبة لها، فهي تفرض ضريبة على كل برميل نفط حماية للبيئة من التلوث، وتعطي لنفسها المرونة في هذا المجال حتى تسمح لها بتطبيق القواعد التي تراها مناسبة، وتحقق أكبر نفع مادي لها.

---

(١) عن د. أحمد بالوافي العربو تحديات القرن الحادي والعشرين الحلقة الثالثة، عن مجلة السنة الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام - بريطانيا العدد٥٧ محرم سنة ١٤١٧هـ، ص٣١..

(٢) عن الصحف العربية ١٧، ١٨/٣/١٩٩٦م.

والجدير بالذكر أن أكبر مستفيد من هذا الوضع هي الولايات المتحدة الأمريكية[1].

وحول إنتاج الدول العربية للأدوية والمستلزمات الطبية انتهت الدراسة التي أعدها الاتحاد العربي في نفس التأريخ السابق ١٩٩٦/٣م إلى نتائج سلبية مشابهة لما أسفرت إليه الدراسات المذكورة أعلاه.

ومما أثبتته هذه الدراسة: أن مسألة حقوق الملكية الفكرية الواردة في الاتفاقية إنما فرضت كحرب غير عادلة على الدول العربية بما حدث من قدرتها على مجاراة التكنولوجيا الدوائية الحديثة لتوفير دواء فعال وبسعر معتدل لمواطنيها.

ومن آثار (الجات) التي أثبتتها هذه الدراسة على صناعة الأدوية العربية ما يلي: -

١- زيادة فاتورة الاستيراد مع تراجع حجم الصادرات.

٢- تراجع الإنتاج الدوائي العربي.

٣- التضييق على المستوردين والموزعين [2].

والخلاصة أن المستفيد الأكبر هو من يقدر على التصنيع بكفاءة واقتدار، ومع ما قيل عن حرية التجارة والدعاية الإعلامية الكبيرة إلا أن قانون الغاب يبقى هو الغالب.

انطباعات الغربيين عن منظمة التجارة العالمية:

بحسب تعبير صحيفة الإندبندنت البريطانية فقد وصفت منظمة التجارة العالمية بـ:

١ - «إنها تتمتع بسلطات تفوق سلطات الحكومات، حيث تؤثر قراراتها على حياتنا وتستطيع ضرب القوانين التي توافق عليها أقوى وأكبر الحكومات ديمقراطية، كما تستطيع شن الحروب التجارية، ويمكنها جعل بنود الاتفاقات الدولية التي صدقت عليها دول العالم الثالث بلا قيمة» [3].

وتضيف الصحيفة قائلة:

---

(١) عن الحياة ٣ /١٩٩٦/٤م.

(٢) د. أحمد بلوافي، عن مجلة السنة، العدد ٥٧ محرم ١٤١٧هـ، ص ٣١، ٣٢، ٣٣.

(٣) انظر د. سمير صارم - سلسلة قضايا الساعة - معركة سياتل - حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر،ط١/٢٠٠٠، ص٢١.

٢ - «إن الطريقة التي استغلت بها هذه المنظمة سلطاتها في اتخاذ أحكام ملزمة قانوناً في النزاعات التجارية الدولية، والتفويض بفرض عقوبات تجارية قد أدت إلى القول أنها منظمة السيطرة على العالم ففي سلسلة من الأحكام قامت المنظمة بضرب العديد من الإجراءات التي قصدت بها مساعدة الفقراء، وحماية البيئة، وذلك لصالح شركات خاصة تكون في الغالب أمريكية» (١).

ونقلت الصحيفة عن (روني هول) من منظمة (أصدقاء الأرض الدولية) قوله: " يبدو أن منظمة التجارة العالمية قد بدأت حملتها لزيادة الأرباح الخاصة على حساب كل الاعتبارات الأخرى، ومن بينها حياة البشر في كل أنحاء العالم، ويبدو أنها تشن حملة قاسية لإحراز المزيد من السلطات "(٢).

* * * * *

المبحث الثاني:
الأدوات الثقافية

– توطئة لنظريتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات:

لقد أبرزت مقالتا نهاية التاريخ وصدام الحضارات عمق النزعة الاستعلائية الغربية، حيث أراد الغرب من خلالهما إثبات تفوقه الحضاري والثقافي وكل ما عدا الحضارة الغربية أو الثقافة الغربية لا ينبغي له أن يظهر على الساحة، بل يجب أن ينطوي وينطمر أو يذوب ضمن الحضارة الغربية.

وبدافع الغلو والكبر والغرور والشعور بالفوقية استخدم الغرب تكنولوجيا المعرفة وثورة الاتصالات لاختراق الثقافات وتذويبها ومحو خصوصيتها، ولما لم يكفهم ذلك لجأ مفكروهم إلى إخراج آخر لهذا الدافع فشن حرباً كلامية ومقولات جرائدية سرعان ما أصبحت تروج على أنها نظريات ودراسات كان من أبرزها: -

---

(١) انظر: د. سمير صارم - سلسلة قضايا الساعة - معركة سياتل - حرب من أجل الهيمنة، دار الفكر المعاصر،= =ط١/٢٠٠٠، ص٢١.

(٢) عن صحيفة القبس ١٩٩٩/٨/٢١م منظمة التجارة العالمية تعمل لصالح الأقوى، مركز الخليج والدراسات الاستراتيجية.

- مقولة " نهاية التاريخ " (لفرنسيس فوكوياما).

- ومقولة " صدام الحضارات " (لصموئيل هينتنغتون).

كلاهما قد اشتركا في استعداء الإسلام واتخاذه عدواً واعتباره نقيضاً للقيم الحضارية التي جاء بها الغرب المتمثلة بقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان كما يريد الغرب وحده لا كما تصبو إليه الإنسانية جمعاء. وسأحاول التحدث عن هاتين المقالتين مع التركيز على المقولة الأخيرة (صدام الحضارات) حيث أنها أثارت ضجة واسعة، وحظيت بأصداء بين النخب الفكرية وكان الترويج لها أكثر من سابقته، لما طرح صاحبها من مفاهيم أثارت الحفائظ وزرعت الضغائن وهذا ديدن يهود دائماً.

إن هاتين (النظريتين) بمثابة رسالتين للنظام العالمي الجديد، وصاحباهما قد أعدا أنفسهما ليكونا رسولين مبشرين لهذا النظام (الدين الجديد) المسمى بالعولمة.

إنهما يعكسان فلسفة الجدل العقيم والحديث السقيم وهما صورتان بارزتان لتشويه وإغفال معالم وحضارات وثقافات وخصوصيات سائر الأمم والشعوب. إنها دعوة واضحة إلى الجهوية والصدامية. فلسان حالهما: أن هذا النظام الجديد أحق بالاتباع من غيره متذرعين بحجج واهية أو هي من خيوط العنكبوت، ومتعمدين تشويه التأريخ، وتزييف الحقائق، زاعمين أنهم وصلوا بالعالم إلى بر الأمان، وإلى النهاية التي ليس بعدها إلا الهلاك، فلا يحق بعد هذا أن يخالفهم أحد أو يجرؤ على معارضتهم.

إنها روح الهيمنة ونزعة السيطرة التي تتعمد إقصاء الآخر وتهميشه وتذويبه، إنهما يزعمان أن الحضارة الغربية هي التي يجب أن يحذو حذوها كل من يريد أن يتبوأ مكانة محترمة ومقبولة في هذا العصر وإلا كان فيه بجسده، وخارجه بروحه وفكره، لكن الأصداء السلبية والردود والتعقيبات الكثيرة عليهما أكبر دليل وأوضح برهان على عدم قبولهما ولا سيما المجتمعات المتفتحة والمتفوقة.

قد جاءت (نظرية) صدام الحضارات كأسلوب ضغط تخويفي وترهيبي وتركيع

للعالم وخصوصاً العربي والإسلامي فيه.

وجاءت نظرية نهاية التأريخ كأسلوب ضغط آخر استخدم عامل الترغيب والحث على الانضمام إلى هذا الركب الذي سينقذ العالم من جراء التخلف والفقر والمرض باسم الحضارة مستخدماً أقصى ما يملك من ثورة التكنولوجيا والاتصالات والمعرفة!! وفي الأخير فإن المستفيد الأكبر هي الدول المالكة لتفوق اقتصادي يمكنها من فرض مصالحها على العالم وبالأخص أمريكا وحدها.

* * * * *

المطلب الأول:
مقولة نهاية التأريخ

جاءت مقولة فوكوياما (نهاية التأريخ) كتوظيفٍ واضحٍ للعديد من المفاهيم الفكرية والفلسفية التي تعمل في سلك خدمة النظام العالمي الجديد وتروج له كنسق فكري ومعطى اقتصادي وسياسي ثقافي حضاري، حيث ينطلق من حتمية نجاح الرأسمالية الليبرالية واقتصاد السوق وفق النمط الأمريكي القائم على العلوم والتكنولوجيا، تقود حتماً إلى قيام النظم الديمقراطية الليبرالية.

وبعبارة أخرى فإن العلوم والتكنولوجيا هي طريق الرأسمالية التي هي السبيل الأوحد للحرية، واستقلالية الفرد ورخائه، والحرية هي الطريق المفتوح لقيام الحكم الديمقراطي الليبرالي الذي هو (نهاية التأريخ)[1].

وإن وقفة تأمل وتمحيص لهذا المنطق المتسلسل في ظاهره يقودنا حتماً إلى اكتشاف الاختزال والتبسيط والإشكال من طرح مصطلح نهاية التأريخ[2] ويظهر الاختزال والتبسيط في:

- نسق التطور المزعوم الذي لا يمكن أن يحصل في مجتمع بعينه، فكيف يتم ذلك في مجتمعات عدة! كالمجتمع الدولي مثلاً!!

---

(1) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١/ ١٩٩٩م ص٢٣ وما بعدها.

(٢، ٣) المرجع السابق ص ٢٤.

- وإن الديمقراطية الليبرالية المزعومة لا يمكن أن تصل في أي مجتمع إلى ما وصلت إليه الآن في المجتمع الأمريكي الذي يضرب به المثل (كمجتمع مثالي)!! حسب تخرصاتهم.

- ونظرة فاحصة للتأريخ فإن إفرازات النظم في تأريخ المجتمعات الغربية قد مرت بنزعات استبدادية متطرفة، فكيف بالمجتمعات قاطبة!! [٣].

وأما الإشكال في المصطلح فيبدوا جلياً من العنوان! حيث يحوي العنوان (نهاية التأريخ والإنسان الأخير) بذور النفي المولد لمعاينة أي أن انتفاء المعنى يولد معنى جديداً فعنوان (يؤسس على الهدم والعدم) إذ تنذر ضمنياً كل نهاية ببداية أخرى لا تنطلق من الصفر، بل من الفرد الأوحد " الأخير " المتبقي (النظام الليبرالي) الذي هو أمل البعث الجماعي المتجدد، ويستغل كلمة تأريخ لغرض الفهم على القارئ بأن منطلقاً وحركية جديدة مغايرة لما ساد إلى حد الأن سوف يحرك البشرية ويقود نسق ونمط تطورها (العولمة) [١].

إن مقولة (نهاية التأريخ) [- التي تطورت إلى أطروحة وكتاب -] تسعى إلى إلغاء البعد التاريخي ووضع الأمم والجماعات كافة عراة قبالة الصنمية الاقتصادية التي تنزع إلى تسوية الجميع إزاء مطالبها، وتعمل على أن تصل بالعالم أجمع سوى عالم الأقوياء، إلى الانسلاخ من تأريخهم وإفقادهم روح التميز عن الآخرين (الهويات)، وتريد منهم أن يلتصقوا بالقوى المتحكمة في آليات الاقتصاد العالمي، وأن تجرد العالم من بطانته الروحية، والوجود من تجذر في الغيب، وتمنح السلطة المطلقة للاقتصاد فيميل بالميزان، ويكون الإنسان هو الخاسر الوحيد في ظل ضياع وتجاوز منظومة القيم الخلقية وثوابت العقائد والأديان والمطالب الأساسية للإنسان، ومن وراء ذلك تكمن الخبرة الصليبية واليهودية والاستعمارية والرأسمالية[٢].

وتعمل هذه(الأطروحة) في إطار البعد الثقافي للعولمة، وكأداة من أدوات العولمة الثقافية، حيث يبشر صاحبها بمولد عالم جديد يقفز على كل الأبعاد الثقافية والحضارية،

---

(١) انظر عماد الدين خليل - العولمة عودة إلى الاستعمارات العتيقة بثياب جديدة - النور العدد (١٠٤) شعبان ١٤٠٢هـ ص٢٦.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٤.

وحتى السياسية على الشعوب، وكذا على الأفراد، بنفي حق الاختلاف في الفكر والممارسة والعادات والتقاليد والعقائد والأعراف واللغات وكل الجماليات المتنوعة ليحصرها فيما بشر به من نهاية التأريخ والإنسان الأول! ما الأول؟ ليعلن مع ذلك كله نفيه للمرجعيات والحضارات والثقافات المكتسبة، وليقدم من خلال هذه (الأطروحة النموذجية) المثل والحل الأوحد والأداة الموصلة إلى الحكم الديمقراطي الليبرالي (الإنسان الأخير) كأيدلوجيا جديدة بهيمنة النمط الأوحد وديكتاتورية النيوليبرالية التي تفادي المصطلح وتفيد في الحقيقة المادية معناه[1].

إن هذا التبشير بتعميم هذا النظام الجديد (العولمة) هو في الحقيقة اعتداء سافر على غرائز الشعوب، المتمثل بخصوصياتها الثقافية الذي يعتبر مقوماً من مقومات وجودها كالديانات والعبادات والطقوس والفلسفات والمسرح والآداب والأفكار والفنون والطرق الخاصة باللباس والأكل والأعياد والعلاقات الاجتماعية والإبداعات واللغات والسمات والقسمات التي تميز هوياتها عن هويات غيرها من المجتمعات [2].

ومن ثم ترفض هذه المجتمعات وخاصة النيرة منها والمعتزة بمبادئها، أيَّ تعميم يفرض عليها، سواءً من قبيل النظريات، أو من قبيل الطرح المباشر عبر آليات وأدوات ووسائل الإعلام المباشر وغير المباشر، المسمى بالنظام السمعي والبصري، الذي ينقل الصورة والفكرة مع القيم والسلوكيات، ويفرض وعياً معيناً ليصل في النهاية إلى فرض أيدلوجية يتقبلها العام والخاص باسم التحديث والتوفيق والانفتاح والتقدم تحت أي مسمى من مسميات العصر كالعولمة أو غيرها.

ولذا " وإنها رؤية خاطئة بحسب عماد خليل تتشكل على النقيض من قوانين التأريخ الذي جبل على التغاير والتنوع والتدافع والاختلاف.

قال تعالى:{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ} [3].

---

(١) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - ص٢٥ مرجع سابق.

(٢) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - ص٢٥، وانظر نفس المعنى د. حسن حنفي - ما العولمة - تعقيباً على د. صادق العصم - غير أنه لم يتطرق إلى الدين أو المعنى الروحي، وانظر حسن قطامش - عولمة أم أمركة - مكتب الطيب القاهرة ط١/١٩٩٩م ص٥٢.

(٣) (البقرة آية ٢٥١).

وقال تعالى:{وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ} [1].

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[2].

لقد جبلت النفس البشرية على الانتماء للتأريخ وكل محاولات فك هذا الارتباط (بين الإنسان وتأريخه) باءت بالفشل، وبقي العمق الزمني الذي ينطوي على الخصائص والمقومات ماضياً لكي يعمل عمله في صميم الممارسات والخبرات[3].

إن مقولة (نهاية التأريخ) هي في الحقيقة تحطيم لأسطورة التأريخ أولاً، ونهاية لرموز الشعوب وعلامات الأزلية، وعلاقتها الحميمة بالزمن، يهدف منها إلى أن يعيش الإنسان لساعة ويحيا للاستهلاك، ولا معنى للغد في قاموسه، لأن التأريخ قد مات وانتهى، رغم عظمته، ودروسه وسجلاته، فما بالك بالإنسان هذا الكائن البسيط، الباحث باستمرار عن وجوده [4].

بل إنها كما يصورها حاتم: " اقتراح لدعاة العولمة مقابل كليانية وقمعية النظم الشيوعية، ودكتاتورية البرولتبتاريا وهيمنة ووحشية ودكتاتورية الماليين، ومختلف المؤسسات التجارية والمالية العالمية باسم الحرية والديمقراطية ذاتها [5].

إن من الأسباب التي طرحت لأجلها هذه الأطروحة كما يبدو هو إعلان نهاية الماركسية كمنظومة فكرية وأداة لرصد وتحليل أوجه الصراع، ودرجات حدته وتطوره داخل المجتمعات أو فيما بينها، لأنها (الفكرية الماركسية) قائمة على التأريخ فجاء فوكوياما ليعلن عن فكرة نهاية التأريخ فتنتهي بها المنظومة الفكرية الماركسية وتموت بمماته وهذا هدف خطير وغاية خسيسة والكلام لحاتم عثمان يريد أن يصل إليها المتحدث الغربي بلسان فوكوياما ليجعل من الإنسان (غير الغربي) فرداً استهلاكياً وهدفاً استثمارياً يعيش لنفسه وشهوته وساعته ويحيى مستهلكاً نهماً شرهاً كالحيوان ولا يرتبط

---

(١) (هود آية ١١٨).
(٢) (الحجرات آية ١٣)
(٣) انظر عماد الدين خليل العولمة عودة إلى الأستعمارات المرجع السابق ص٢٦، ٢٧.
(٤) حاتم بن عثمان - العولمة والثقافة - ص٥١، ٥٢ مرجع سابق.
(٥) المرجع نفسه، ص٥٥، ٥٦ مرجع سابق.

بالماضي ولا ينجذب إليه، بل الحاضر هو الأصل وعليه أن ينسى ذلك الماضي وما يحتويه وتأريخه المجيد وعظمته السامية. وليعيش للقيم والمثل الغربية التي هي المحطة النهائية عنده.

بعكس ما هم عليه، فإنهم يولون التأريخ أهمية خاصة في التعامل المالي مع الأمم والشعوب الأخرى فقد قال ترنت ستيف (Trent Stave): " إن الإحصائيات موجودة في الكمبيوتر، لكن الأهم هو الجو العام، التوترات والصراعات الخفية، ولذا عليك بالتأريخ فمن يدرس تأريخ بلد ما، سيكون بوسعه التنبؤ على نحو أفضل بما سيحدث عند اندلاع الأزمات "[1].

مع أن كتاب ربنا سبحانه وتعالى يجعل من الماضي تأريخاً مهماً لاستلهام العبر ودروس العظات وأخذ الفكر والنظر فيه بعين الإعتبار قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[2].

ففي التأريخ العبر، وفيه الذكرى وفيه الحق، وفيه التثبيت للأنبياء وللدعاة بعدهم وفيه تفصيل وفيه الهدى والرحمة للمؤمنين وفيه..... إلخ.

فإهمال التأريخ دعوة لإهمال ما في القرآن والسنة والسير والتراجم، وغيرها مما نستلهم به حاضرنا من ماضينا وماضي من سبقنا.

* * * * *

المطلب الثاني:
صراع الحضارات

إن سنة التدافع والصراع بين أهل الحق والباطل معلومة لدى المسلم من الدين بالضرورة، فهي مما لا ينبغي أن يخفى عليه أو أن يجهله، وهي سنة قديمة قدم الخلق وماضية إلى قيام الساعة، وقد بدأت بالتحديد من يوم أن أمر الله تعالى ملائكته أن

(١) د. محمد مقدادي العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٠٨.
(٢) يوسف آية (١١١).

يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر اعتراضاً واستكباراً واستنكافاً فأضمر العداوة لآدم وذريته من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، فمنذ ذلك الحين والصراع حتم ولازم وسنة جارية. قال تعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[1].

ومن حين أقسم إبليس ذلك القسم المذكور في سورة (ص) وغيرها من السور القرآنية بدأ الصراع وسيظل إلى يوم القيامة سنة من سنن الكون لا تبديل ولا تغيير، وأما مقولة صراع الحضارات التي توجس كثير من المسلمين منها خيفة وزرعت في قلوبهم الهلع فما هي من الحقيقة ببعيد، وإن أصل فكرتها رد على فكرة أخرى سبقتها وهي فكرة نهاية التأريخ التي حاول صاحبها أن ينفي دواعي الصراع ودواعي التسليح بانتهاء الناس إلى نهاية الديمقراطية والليبرالية الجديدة ذلك بأنها حرس الأمان، وقد ظن صاحب مقال (صدام الحضارات) أن نظريته جديدة، وأنها إبداع واستراتيجية قدمها خدمة لسادته وأهل ملته، فأخذ يعرض فيها بالإسلام والمسلمين ويركز عليهم، وأنهم قوة الشر التي ستقف في وجه الخير الذي يزعمون (الحضارة الغربية)، مع أنها في الأصل جاءت كصاعقة تدميرية للفكرة السابقة (فكرة فوكو ياما) القائلة بنهاية التأريخ والتي فسرت تلك المنظومة السوفيتية على أنها انتصار للقيم الليبرالية على القيم الشيوعية، وتأكيد لمصداقية النظام الرأسمالية والاقتصاد الحر، وتهافت نموذج المساواة الاقتصادية والاقتصاد المسير، وأن التهديد العسكري والسياسي والثقافي والاجتماعي الذي كان يكمن في ذلك النظام البائد، قد اضمحل وانتهى وبقيت المنظومة الفكرية الاجتماعية القائمة على التصور الليبرالي الذي يمثل أعلى مراحل الرأسمالية ولم يعد ثمة حاجة إلى إحداث أي تغيير في التصورات النظرية والبنية الفعلية للمجتمع الغربي، وأن التناقضات

(١) (سورة، ص آية: ٧١ إلى آية ٨٣).

التي كانت موجودة قد انتهت[1].

وأصبح النموذج الغربي ممثلاً بالليبرالية خيار ومنتهى العالم الحر. بل هو الاختيار الوحيد والسديد لجميع الغرب بما فيها تلك الشعوب التي كانت ترزح تحت الحكم الشمولي والأيدلوجية الاشتراكية خاصة بعد الانهيار السريع للاتحاد السوفيتي، التي تناثرت شعوبه كعقد انخرطت حباته، وتساهلت الدولة العجوز فأعطت الحرية للشعوب التي كانت تعتنق فكرتها لتواجه مصيرها بنفسها، وهذا يعني ضمنياً أن الغرب لم يعد يحتاج إلى ميزانية دفاع ليواجه بها خصماً آخر وعدواً جديداً [2].

وكذلك يعني بالنسبة لأمريكا أنه ينبغي لها أن تستعد لتستلم زمام قيادة العالم [3]. وقد روج لهذه الفكرة فوكو ياما بإخراج أسماه (نهاية التأريخ) ثم يأتي هنتغتون بهذه النظرية الجديدة (نظرية صدام الحضارات) ليدحض بها فكرة نهاية التأريخ أن كانت تتضمن معنى أن الليبرالية لم تعد تواجه عدواً خارجياً جديداً، أو أنه آن لها أن تستريح.

إن لسان حاله - وهو الرجل المعروف المرموق الذي قد تعود على الكتابة المنظمة المنهجية والمتخصص في الإدارة العامة ومدير معهد جون أولين للدراسات الإستراتيجية بجامعة هارفرد الشهيرة، وقد كرس صياغة لموضوع الاستراتيجية العسكرية بحثاً وتدريساً - يقول: إذا كانت هذه هي النتيجة فمن الصعب إقناع الناخب الأمريكي والكونجرس الذي يمثله بضرورة الموافقة على ميزانية وزارة الدفاع المرتفعة جداً، إن هذه الحقيقة هي التي حركت هنتغتون بفعل من نفسه أو بفعل فاعل!! وهو الاختصاصي كما أسلفت في "الاستراتيجية العسكرية" ليتصدى - بحسب الجابري - بسرعة وعنف لفكرة(نهاية التأريخ)[4].

ليقرر أن التأريخ لم ينته وأن الصراع مستمر والصدام سيبقى، ولا يختلف الباحث مع هذا الرأي من حيث هو، إذ أن ما يسمى بالصراع بين الحضارات هو مقرر في

(1) د. لؤي الصافي - العولمة والمشروع الحضاري الإسلامي الغرض والتحديات - عن مجلة الكلمة العدد ٢٨ صيف ٢٠٠٠م.

(٢) د. محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر صراع الحضارات - عن مركز دراسات الوحدة العربية ط١ ١٩٩٧م ص٩٥.

(٣) عن هشام سعيد شمسان - مجلة الثورة الملحق الثقافي - بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٥م ص٨.

(٤) د. محمد الجابري - ص١٥ مرجع سابق.

صميم ديننا بسنة التدافع بين الحق والباطل وبين الخير والشر بين الهدى والضلال بين النور والظلام. وعلى المسلمين أن يعوا هذه الفكرة تماماً ويتحملوا مسؤولية ذلك، والله عز وجل يقول:{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ} [1].

صاحب المقالة هنا يقرر نفس الفكرة، إلا أن الفرق بين فكرة الإسلام وفكرة الغرب أن الإسلام يريد بالأمم الخير والرشاد والهداية والصلاح في حين أن الغرب يريد الهيمنة والسيطرة والعلو والفساد في الأرض وإن أفضل استراتيجية لإبطال فكرة وطمرها بحسب الجابري، هي الترويج لفكرة تقرر العكس دون الدخول معها في جدال صريح[2].

" إن محاولة إماتتها والكلام للجابري هو الطريق الأقوم لتحقيق الفكرة المضادة "، التي لاقت استحساناً من الحكومة الأمريكية - قائدة النظام العالمي الجديد - وانعكس ذلك الاستحسان لينفذ كسياسة مستقبلية للولايات المتحدة فروجت لها وسائل الإعلام الأمريكية والدولية وعلى الرأي العام الدولي، وتشارك العالم الثالث ومنه العالم الإسلامي كفكرة مسلمة واستسلم لها الكثير وانهزم أمامها وما كان لهم ذلك. والله تعالى يقول:{وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[3].

فالصراع أو التدافع أو التداول أو الحوار الحضاري سنة اجتماعية من سنن الله تعالى كما سلف لا تتبدل ولا تتخلف، كما أنها سنة فردية أيضاً فالإنسان كفرد ليس خارجاً عن دائرة الصراع والتدافع الذاتي في الاختيار بين دوافع الخير ونوازع الشر في نفسه لأن في ذلك تتحدد حرية الإنسان في الاختبار، وتتميز كرامته، وتبيين فضله. والشر من لوازم الخير، وبضده تتميز الأشياء. [4] والصراع سبيل الحيوية وعلامة الحياة والاستمرار، وهو إحدى محركات الحياة، وهو صور وضروب منه ما يأتي على شكل حوار، ومثاقفة ومناظرة، ومنه ما يكون على شكل آخر كالقتال والمواجهة

---

(٢) (الحج آية ٤٠)

(٢) د. محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر صراع الحضارات - مرجع سابق، وانظر د. يوسف القرضاوي - المسلمون والعولمة - ص١١١ مرجع سابق.

(٣) (آل عمران آية ١٣٩)

(٤) د. عمر عبيد حسنة مقدمة لكتاب د. أحمد القديري كتاب الإسلام وصراع الحضارات أحمد القديري - ص١٠ سلسلة الأمة (٤٤). الصادر.

والمنافسة والسباق والمغالبة ومنه ما يحكمه الشرع ومنه ما لا يحكمه إلا قانون الغاب[1].

فالصراع بين الخير والشر والعدل والظلم، والحقد والحب، والعفو، والثأر، والإيثار والأثرة، والحق والباطل، أو بعبارة موجزة المعروف والمنكر لا يتوقف إلا بتوقف الحياة [2]. قال تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً}[3]وقال تعالى:{ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ}[4]وقال تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[5]وقال تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}[6].

فهذا سيد قطب في سياق تفسيره للآية ١٢٠ في سورة البقرة يقرر دوام الصدام والاحتكاك والصراع بين الحق والباطل أمر يقرره الشرع ولا ينتهي إلا بانتهاء الحياة فيقول: "إن الصراع بين الحق والباطل أياً كان الباطل سواء ما يتمثل باليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها وعلى رأسهم اليهود دائم ديمومة الحياة، والله سبحانه وتعالى بين هنا الحقيقة وهذه السنة وأنهم لا يرضيهم حال المسلمين حتى لو بقي المسلمون في جانب واليهود والنصارى في جانب من غير احتكاك أو اصطدام، ولهذا فإن الآية الكريمة قد بينت هذا المعنى صريحاً، ودرساً للمسلمين واضحاً لا ينبغي تجاهله أو الغفلة عنه طرفة عين" [7]. قال تعالى:{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}[8] ويضيف سيد قطب في تفسيره: " فاللفظ واضح وصريح ولا يحتمل غير المعنى اللفظي للآية فلا يمكن أن يرضوا عن المسلمين أبداً إلا أن يتبعوا ملتهم،

(١) د. عمر عبيد حسنة مقدمة لكتاب د. أحمد القديري كتاب الإسلام وصراع الحضارات أحمد القديري - ص١٠ سلسلة الأمة (٤٤). الصادر.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠، ١١.
(٣) (الفرقان آية ٣١).
(٤) (محمد آية ٤).
(٥) (هود آية ١١٨).
(٦) (النحل آية).
(٧) انظر سيد قطب في تفسير الظلال ح١، ص١٠٨.
(٨) (البقرة آية ١٢٠).

وواقع الحال أبلغ وأوضح من المقال، وهكذا سيظل الصراع بين المسلمين وغيرهم بشتى الأساليب والوسائل، بالحرب تارة وبالكيد أخرى وبالمكر والخبث والتورية، إنها العقدة الدائمة التي ترى مصداقيتها في كل زمان ومكان، إنها العقيدة والمعركة قائمة في كل زمان ومكان، في كل أرض توجد فيها عقيدة الجماعة المسلمة، وها نحن نراها رأي العين وحق اليقين في كل بقعة من بقاع الأرض توجد فيها جماعة إسلامية أو مجتمع إسلامي إلا ويحيطها المكر والكيد والخداع والضرب والصراع الذي لا ينتهي إلا بانتهاء أحد الطرفين، فأعداء الإسلام لا يرضون ببقاء الإسلام ولا بقاء أهله وإن تفلتوا عنه وإن بدا منهم الرضا بما يستهوي الكفرة والملحدين، إنهم لا ولن يرضوا حتى يتبع المسلمين ملتهم"[1].

وقد كرر القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية وفي أكثر من مناسبة، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى:{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}[2]وقال تعالى:{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ}[3].

ويمضي قطب فيبين الغاية من الصراع، الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى فيقول:

"إن الصراع بين الحق والباطل غاية غايته العليا إنما هو الصلاح في الأرض وإرادة الخير للناس كل الناس من غير تمييز بين لون وآخر وجنس وطبقة وأخرى.. إلى عامة الناس"[4].

قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[5]وقال تعالى:{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}[6]، وقال تعالى:{وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) (النساء آية ٨٨).
(٣) (البقرة آية ١٠٩).
(٤) المرجع نفسه، ص٢٧٠.
(٥) (الأنبياء آية ١٠٧).
(٦) (البقرة آية ١٩٣).

الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ}[1] يقول سيد في تفسير الآية: " لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القرينة لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مدخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة فوائدها وأسرارها الدفينة... وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء بقيام الجماعة الخيرية المهتدية المتجردة تعرف الحق الذي بين الله لها، وتعرف طريقها إليه واضحاً، وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور، وأن تتحمل في سبيله ما تحتمل في الأرض من طاعة الله وابتغاء مرضاته" [2].

وفي سياق التحذير من اتباع الأمم الأخرى (اليهود والنصارى) وأن في اتباعهم الكفر والضلال والردة يقول سيد: " لقد جاءت أمة الإسلام لتنشئ في الأرض طريقها على منهج الله وحده متميزة متفردة ظاهرة، لقد انبثق وجودها ابتداءً من منهج الله لتؤدي في حياة البشر دوراً خاصاً لا ينهض به سواها، لقد وجدت لإقرار منهج الله في الأرض، وتحقيقه في صورة عملية، ذات معالم منظورة، تترجم منها النصوص إلى حركات وأعمال ومشاعر وأوضاع وارتباطات، ولا يتحقق لها ذلك إلا بهذا المنهج، وإلا إذا تولت قيادة البشرية بما تتلقاه من رب البشرية وحده، من الله لا من أحد من خلقه أبداً، هذا ما يؤكده القرآن في أكثر من مناسبة وهذا ما يقيم عليه مشاعر الجماعة المسلمة وأفكارها وأخلاقها كلما سنحت الفرصة [3].

إنه توجيه دائم لهذه الأمة في كل أجيالها لأنه هو قاعدة حياتها ووجودها.. وتحذر هذه التوصية أمة الإسلام من اقتباس مناهج أهل الكتاب وأوضاعهم لأن ذلك يعني الهزيمة الداخلية التي هي نوع من الصراع في مسألة الشعور بأن ما عند الغير أفضل، وهذا مما لا ينبغي أن يكون عند المسلمين وإن تقرر في نفوسهم هذا المعنى، فسوف

(١) (البقرة آية ٢٥١).
(٢) انظر تفسير الآية في الظلال ج١/ ص٢٧٠، ٢٧١.
(٣) نفس المرجع ص٤٣٧، ٤٣٨.

يقودهم ذلك إلى الشك في كفاية منهج الله. ولقد تمعر وجه رسول الله ﷺ عندما عرض عليه عمر ما كتب له بعض أهل الكتاب من كتبهم ثم قال ﷺ: «**والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي**» بل قال في رواية أخرى: «**لو كان موسى وعيسى حيان ما وسعهما إلا اتباعي**» [1].

ويفاجأ العالم الإسلامي بمقالة (صدام الحضارات) التي تطورت إلى نظرية حيث يتوقع صاحبها صامويل هينتنغتون أن هذا الصدام لن يكون كما كان الحال عليه في القرن الـ(١٩)...

تفنيد نظرية صدام الحضارات:

لقد أثارت هذه المقالة ضجة كبرى تمخضت عنها حملة شعواء من الردود والتعليقات والتحفظات سيحاول الباحث أن يشير إليها كما سأحاول جاهداً تتبع ما يمكنني منها وعزوها بقدر المستطاع:

١ - عندما تنبأ صاحب هذه المقالة بأن الصراع سينحصر بين الحضارات لا بين السياسات باعتبار أن الحرب الباردة قد انتهت وولت وركز على الحضارة الإسلامية على أنها منبع الصراع وأنها المستعصية الوحيدة التي لا تقبل الحوار بل الصراع أيدلوجية عندها. وأن المسلمين برابرة متوحشين تعامل أو تجاهل عن الكثير مما وهو يعلم عما تحمله هذه الحضارة الراقية السامية من مثل وقيم. وسلوك وحوار، وجدال بالتي هي أحسن، لا ترقى أي حضارة أخرى في العالم إلى مثلها، ونسي بل تناسى: أن الحرب العالمية الأولى والثانية، والحرب الباردة كلها كانت داخل حضارة واحدة وإن اختلفت أيديولوجياتها.

إن الحضارة الحقيقية تعني في جوهرها التقدم المادي والروحي للأفراد والجماعات، وإنها ترتقي بالإنسان مادياً وروحياً وتهذب أخلاقه، وتحد من نزواته العدوانية [2]، وتختزل كثيراً من مطامعه ومصالحه الشخصية الضيقة، وتربو به عن

---

(١) الحديثان مخرجان عند الإمام أحمد في مسند جابر رضي الله عنه، انظر مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر ج١١/ص٥٠٠ تحت رقم ١٤٥٦٥، وإسناده حسن وهو عند البيهقي ج١، باب الصلاة.

(٢) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، مكتبة الشروق، ط١، ١٤٢١هـ، ص ٧٤.

الصدام المفضي إلى السيطرة والتسلط، وإن كان قد حدث صدام مسلح في عصور الإسلام الأولى مع حضارات أخرى كالروم والفرس لكنه لم يكن لينتج عنه تسلط أو قهر وإذلال ومحو للآخرين أبداً. إنه صدام خير ورحمة وإيصال الرحمة للعالمين أجمعين. عنوان المسلمين في ذلك قوله تعالى:{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [1] إن فلسفة الصراع الحضاري الذي ينطلق من الإسلام، لا يأتي في سياق استبدادي تسلطي تحكمي، هدفه التسلط على الرقاب ونهب خيرات العباد بل غايته الأخيرة إصلاح العباد والصلاح في الأرض وتعميرها وإرادة الخير لكل الناس في غير تمييز كما مر سلفاً وإن الحضارة الإسلامية السامية لم تستنكف أن تستفيد من غيرها من خلال ترجمة علوم ومعارف الحضارات الأخرى، في ظل التصورات الإسلامية الراقية، التي تربأ أن تستخدم العلم إلا فيما ينفع الإنسان ويفيده ولا يمكن أن يضره، والتأريخ الناصع للإسلام والحضارة الإسلامية خير شاهد.

ولذا فالمتوقع بالتأمل والاستقراء كما يتوقع الكثير [2]أن القرن القادم سيكون قرن الحوار الهادئ، لا قرن الصدام والصراع، وأن الإسلام بفضل الله، ثم بالتقدم التقني المعلوماتي وثورة الإتصالات والتكنولوجيا، سيصل إلى كل زاوية في الأرض، تصديقاً لقوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [3]وتصديقاً لقول رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» [4].. إلخ.

ومن هنا تأتي أهمية الحوار تجنباً للأخطار العالمية التي تهدد جميع سكان الأرض، وتتطلب من الجميع حواراً وتكاتفاً وليس صراعاً وحروباً. ولعل هذا الأمر يكون أكبر العوامل لإثراء الحوار وليس لإنكاء الصراع.

وهناك صيحات غربية مدوية، ينبغي أن تصغي لها آذان العقلاء تنقد هذه المقولة

---

(١) الأنبياء: آية (١٠٧).

(٢) انظر: زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، ص ٧٢.

(٣) سورة التوبة: آية ٣٣.

(٤) الحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، الجزء الثامن عشر، مع شرح النووي. وهو عند الترمذى كتاب الفتن باب: ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ج١٠ ص ١٧٢ رقم (٢١٧٤).

المزعومة (صدام الحضارات)، وتنم عن عقول بأصحابها الراجحة اتسمت بالصدق والإنصاف والشجاعة فهذا الأمير (تشارلز) ولي عهد بريطانيا يلقي محاضرة مهمة في ١٩٩٣/١٠/٢٧م في مسرح شيلد ينان باكفورد بمناسبة زيارته لمركز الدراسات الإسلامية ومما قاله فيها: «إن الذي يربط العالمين الغربي والإسلامي أقوى بكثير مما يقسمها، فالمسلمون والمسيحيون واليهود جميعهم «أصحاب كتاب» والإسلام والمسيحية يشترطان في النظرة الوجدانية: الإيمان بإله واحد وبأن الحياة الدنيا فانية، وبالمسئولية عن أفعالنا والإيمان بالآخرة إننا نشترك في كثير في القيم [١].

وقد أشار في نفس المحاضرة إلى معاناة المسلمين من الحكم الغربي الخاطئ على الإسلام حين قال: «لقد تشوه حكمنا على الإسلام لأننا حسبنا التطرف هو الأمر العادي والأساسي، كثيرون من الناس هنا ينظرون إلى الشريعة الإسلامية على أنها قاسية وبربرية وغير عادلة، إن صحفنا قبل الجميع تعشق الخوض في هذه الأحقاد، ولا تعرف روحانية الشريعة الإسلامية التي ينص عليها القرآن الكريم أساسها الرحمة والعدل» [٢].

ومما نوه إليه أيضاً هو أن التطرف ليس حكراً على الأمة الإسلامية بل ينسحب إلى سواها من أهل الشرائع الأولى فقال: «إن التطرف ليس حكراً على الإسلام، بل ينسحب إلى ديانات أخرى بما فيها المسيحية والغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال ودينهم هو دين الاعتدال». [٣]

وهو يرفض مقولة صدام الحضارات، يقول: «أنا لا أوافق على مقولة أن العالم الإسلامي والغربي ينهجان نحو الصدام في عهد جديد من الخصومة والعداء، بل إنني على قناعة تامة بأن لدى عالمينا الكثير لكي يقدماه إلى بعضهما البعض». [٤]

ويختم محاضرته بقوله: " إني مقتنع تماماً بأن عالمينا - الإسلامي والغربي -

---

(١) انظر زكي الميلاد، وتركي على الربعو - الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١ / ١٩٩٨م، ص ٢٨.
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٣) د. زقزوق الإسلام في عصر العولمة ص (٧٧).
(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

يستطيعان العطاء، ومنح الكثير كل للآخر، «والإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصر، إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنه[١] وهناك الكثير مما تستطيع أن نقوم بتنفيذه معاً»، وإنه يسرني والكلام له بأن أعلم أن الحوار قد بدأ في بريطانيا وغيرها، ولكننا ما زلنا نحتاج إلى بذل جهد أكبر ليفهم كل منا الآخر وأن نتخلص من سموم التفرقة ومن أشباح الخوف والتشكك وكلما طال مشوارنا في هذه الطريق فإننا نكون قد خلفنا عالماً أفضل لأطفالنا وللأجيال المقبلة»[٢].

وهذا وزير الخارجية البريطانية (روبين كوك) يشير إلى أن جذور الثقافة الغربية ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب، بل هي إسلامية أيضاً، ويرفض ويناقض مقالة صراع الحضارات وأن الإسلام العدو الجديد للغرب حيث يقول: «إن البعض يقول: إن الغرب بحاجة إلى عدو، ربما أن الحرب الباردة قد ولت إلى غير رجعة فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفيتي القديم كعدو، ويقولون: «إن صراع الحضارات قادم وأنه لا مفر منه»، وأنا أقول - والكلام لوزير الخارجية البريطانية - إنهم مخطئون خطأ فادحاً، فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو، بل نحن بحاجة إليه كصديق» [٣]وأشار كصاحبه الأول (ولي عهد بريطانيا) إلى أن: «الغرب مدين للإسلام بالشيء الكثير، فالإسلام قد وضع الأسس الفكرية لمجالات عديدة مهمة وكبيرة في الحضارة الغربية، إن ثقافتينا قد تشابكتا مع بعضهما عبر التاريخ والأجيال، وهما تتشابكان أيضاً في وقتنا الحاضر» [٤].

وهذا رئيس ألمانيا (رومان هيرتسوج) الذي يرفض أيضاً مقولة صدام الحضارات، ويتبنى الدعوة إلى حوار حضاري بين أوروبا والعالم الإسلامي، وفعلاً وجه رئيس ألمانيا الدعوة إلى هذا الحوار[٥] عبر أعلى مستوى للدول الإسلامية والغربية. وللباحث تحفظ على تلك الدعوة من حيث أنها لو شملت أيضاً بعض الدول

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٢) زكي الميلاد وتركي الربيعو الإسلام والغرب ص (٢٨، ٢٩).
(٣) د. زقزوق الإسلام في عصر العولمة ص (٧٧).
(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها.

الإسلامية الأخرى مثل السعودية واليمن وباكستان وغيرها وليكن ممثلو الحوار علماء الأمة الإسلامية الذين يمثلون الإسلام تمثيلاً حقيقياً حتى يعرف الغرب معنى الإسلام ولينقلوا رسالة الإسلام المشرقة الوضاءة التي تخفى على كثير من شعوب الغرب بسبب حجب الرؤية الواضحة لديهم وعبر وسائل إعلامية معادية للإسلام التي لا تظهره عادةً إلا كعدو ووحش كاسر.

إن هذا الاعتراض من شخصيات غربية لها وزنها في الغرب وفي العالم كله دلالة واضحة على أن مقالة (صدام الحضارات) لا تخدم إلا فئة الواحد بالمائة، التي تمسك بزمام الإعلام، على مختلف مستوياته، بزعامة راعية النظام العالمي الجديد الولايات المتحدة الأمريكية، وإن تسليط الأشعة على هذه المقولة، والترويج لها في الإعلام، لا شك أنه من كيد يهود للتحريش بين المسلمين وغيرهم، وللحيلولة دون وصول الإسلام (إسلام الرحمة، والخير والمحبة، والهدى، والحق، والنور) إلى أمة الغرب، ولكنه بإمكان المسلمين أن ينفذوا من خلال هذه الوسائل لإيصال رسالة الإسلام كما يريدها الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة، وباستغلال الفضائيات، ووسائل الاتصال الأخرى كالكمبيوتر والإنترنت، وإنها لوسائل ناجحة جداً إن استغلت أحسن استغلال، وتمكن المسلمون منها فإنها من خير الوسائل لنشر هذه الرسالة الخالدة. تطبيقاً لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} (١).

وقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (٢).

وممن يرد على هنتغتون د. فؤاد عجمي أستاذ دراسات الشرق الأوسط يدعي هينتغتون في كتابه أنه ربما تتحد حضارة الإسلام مع الحضارة الكونغوشية (الصين - اليابان - كوريا وغيرها) لذلك لا بد من الاستعداد لهذا العدو الخطير، ويستدل على ذلك بما سبق من علاقات بين هذه الدول وغيرها من الدول العربية الإسلامية حين كانت

(١) النساء آية(١٧٠).
(٢) يونس(٥٧).

تستورد السلاح من هذه الدول وأن هذه العلاقة لم تكن إلا علاقة تجارية محضة، لعب بالهويات والمصالح على حساب الربح والثمن الباهظ والجاهز[١].

يدعو هنتغتون الدول الغربية وأمريكا إلى تكوين اتحاد حضاري قائم على أساسين هما الثقافة باستعادة الوحدة الحضارية الغربية ومكافحة التعددية الثقافية [٢] إقامة تحالف سياسي عسكري بين الولايات المتحدة وأوروبا إقامة تحالفات ذات طبيعة استقطابية لحضارات ضعيفة (أمريكا اللاتينية وأفريقيا). ضد الحضارات التي تشكل خطراً على الغرب وخاصة الإسلام.

و يدعو إلى إعادة تكوين المنظمات الدولية (الأمم المتحدة - اليونسكو - اليونسيف - البنك الدولي وصندوق النقد الدولي - ومنظمة التجارة العالمية وغيرها) بحيث تعكس في سلوكها وفي التزامها قيم الحضارة الغربية ومصالحها[٣].

بهذه الدعوات الموجهة والمقصودة يستنفر هنتنغتون الغرب إلى مواجهة ثقافية عن طريق إلغاء التعدد الثقافي، والدعوة إلى ثقافة واحدة تنتظم الجميع، ويدين لها الجميع بالولاء، وهي الثقافة الأمريكية بالطبع. ومواجهة عسكرية أمنية دولية عن طريق الدعوة إلى تحالف دولي لمواجهة الخطر الجديد حيث انتحلوا له مسمى فضفاضاً عائماً (الإرهاب) والقصد وبلا شك ولا ريب (الإسلام).

محاولة هنيتغنون إثبات عداوة للغرب:

ويحاول إثبات عداوة الإسلام للحضارة الغربية بطرح أمثلة بتراء ليقدم من خلالها الدليل الناقص المبتور للحضارة على ذلك العداء من هذه الأمثلة: -

١- عداء العراق للغرب. متجاهلاً أساس ذلك العداء.

٢- عداء البوسنة للغرب. متغافلاً عن الصراع الصربي الكرواتي.

٣- السودان وصراعاتها مع أفريقيا. ولا يتوقف عن الصراعات الأخرى في رواندا

---

(١) محمد السماك موقع الإسلام في صراع الحضارات، ص١٥٥. وانظر رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج عن مجلة النور اليمنية العدد (١٢٥) رمضان ١٤٢٢ ص٢٢.
(٢) محمد السماك المرجع السابق ص ١٥٧.
(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وليبريا وزائير حيث لا يوجد هناك أي دور للإسلام [١].

فهو لا يذكر أسباب تلك الصراعات، وأن الحقيقة هي أن الغرب في الأساس هو أساس ذلك العداء لأنه الوريث الشرعي للإغريق واليونان ولا يعرج على التحدي الأكبر المفروض على الأمة الإسلامية بسبب توسع دولة يهود، الذي هو أخطر مواطن الصراع الحضاري في المستقبل، إذ يتجاوز حجم تلك المعركة مجرد رسم الحدود لنواة دولة فلسطينية إلى أن يصبح مواجهة بين حق الإسلام التأريخي المكتسب في القدس منذ الفتح الأول وبين مشروع تشويهي دخيل تتضافر فيه جهود الصهيونية والصليبية، لا لمجرد احتلال أرض، بل لتطويق دار الإسلام وتفجيرها من الداخل (مشروع السوق الشرق أوسطية، والنظام العالمي الجديد، ومخطط تحريف الأنهار عن مجراها، وبرامج تهويد المدن في فلسطين) [٢]. فهذا إهمال مقصود عن أيدلوجية مرسومة ومحسومة. حيث يضع الثقافة اليهودية مع المنظومة الثقافية الشرقية، ويدرج فيها الإسلام، أيضاً وهذا نوع من التضليل يندرج في مخطط المشروع الاستعماري الإمبريالي الفكري والسياسي[٣]، ولا يعرج على شيء من الصراعات الداخلية في الحضارة الغربية، ولا ينوه حتى بذكرها، ولكنه ويؤجج نار الفتنة حين يدعي أن الصراع سيكون صراعاً ثقافياً بين الحضارات، متجاهلاً أن الإسلام - على مر الزمان والمكان - يتعايش دائماً بسلام، فهؤلاء اليهود والنصارى إبان حكم الدولة الإسلامية، يتعايشون مع المسلمين، وحقوقهم مصونة، وحرياتهم مأمونة، ولهم ثقافتهم وحريتهم الدينية ما داموا على العهد كذمِّيِّن، ولم يعلنوا حرباً على المسلمين، ولم يجد المسيحيون الذين عاشوا مع المسلمين في أي مكان في ظل الدولة الإسلامية المترامية الأطراف أي حرج أو عنت أو مشقة أو أي إسفاف بحقهم ما لم يكونوا محاربين أي ما داموا ذميين. ولهذا تعتبر الحضارة الإسلامية هي أول من دعا إلى فكرة المواطنة (المواطن العالمي) [٤].

فحرية الدين في الإسلام من أساساته ومن مبادئه الأصيلة إذ يقول تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٨ وانظر رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج عن مجلة النور اليمنية العدد (١٢٥) ص٢٣مرجع سابق.

(٢) انظر د. أحمد القديري الإسلام وصراع الحضارات ص٥٧.

(٣) المرجع نفسه ص٥٨.

(٤) انظر مقدمة عمر عبيد لكتاب الإسلام وصراع الحضارات ص ٣٠ مرجع سابق.

فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ} [1]. وقد ثبت في التأريخ أن كثيراً من غير المسلمين دخلوا في الإسلام طائعين، واعتنقوه راضين من غير إكراه ولا تسلط، إنما بالحجة والبيان، وهذه شعوب الدول الآسيوية، لم تدخل الإسلام عن طريق السيف والسنان ولكن من خلال احتكاكهم بالتجار المسلمين، وملاحظاتهم لسلوكياتهم وعهودهم وأمانتهم وثقافتهم الحضارية الإسلامية فلم يتلكأوا أو يتململوا أن يدخلوا الإسلام عن رضى وقناعة، فإذا بهم يرفعون راية الإسلام عالية خفاقة.

إن المسألة كما يصورها البعض ليس صدام حضارات على وجه التحقيق، وإنما هي مسألة عوارض تأريخية ذات مخاطر وجودية، وصدام مصالح وغايات تبعث على الخوض، وتتطلب المقاومة، وتكمن مصالح الغرب في حماية وجودة، وضمان مصالحه، والحفاظ على هيمنته الكونية، مقابل أي مصدر من مصادر الخطر، الكامنة الصريحة، وغاياته تحقيق السيطرة الكاملة على جميع الشعوب، في عالم تسوده المنافسة الاقتصادية والمنفعة وهواجس الخوف، وفقدان الثقة، والحذر والريبة وللخطر دور حاسم في توجيه الفعل [2].

نقاط الضعف فى مقولة هنيتنغتون:

إن نقاط الضعف في مقولة هنتنغتون إن جاز التعبير كثيرة جداً، إضافة إلى ما ذكرت حيث أنه يلغي المسافة بين العرب والفرس، ويتجاهل الحضور المسيحي العربي المتميز عن الإسلام العربي كل ذلك من أجل أن تضخم الوحش الكاسر الإسلام [3].

وعندما يتحدث عن الهوية يسجل أن الناس لديهم في العادة عدة مستويات من الهوية، فالإيطالي مثلاً يعتبر نفسه إيطالياً كاثولوكياً ومسيحياً وأوروبياً وغربياً، ووفقاً لهذه الأطروحة فإن التعريف الأوسع هو الذي يحدد الانتماء الحضاري، وربما يكون هذا صحيحاً في أحوال كثيرة، إلاّ أنه لا يكون قاعدة، فالحضارة الإسلامية التي ينتمي إليها كثير من المسلمين، نجد أن بعضه يحدد هويته وانتماءه الوجداني إلى الحضارة

(١) البقرة آية (٢٥٦).
(٢) انظر د. علي الفقيه صراع من أجل الحرية ولد إرثاً صدامياً عن الملحق الثقافي لجريدة الثورة اليمنية العدد (١٣٧٤٦) تاريخ ٢٠٠١/٦/١ ص ٨ وانظر عبد الفتاح البتول الحوار في عالم الصراع الملحق الثقافي العدد (١٣٦٤٨) ص٩.
(٣) انظر محمد السماك موقف الإسلام في صراح الحضار، ص ١٥٩.

الغربية، أو إلى الحضارة الفرعونية أو إلى الحضارة الفارسية، بمعنى أن هذا التعريف قابل للتحول.

ويهمل هنتنغتون دور الدول الرئيس في الصراعات المستقبلية، باعتبار أنها الوحدة الحقيقية الواقعية التي يشكل فيها المجتمع الدولي، وإن للدولة هوية سياسية ووطنية تتمسك بها، ولها مصالح اقتصادية تدافع عنها، وفي الحالتين أو الأمرين معاً نجد أنها قد تتجاوز انتماءها إلى حضارة واحدة، ولعل التجمعات الإقليمية الاقتصادية أكبر دليل على ذلك[١].

وبحسب د. الجابري أنه كان الأولى بالاهتمام أحداث جسام، حدثت في القرن العشرين، وتحدث باستمرار، كمصرع الشيوعية، وحروب دامية طويلة وكثيرة جداً على مستوى إقليمي، أو على مستوى محلي، فيقول: «لقد كان من المفروض أو على الأقل هذا ما كنت أتصوره أن ينشغل المثقفون والأكاديميون بانهيار الاتحاد السوفيتي تماماً، بسقوط الشيوعية، ومعها نهاية الماركسية، وفشل البيريسترويكا (إعادة البناء)، وأن يبحثوا عن العوامل والأسباب التي أدت إلى وضع حد لأحلام الطبقة الكادحة، وللمخاوف التي أثارتها لدى خصومها، ولما رافق تلك الأحلام والمخاوف وعززها، ونماها، من كتابات من مختلف المستويات والاتجاهات أكاديمية، وأيدلوجية، ودعائية، محض[٢]...، بالإضافة - والكلام لا زال للجابري - إلى أحداث أخرى جسام شهدتها الساحة العالمية، كان للماركسية الشيوعية دور بارز، لما فيها من حروب، وسقوط أنظمة، واغتيالات، وغيرها من الأحداث التي لم تحرك أقلام الأكاديميين أو المحللين الاستراتيجيين» [٣]، كما يضيف: «إنها مسألة مثيرة للاستغراب أن تسكت النخب عن هذه الأحداث وينشغلوا بمقال هو مجرد وهم وفكرة غير معقولة، ثم يقرر أنها تنطوي فعلاً على قضية استراتيجية سياسية عسكرية، ثقافية ويضيف أنه لزاماً يجب تعميم الوعي بها وبمضمونها وأهدافها ويجب فضحها» [٤].

---

(١) المرجع السابق ص١٦١ وانظر وحيد عبد المجيد جريدة الحياة ١٧ /٨/ ١٩٩٣م.

(٢) انظر د. عايد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ٨٦.. وانظر رعد كمال الحيالي صدام الحضارات المقدمات والنتائج النور العدد(١٢٥) صـ٢٢.

(٣) د. عابد الجابري المرجع السابق ص٨٦.

(٤) د. جابرى المرجع السابق ص ٩٤.

ليس صموئيل هنتغتون هو وحده الذي كتب في مسألة صراع الحضارات. لقد اعتمد في مقالته (صدام الحضارات) على كتاب آخرين قبله مثل المستشرق (برنار لويس) المعروف بعدائه الصريح والواضح للعرب والمسلمين (وباري يوزان) الكاتب الصحفي المرموق أستاذ الدراسات الدورية بجامعة(ووردريك) البريطانية الذي يقرر بعد التحليلات والتخمينات، أن الحرب الباردة القادمة ستكون بين الإسلام والنصرانية، لا سيما وأن الإسلام يحمل قيماً تتعارض مع العلمانية السائدة في الغرب، ونظراً للتنافس التاريخي بين الإسلام والمسيحية، ونظراً لغيرة المسلمين من قوة الغرب بحسب تعبير هذا الصحفي إضافة إلى الجوار الجغرافي، فإذا اجتمعت هذه العوامل مع زيادة هجرة العرب والمسلمين فإن كثافة هذه الهجرة تشكل خطراً على أمن دول الغرب كافة ولذلك لابد من أخذ الحيطة والحذر، ولا بد من الاستعداد، وصدق الله العظيم حيث يقول عن اليهود:{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (١).

وهي عادة وسجية في نفوس اليهود إذ لا يستطيعون العيش إلا على دماء الآخرين مهما كانوا.

ولهذا يلجأ صموئيل في رسالته إلى هذا الأسلوب الصدامي بين الحضارتين الإسلامية والغربية إنه يتناقض كثيراً مع نفسه في مقالة (صدام الحضارات).

إنه يبدأ مقالته على أنها فرضية يحمل الناس على الإنصات والانتظار حتى لا يستعجل بالنقد والنظر، وتنطوي الفرضية على مكر ودهاء حين يحولها فجأة إلى حقائق يتم تقريرها ولا يحتاج لتثبيتها في ذهن القارئ إلا إلى أمثلة مقتضبة، يحشدها حشداً تغني عن التحليل، وتقوم مقام الدليل، ومثلاً يوهم القارئ في البداية أنها فرضية، وإذا بها فجأة تتحول إلى نبوءة وقراءة للمستقبل متبعاً أسلوباً هجومياً تتدافع فيه العبارات التأكيدية كقذائف متتالية متساقطة من فوهة مدفع (٢).

يقول صموئيل هنيغتون: " تقوم فرضيتي على أن المصدر الجوهري للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون أيدلوجياً أو اقتصادياً بالدرجة الأولى، فالانقسام الكبير داخل

(١) المائدة (٦٤).
(٢) د. جابري المرجع السابق ص٩٤.

الجنس البشري، وكذا مصدر الصراع المسيطر سيكون حضارياً، إلا أن الصراعات الرئيسية في السياسة الأولية ستنشب بين الدول وبين مجموعة من الحضارات المختلفة، وستكون حدود التوتر الفاصلة بين تلك الحضارات هي خطوط المعارك الكبرى في المستقبل ". (١)

وبصورة تكتيكية ينتقل إلى الرد على فكرة نهاية التأريخ وقد لخصت ذلك الرد والفكرة التي بنيت عليه في مطلع هذا المطلب.

تفسير صمويل للصراع الحضارى:

ثم يقرر أن الصراع بين الحضارات إن هو إلا الطور الأخير في عملية تطور النزاعات في العالم الحديث حيث مرت كما يقول بخمس مراحل سابقة: - (٢)

١- صراع بين الأمراء والأباطرة.

٢- صراع بين الملوك المستبدين والملوك الدستوريين.

٣- صراع بين الدول القرمية " أو الأمم " وهذه انتهت منها الحرب العالمية الأولى.

٤- صراع بين الأيديولوجيات بين الشيوعية والفاشية والنازية والديمقراطية الليبرالية وانتهت بنهاية الحرب العالمية الثانية.

٥- صراع بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية وانتهت بنهاية الحرب الباردة.

متغافلاً ومتناسياً الصراعات الدينية في أوروبا والصراعات الإنكليزية الأمريكية(حرب الاستقلال) والصراعات الإنكليزية والفرنسية) من أجل المستعمرات والطريق إلى الهند والصراعات في أمريكا الشمالية والجنوبية في آسيا وأفريقيا من أجل التحرير، وفرنسا مع الصين في الهند، وفرنسا مع المغرب والجزائر، وحرب الفيتنام التي هزمت فيها أمريكا شر هزيمة (٣)، حرب السويس، وغيرها من الحروب الكثيرة، كل هذه الحروب التي كانت الدول الاستعمارية وأمريكا طرفاً فيها

إنما هي حروب استعمارية بل تخريبية للنهب والاستعباد انتصر فيها

(١) انظر الأستاذ خلدون الشمعة عن الشرق الأوسط ٢١ - ٢٣ / ١ / ١٩٩٥.
(٢)د. الجابري قضايا في الفكر ص ٩٦
(٣) المرجع السابق، ص ٩٦.

الأقوى ثم تحررت الدول الضعيفة من رقعة الاستعمار ثم تحررت من ربقة تلك الدول المستعمر، وما الصراع الأخير الذي تتبأ به هينتغتون إلا امتداداً للصراع القديم كما تريد الإمبريالية المهيمنة عالمياً، سواء تحت غطاء الليبرالية أو أي غطاء آخر أو السيطرة التامة على الشعوب الفقيرة المعوزة (شعوب العالم الثالث ومنه دول العالم الإسلامي).

الهدف من هذه المقولة:

وما هذه النظرية التي كادت أن تكون نبوءة إلا مجرد تعبير كاذب يقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراع القائم والمقبل الذي يقوده الغربيون أنفسهم بدءاً بالتنظيرات على أيدي مفكريهم ومحلليهم، ثم ختاماً بالمعارك العسكرية التي غالباً ما تكون لهؤلاء المحللين اليد الطولى فيها عند تأجج الصراعات والنزاعات بين الدول الإسلامية، أو عندما يأججونها هم بدعمهم في كل صراع للجهات الموالية للغرب، ودعم المؤسسات الدولية التي تكرس المصالح والقيم الغربية [1].

إن الشعوب الإسلامية وشعوب العالم الثالث لم تحارب يوماً الحضارة الغربية بل بالعكس لقد استقبلتها الحركات الوطنية التي قاومت الهيمنة الاستعمارية الأوروبية والأمريكية وثبتتها كنموذج أوروبي أمريكي بل إن زعماء تحرير بلدان العالم الإسلامي والثالث كانوا ممن تربوا على يد الغرب (المتحضر) ودعوا إلى تحرير الشعوب وتحديثها بتبني الأفكار الغربية، وزعموا أن التقدم لن يكون إلا بذلك وأجبروا شعوبهم على ذلك!! [2].

ويهدف هينتغتون من خلطه بين الحضارة والثقافة، وجعله من الحضارة هوية ثقافية، فتنضوي جميع الشعوب الغربية تحت حضارة واحدة وثقافة واحدة والشعوب الإسلامية والعربية تحت حضارة واحدة مميزة عن الحضارة الغربية، ويجعل من الصين حضارة خاصة، ولا يمكن أن تلتقي مع الغرب بل تشترك مع الحضارة الإسلامية في عدائها وتمردها على الغرب، لأن كلتا الحضارتين تتقاسمان مجموعة من المبادئ التي تصطدم مع الديمقراطية الغربية كالاهتمام بالواجبات دون الحقوق

(١) انظر: رعد كمال الحيالي: صدام الحضارات، النور العدد (١٢٥)، ص ٢٣.
(٢) انظر د. عابد الجابر: صراع الحضارات، ص ٩٩.

والجماعية دون الفردية (في الحضارة الكنفوشية الصينية) أو عدم الفصل بين الدين والسياسة والإيمان بالوحدانية والحاكمية لله في الإسلام[1].

ومن هنا فإن الحرب القادمة(الحرب العالمية الثالثة)ستكون حرباً بين الحضارة الغربية والحضارة المتمردة عليها(الممثلة في الحضارة الإسلامية والحضارة الكنفوشية) ثم لا يعرج على الحضارات الأخرى إلا على سبيل التنبؤ بمدى اندماج بعضها مع الحضارة الغربية [2].

تخبط صمويل في تصنيف الحضارات:

ويعترض عليه الجابري [3]في مسألة (تصنيف الحضارات) فهو ينسب كل حضارة إلى شيء غير نسبته إلى الحضارات الأخرى، فالحضارة الإسلامية ينسبها إلى الإسلام، والحضارة الهندية واليابانية نسبة إلى بلديهما، والإفريقية إلى قارة الحضارة الكنفوسيوسية إلى كنفونوشيوس الحكيم، والحضارة السلافية الأرثوذكسية نسبة إلى عرق لا دين.

وهذه المقاييس تختلف اختلافاً كثيراً عن العوامل التي يجعلها هنتغتون مسؤولة عن تمايز الحضارات في حين أنه يناقض نفسه حين يقول: إن التمايز بين الحضارات يرجع إلى اللغة والدين والثقافة والتراث واللغة والتأريخ مع أن هذه العوامل قد تشترك فى أكثر من حضارة بحسب مقاييس فيها.

ولماذا لا يجعل أساس التمايز هو الدين مع أنه يقول أن الدين هو العنصر أو العامل المهم في التميز بين الحضارات؟

ويضيف الجابري بأن هذا الخلل في التصنيف بين الحضارات جعله يقفز ليعود إلى التصنيف الثنائي الواقعي وهو القرب من جهة والدول الغربية من جهة أخرى، ونراه يعتمد مقياساً آخر يسميه الوعي (الوعي الحضاري) إلى غيرها من الانتقادات في هذا

---

(١) انظر د. الجابري، المرجع السابق، ص ١٠١، ورعد كمال الحيالي، المرجع السابق، ص ٢٣.
(٢) انظر: نفس هذا المعنى لأحمد الشهاب في: نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، عن مجلة العلم، العدد (٢٥)، ص ٦٣، مرجع سابق.
(٣) د. الجابري: صراع الحضارات، ص ١٠٣.

الجانب [1] فليرجع إلى مظانها لأنها قد تسهم في إطالة المطلب البحث، وهذا يكفي في نظر الباحث حتى يعلم أن مقولة صراع الحضارات مقولة مليئة بالتناقضات والشطحات والتنبؤات العارية عن الصحة والمصبوغة بالصبغة اليهودية الحاقدة التي جبلت على الفساد والإفساد بين الناس كما قال تعالى:{وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [2].

كما يحاول هنتغتون أن يثبت أن التكتلات الإقليمية الاقتصادية لا تفلح إلاّ إذا كانت ذات جذور حضارية مشتركة ويضرب لذلك أمثلة تعسفية: -

١- المجموعة الأوروبية.

٢- منظمة التجارة الحرة الأمريكية الشمالية.

٣- اليابان وعدم إمكانيتها في إقامة تكتل اقتصادي في شرق آسيا.

٤- الصين وإمكانية خلق مجموعة إقليمية اقتصادية في شرق آسيا تحت زعماتها.

وهذا فيه ما فيه من المغالطات المبنية على أصل فاسد، فليس الاشتراك في حضارة هو الذي يجمع تايوان وهونغ كونغ وسنغافورة مع الصين، بل يجمعها الانتماء إلى أمة واحدة وإلى بلد واحد وإلى تأريخ واحد وجغرافية واحدة [3].

الفتوحات الإسلامية ووجهة نظر صمويل:

ويرجع هنتغتون إلى الوراء وإلى قرون الفتوحات الإسلامية ليجعل منها السبب الرئيسي والواضح الأول في الصدام بين المسيحية والإسلام، حينما وصل العرب إلى مدينة تور الفرنسية عام ٧٣٢م مخترقين شبه الجزيرة الإبيرية وخيال البرانس ليتوغلوا في فرنسا حتى تجدد الصدام في القرن الـ ١١، والقرن الـ ١٣ الميلاديين خلال الحروب الصليبية، ثم في القرنين الـ ١٤، والـ ١٧ على عهد الإمبراطورية العثمانية، ثم بين الاستعمار الأوروبي وبين معظم شمال أفريقيا والشرق الأوسط

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

(٢) المائدة آية: ٦٤.

(٣) لمزيد من الإيضاح انظر الجابري ص ١١١ وما بعدها، انظر د. أحمد محمد العبسي: قراءة تقوية لمفهوم تصادم الحضارات، عن مجلة البيان، العدد، (٧١) ١٩٩٣/١م، ص ١٠١.

ئ وبعد نهاية الاستعمار تحدد الصراع بين الغرب والقومية العربية، وهاهي الأصولية الإسلامية على حد زعمه تحل محل القومية العربية مشيراً إلى خطرها على الغرب، ثم يعرج على الصراع الإسرائيلي الغربي مع الإشارة إلى أن إسرائيل (من صنع الغرب) أي أن الصراع بين الغرب والمسلمين وأخيراً الحرب بين الولايات المتحدة والعراق في ١٩٩٠م بحجة الدفاع عن دولة عربية أخرى أي أن تأريخ الإسلام والغرب تأريخ سلسلة من الحروب والاحتكاكات المتواصلة والمتجددة [١].

أسباب الصراع عند صمويل:

ولا يفوته أن يذكر أسباب الصراع من وجهة نظره والتي تزداد كل يوم في نظره وتشتد بين الغرب والمسلمين بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وهذه بعض الأسباب التي أبداها [٢]:

١- هناك لدى بعض العرب (شعور بالفخر) لأن صدم حسين هاجم إسرائيل، وتحدى الغرب.

٢- ولدى بعضهم شعور بالهوان، ويستنكرون الوجود العسكري الغربي في الخليج الفارسي.

٣- السيطرة الغربية الساحقة ولدت أيضاً شعوراً لدى بعض العرب بعدم قدرتهم على صياغة مصيرهم بأنفسهم.

٤- النفط الذي وصل ببعض العرب إلى مستوى من التطور جعل الحملة من أجل الديمقراطية تجد آذاناً صاغية في هذه الأقطار، الأمر الذي أدى إلى انفتاح (على الديمقراطية) فكان المستفيد الرئيسي هو الحركات الإسلامية!!.

بل يصل به الأمر إلى أن يصرح بأن تعميم الديمقراطية في العالم، وطبعاً بالذات في العالم الإسلامي، إنما تؤدي إلى تعزيز القوى السياسية المناهضة للغرب.

فلماذا إذاً حسب تعبير الجابري التشدق بالديمقراطية وحقوق الإنسان في الدول غير الغربية.

---

(١) زكي الميلاد، تركي علي الربيعي: الإسلام والغرب، ص ٤٨، ٤٩.
(٢) د. الجابري المرجع السابق ص ١١٧.

٥- إن النمو السكاني الهائل في الدول العربية وبخاصة في الشمال الإفريقي، وتزايد هجرة سكان هذه الدول إلى أوروبا يؤدي ذلك إلى هيمنة الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وحتى يثبت صحة فطرية الصدامية وأن للإسلام حدوداً دموية يسوق أمثلة من الصراعات بين المسلمين، والمسيحيين، واليهود، ويمثل بالسودان مع الجنوب، والحرب التشادية مع المتمردين؟! وأهل الجنوب؟! والتوتر في القرن الإفريقي بين الشعوب الأورثوذوكسية والمسلمين وكذا الحرب الدائرة في البوسنة وصربيا وبلغاريا وأرمينيا بين الأرثوذوكس والمسلمين، وغيرها من الأمثلة متجاهلاً أي صراعات أخرى تحدث في داخل الحضارة الغربية.

ويخرج بنتيجة هي مبنية على (فرضية) بل (حقيقة) التي يؤكدها مسبقاً كمنظر قدير لأسياده الغربيين كما يحبون أن يفهموا بأن (للإسلام حدوداً دموية) ولا بد من الاستعداد التام [١].

ويقرر هنتغتون في النهاية إلى أن الحضارة الغربية، وإن كانت مسيطرة سيطرة تامة لكن هذه السيطرة إنما هي على المستوى السلعي والاستهلاكي، أما القيم الغربية والتي تتنافى تماماً مع قيم الإسلام والمسلمين، فإنها لا تحظى بقبول تام لا في بلاد المسلمين ولا في غيرها من البلاد وبالذات البلاد الصينية [٢].

ولهذا يربط بين حضارة الإسلام والحضارة الكنفوشية، وأنهما قد يتحدان ويسعيان بجد إلى التقدم وامتلاك التكنولوجية والاقتصادية والعسكرية [٣].

وعليه فعلى الغرب أن يأخذ حذره وأن يتخذ جميع التدابير على المستوى القريب والبعيد للدفاع عن مركزه ومصالحه، وليعمل على احتواء الحضارات الأخرى وتحجيم المتمرد منها بل وابتلاعه قبل أن يبتلعه.

رؤية الباحث للمقولة:

ويخلص الباحث بعد هذه الإسهابة الطويلة إلى أن أساس وبؤرة المقاومة أو مقاومة

(١، ٢) الجابري ص ١١٨ وما بعدها.
(٣) انظر نفس المطلب، ص (١٦٣)

الغرب المتسلط من وجهة نظر صمويل هنتغتون (هو الإسلام) بالدرجة الأولى لاختلاف المنهجية وعدم إمكانية تقابلهما ثم الصين في الدرجة الثانية مع أني لا أشك أنها لن تكون مع الإسلام أبداً وما ذلك إلاّ: -

١- لامتلاكها للسلاح الذري والنووي.

٢- نزوعها للسياسة المستقلة.

٣- دخولها في مرحلة الإقلاع الاقتصادي الذي قد يجعل منها منافساً حقيقياً لمصالح الغرب الاقتصادية في شرق آسيا.

وفي النهاية فإن مصالح الغرب هي التي تحكم السياسة الخارجية ولا شيء غير ذلك، فالغرب يقدم في سياسته الخارجية دائماً وتأريخه حافل بذلك مصالحه ولو كان الضحية أمماً وشعوباً.

وإنما تأتي دغدغة عاطفة الرأي العام متسترةً بشعارات تغطي على الدهماء من الشعوب باسم حقوق الإنسان والديمقراطية والتنوير ومحاربة التطرف والأصولية والتزمت في الدين الحضارة والثقافة والدين والأصولية.

لماذا يجنح الغرب إلى العداء وإلغاء الآخر:

ولكي تتضح بعض العوامل التي تدفع بالغرب نحو العداء أو الإلغاء أو عدم الاعتراف بالآخر ثمة نقاط ذكرها الغربيون وغيرهم أدت إلى ذلك منها:

١ - إن العقدة التي تدفع بالغرب نحو العداء أو الإلغاء أو عدم الاعتراف بالآخر (بالحضارات غير الغربية) هو عقدة التمركز على الذات التي يقول عنها (مكسيم رود نسون) في كتابه (جاذبية الإسلام) [1]: «إن التمركز على الذات الأوروبية أمر جليّ، إذا كان من الحماقة فضحه اليوم بقوة، والاسترسال بصدده في فيض من الاستنكار الأخلاقي، إلاّ أنه لا بد من تسجيله ومعاينة مفاعليه الضارة، ليس فقط في المجتمع والحضارة الأوروبيتين يوضعان نموذجاً أو نمطاً صالحاً كونياً، وليس فقط تفوقهما المطلق في كل الأصعدة التفوق المحدود، مثلاً في التقنيات -، ولئن كان بعضها بالفعل

(١) انظر مكسيم رودنون: جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرقص، بيروت، أكتوبر، ١٩٨٢م، ص ٧٤، وانظر: زكي الميلاد: ص٥٣ مرجع سابق.

عوامل كلية كونية فليس الأمر هكذا بالنسبة لها جميعاً، وهذا العقل الميكانيكي كان ضاراً ومشؤوماً بوجه عام».

وهذه النظرة يؤكدها روجيه غارودي حيث يقول: «إن الغرب اعتقد أنه مباح له تحديد مكانة الآخرين والحكم عليهم لصالح تأريخه وغاياته وقيمه» (١).

٢- إن هذه النظرة إلى الآخر لن تتغير وتتطور إلاّ برؤية فلسفية تعيد تشكيل الذات الفلسفية للغرب الذي يعتقد أن النزاع والصدام هو الذي يوفر أساسات التقدم والتطور، وبأن يضع أمامه عدواً ليضمن لذاته التنافس الخارجي والتماسك الداخلي متأثراً ببعض الفلسفات الأوروبية التي كان لها الأثر الكبير في تكوين العقل العربي وتذهب إلى أن التناقض هو أساس التطور مثل:

(النشوء والارتقاء، البقاء للأقوى) (لدارون) وفلسفة القوة عند (نيتشه)، وفلسفة التناقض عند (هيجل) وفلسفة (الصراع الطبقي) عند (ماركس) (٢).

٣ - وجد الغرب في الإسلام أنه ليس مجرد دين كالأديان، التي يعرفها كالمسيحية واليهودية وغيرها، بل هو إلى جانب ذلك يمثل نموذج حياة للناس، وإن من يعتنقه يكشف التحضر والتقدم من داخل هذا الدين، في حين أن الغرب لا يرضى لنموذج آخر ينافسه في الانتشار العالمي والهيمنة الحضارية، أو أن يقدم إلى العالم نموذجاً للحداثة والتقدم يختلف عن النموذج الغربي.

٤ - يمثل الإسلام الركيزة الرئيسية التي وقفت في وجه التحديث الغربي في المجتمعات العربية والإسلامية، التي حالت دون اختراق هوية هذه المجتمعات.

٥ - إن في اعتقاد الغرب أن ما حققه من تقدم يفوق ما أنجزه الإنسان في تأريخه، وأن ما وصل إليه من حداثة متطورة، جعلت من موطنه محمياً من تأثيرات كل ما هو غير غربي، من فلسفات ومذاهب وأديان وأفكار وغيرها، لأنه من غير الممكن كما في اعتقاد الغرب أن تصمد هذه الأفكار والمعتقدات أو أن تجد طريقها وهي مجرد

---

(١) روجيه غارودي - الإسلام دين المستقبل ترجمة عبد المجيد بارودي - بيروت دار الإيمان ١٩٨٣م صـ ١٧٥.

(٢) د. الجابري قضايا في الفكر ص٩٦.

تصورات تفتقد الأنموذج والمصداق التطبيقي من التقدم الذي تنافس به الغرب.

٦ - إن ما نعيشه كمسلمين من تخلف شامل يعكس عنا صورة سيئة وفاشلة خصوصاً عند تلك المجتمعات التي قطعت أشواطاً من التقدم

٧ - وأكثر من هذا أن الغرب كان يظن أن هذه الأفكار والمعتقدات لن تصمد ولن تستطيع الدفاع عن نفسها أمام مثيرات الحداثة الجارف في مواطنها، وليس هناك ما يعرقل من اكتساح الحداثة أينما وصلت في هذا العالم، وقد كشف الواقع خلاف هذا كله، بل ويندهش الغرب ويضطرب وتضطرب أمواجه وتتلاطم نظرياته حينما يجد من تخلى عن حداثته من داخل مجتمعاته لصالح أفكار أو معتقدات من خارج مرجعية الأوروبية.

٨ - هذا ولقد كشفت الشواهد للغرب خلاف ما كان يعتقد، فالتقارير والدراسات المسيحية والبحثية الصادرة من جهات مطلعة ومتخصصة من هناك، تؤكد على توسع انتشار الإسلام وتقدمه على كل الديانات الأخرى، ولا يقتصر انتشاره على فئة دون أخرى، بل وصل إلى فئات اجتماعية مختلفة بما فيها تلك الفئات التي توصف بالطبقات الراقية.

وللأسف فإن الإعلام الغربي يتكاتف لنفث سمومه لتشويه المسلمين ووصفهم بالنعوت المنفرة، فيدفعون بالغرب والشعوب الغربية نحو الصدام والعداء السافر ويصورون الإسلام على أنه وحش كاسر مكشرٌ عن أنياب الافتراس لكل ما عداه، مع أن الوجود الإسلامي - وقد شهد الكثير من الغربيين بذلك - له إيجابياته، خاصة في المجال الأسري، والاجتماعي، الذي وصل في بلاد الغرب، إلى حافة الانهيار، حيث فقدت الروابط الاجتماعية والأسرية مضامينها المعنوية والاجتماعية، وتحولت إلى ما يشبه مؤسسة مالية أو تجارية في علاقة الزوجة بالزوج، وعلاقة الآباء بالأبناء.

بالإضافة إلى ذلك:

فإن الغربيين يعتقدون أن حضارتهم تفوق الحضارات الأخرى من نواحٍ شتى، وبالأخص أنها عقلانية وتؤهلها هذه العقلانية لأن تكون حضارة عالمية وعلى حد تعبير هجيل الذي يمثل كثيراً من سياسة الغرب: «إن الروح الأوروبية هي الحقيقة المطلقة التي تحقق نفسها بنفسها من غير أن تكون مدينة

لأحد سواها وهي لم تفرض نفسها على أوروبا والولايات المتحدة فحسب، بل على كل المجال الفكري لأطراف العالم» [1].

بل إنهم يعتقدون أن غزوهم لأي بلد في العالم إنما يرجع ذلك من وجهة نظرهم أنهم يقدمون خدمة للعرب ولملوكهم ولتنوير الآخرين، وهذا المعتقد عندهم يعتبر الحقيقة المطلقة، كما يعتبرونه خدمة لله بحسب مؤرخهم الأسباني الذي سوغ ذهابه وزملاءه لغزو الجزر الهندية بقوله : «إنما ذلك خدمة لله ولصاحب الجلالة ولنقل النور إلى أولئك الجالسين في الظلام، ولنصير أغنياء كما أن كل إنسان يريد أن يصير» [2].

ويقول مؤرخهم المعاصر وهو ثاني عطفه بلسان الاستعلاء والكبر مفتخراً: «.... وقد خرجت أمة جديدة في المقاطعات البريطانية السابقة في أمريكا الشمالية، وفي الجنوب استطاع الأسبان أن يحطموا حضارتين ناضجتين ليغرسوا حضارتهم» [3].

وهكذا في القرن التاسع عشر والعشرين استطاع الغرب أن يفرض سيطرته وحضارته بالقوة العسكرية على أفريقيا كلها والقارة الهندية وبقية آسيا والوطن العربي والإسلامي.

تسويغ الهيمنة الغربية على العالم:

ولما انفجرت ثورة الاتصالات والمعلومات، وبلغت إمكانية الحضارة الغربية أوجها، أسفرت عن مصطلح جديد في ظل نظام عالمي جديد اسمه (العولمة) لتسويغ الهيمنة الغربية، بحجة أنها القادرة، والمتمكنة فيجب أن تسيطر لأسباب كثيرة لخصها أحد الأمريكان مع التحفظ عليها لاعتقادهم أن الحضارة الغربية بقيمها وثقافتها هي رسالتهم للعالم، وأنهم أوصياء على العالم تحت حجج واهية، وأوهى من بيت العنكبوت، ذلك أن الوصاية الحقيقية هي لمن يملك غذاء الروح، والحضارة الغربية لا تملك هذا الجانب أبداً والنقاط هي:

---

(١) انظر. أ. د جعفر شيخ إدريس: العولمة وصراع الحضارات، عن مجلة البيان (١٧٠) ص ٢٨.
(٢) أ. د جعفر إدريس، المرجع نفسه، ص٢٨.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠.

١ - الحضارة الغربية تملك وتدبر النظام المصرفي العالمي.

٢ - تسيطر على كل أنواع العملة الصعبة.

٣ - أنها هي الزبون العالمي الأول.

٤ - توفر هذه الحضارة للعالم معظم بضائعه.

٥ - تسيطر على أسواق الرأسمال العالمية.

٦ - وتمارس قدراً كبيراً من القيادة الأدبية في كثير من المجتمعات.

٧ - لها القدرة على التدخل العسكري العظيم.

٨ - أنها تسيطر على المضايق البحرية.

٩ - أنها تقوم بمعظم البحوث والتطوير والتقنية المتقدمة.

١٠ - أنها المتحكمة في التعليم التقني الفائق.

١١ - أنها المهيمنة على المدخل إلى القضاء - وعلى صناعة الطيران - على وسائل الاتصالات العالمية وعلى التقنية العالمية لصناعة الأسلحة [١].

ونحن من جانبنا نرفض هذه الوصاية التي هي في الحقيقة استعباد وامتلاك لرقاب العباد ونهب لخيرات البلاد، في ظل التنافس المحموم باسم السوق الحرة والشره المفرط باسم الانفتاح والاندماج وفي ظل غياب القيم النبيلة والمثل السامية والأفكار النيرة وفي ظل العنف المنظم خاصة بعد امتلاك أكبر قوة اقتصادية وسياسية، عسكرية نووية قد تؤدي إلى خراب العالم وفنائه.

وعوداً على بدء فإن صمويل هينتغتون يتوقع أن صدام الحضارات لن يكون كما كان الحال في القرن الماضي (القرن الـ١٩) أي من خلال اختلاف النظم الاجتماعية والأيديولوجية، بل إن ما سيحددها هو اختلاف الحضارات، التي ستصادم بكل ما لديها بالطبع من قداسات دينية وثقافية. وإن الحضارة الغربية - بزعمهم - هي حضارة الخير والقيم السامية والسلوك المثالي وإن خصمه الأيدلوجي الجديد (الإسلام) هو محور الشر

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

وإمبراطوريته ورمزه المطلق. ولم يزل الخطاب الأمريكي منذ تأسيس أمريكا يدعى أنه صاحب رسالة إلهية مفوض لتغيير العالم. فهذا جورج واشنطن أول رئيس أمريكي في خطابه عام ١٧٨٩م يقول: إذ أنه توكل بمهمة يمدها الله إلى الشعب الأمريكي.

وفي نفس السياق وعلى النغمة نفسها يكرر توماس جيفرسون في خطابه الرئاسي عام ١٨٠١م فيقول: «الأمريكيون شعب الله المختار».

وأما الرئيسي " داريت آيزنهاور" فقد خاطب أمته في عام ١٩٥٣م قائلاً: «لمواجهة تحديات العصر حمل القدر بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر».

وهذا هو ديدن الأمريكان «والسنفوانية التي يعزفون عليها دائماً طوال عهودهم، فلم ينس الخطاب الأمريكي على العموم يوماً ما أن يلح في المقابل على أن أمريكا هي «البلد الذي باركه الرب» [١] (God Blessed Country).

أصل هذه المقولة ومدى تأثيرها على السياسة الأمريكية:

والحقيقة أن مقولة صراع الحضارات خطاب قديم، مستعاد لإذكاء جذوة الصراع من جديد بين ما يسمى في المسيحية " مدينة الله " و" مدينة الشيطان " كما جاء على لسان القديس "أوغسطين "[٢]، ويصور الصراع كما هو حال أهل الشر على أنه من أجل القداسة التي ينبغي أن يحافظ عليها، وأن ما يذهب من أبرياء المدينتين ضحية هذا الصراع لا اعتبار له فهو ضرر محتم لا مفر منه، وهو خير محض ويطلقون عليه الضرر المصاحب، وليس ثمة هم أو كدر أو أدنى حس إنساني حينما تزهق أرواح الآلاف أو الملايين من البشر، أو تهدم عليهم بيوتهم بما فيها، في سبيل انتصار القداسة الملتصقة بالحضارة الغربية المزيفة زوراً وبهتاناً! [٣].

---

(١) انظر حسن قطامش: نهاية الجغرافيا، عن البيان، (١٤٩)، ص ٩٥، وانظر يوهان جالتونج: هوت اليمنية الأمريكية، ضمن كتاب جارودي: أمريكا طليعة الانحطاط.

(٢)انظر: علي مبروك، صدام القداسات، عن مجلة سطور، الصادرة في مصر، مؤسسة الأهرام، العدد (٤٢)
٢٠٠٠/٥م، ص ٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٩، وانظر أحمد الشهاب نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، الكلمة العدد (٢٥)، ص ٩٢، مرجع سابق، وانظر عبدالجليل كاظم الوالي: جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، عن مجلة المستقبل العربي (٢٧٥) ٢٠٠٠/١، ص ٦٥.

إن ما يثير الدهشة في كتاب صراع الحضارات هو بشاعة الرؤية، من خلال إثارتها لشجون العامة والخاصة من الغربيين أنفسهم، ولا سيما أن الدراسة تضع الخطوط الزيتية لهذا الخطر القادم ممثلة بالعقدين الأولين من القرن الـ٢١، ولا يكتفي بذلك بل يحدد العام ٢٠١٠م ليكون عام الهجوم النووي الإسلامي (المتطرف) على بعض المدن الغربية الكبرى، ثم يتنبأ بقيام حرب عالمية ثالثة أعظم الخطر فيها وأهمه هو الخطر الإسلامي، ثم تعزز هذه النبوءة بما حدث في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م من هجوم على المركز التجاري الأمريكي لتصبح النبوءة حتماً لا خبراً، وليصبح الإسلام في نظر الغرب هو الخطر الأعظم فعلاً، والعدو اللدود والأول للغرب عامة، ولأمريكا خاصة، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة لشن حرب شعواء ضد الإسلام والمسلمين، فسخرت وسائل إعلامها الضخم لخدمة هذا الغرض ولتصور المسلمين بأبشع الصور، ولتنعتهم بأقذع النعوت وأفظعها من أصولية وإرهاب وتطرف!![1].

ثم بعد ذلك يتم تعميم هذا الأمر وإطلاقه لعامة الحركات الإسلامية سواء المعتدلة منها أو التي تعمل في خط المواجهة مع الاحتلال الغاشم الظلوم الإرهابي (المتمثل بالدولة) المزعومة " إسرائيل "، أو حتى أي دولة تريد أن تقيم في أرضها - الإسلام - أو تحكم شعبها به، فتعمم هذه الألفاظ وتلبس عليها غير من التهم وهي منها براء، ليتسنى ضربها تحت ذريعة الإرهاب وقد كان كبش الفداء الأول " أفغانستان ".

وهانحن نرى بوادر العاصفة الحمراء في الأفق المظلم تتجه نحو العراق، وليس ذلك أيضاً إلا لأنه خارج عن نطاق السيطرة التي يحلم بها النظام العالمي الجديد بقيادة الأمريكان.

إن ما ذكره هنتغتون ليس أمراً جديداً، لكن الظروف التي طرح فيها أفكاره وتوقيت هذا الطرح، هو الذي هيأ المناخ لنشرها ومناقشتها على نطاق واسع.

فقد جاءت هذه الأفكار بعد نهاية الحرب الباردة، وجاءت في أعقاب ما تنبأ به الرئيس الأمريكي السابق نيكسون من صراع حتمي بين الغرب والعالم الإسلامي بسبب

---

(١) هشام سعيد شمسان الملحق الثقافي لجريدة ٢٦ سبتمبر اليمنية العدد (١٣٦٤٨) ٢٠٠٢/٣/٢٥م ص٨.

النمو المتزايد في أتباعه، ونمو قوته المالية بحسب بعض المراقبين الغربيين حيث يقول: " إن بعض المراقبين ينبهون إلى أن عالم الإسلام سوف يتحول إلى قوة جيوسياسية موحدة ومتعصبة وأنه بسكانه المتزايد العدد وقوته المالية الكبيرة سوف يشكل تحدياً كبيراً، وأن الغرب سوف يضطر إلى عقد تحالف جديد مع موسكو لمواجهة عالم إسلامي خصم وعدواني.. وإن وجهة نظر كثير من الأمريكيين ينظرون إلى الإسلام على أنه في الطرف النقيض مع الغرب، فهما نقيضان لا يقبلان التصالح، وإن قوى الإسلام تنظر إلى ديار الغرب على أنها دار حرب، وهي تعمل لتحقيق تفوقها على الآخرين.. " (١).

ويذهب نيكسون إلى أنه " يميل كثير من الأمريكيين إلى تصور المسلمين على أنهم نمط واحد من الناس غير المتدنين (غير النظيفين)المتوحشين وغير العقلانيين، وعلى الغالب لا يلفت انتباهنا إليهم سوى أن بعض زعمائهم لهم الحظ السعيد في أنهم يحكمون أقاليم تحتوي في باطن أرضها على ثلثي الاحتياطات المؤكدة من النفط في العالم " (٢).

وإثر انتهاء الحرب الباردة تعمد الغرب في أكثر من جبهة تصعيد العدوانية ضد الإسلام، فهذا مدير معهد بروكنغر في واشنطن هيلموت سوتيفيل يقول: " إن حلف شمالي الأطلسي سوف يعيش، وإن الغرب سيبقي مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة، وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامي " (٣).

وعلى نفس الوتر يلقي هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية قال فيه: " إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب... إلى أن قال : " وإن حلف الأطلسي باق رغم انخفاض حجة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج

---

(١) انظر ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأسبق - أمريكا والفرصة التاريخية - ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل سفير سوري سابق مكتبة نيسان ط١/١٩٩٢م ص١٨٧.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(١) انظر محمد السماك - موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد - دار النفائس ط١/١٩٥٥م ص١٧.

أوروبا، ويؤكد أنها ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط " [1].

بمثل هذه الكلمات وغيرها يتأجج الصراع وكأن المتحدث هنا يهودي، فهذا هو نفسهم، فهم يحاولون دائماً وأبداً إشعال الحروب، والسعي في الأرض بالفساد، وخاصة في ديار المسلمين، فهذا الخطاب إنما هو من صنع يهود الذين نعرف وصفهم من كتاب ربنا سبحانه وتعالى حيث يقول:{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً} [2].

ونفس المعنى يؤكده الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ويلي كلاس Willy Claes حينما يصف الأصولية الإسلامية في خطاب رسمي له بقوله: " إنها أعظم خطر راهن يواجه الحلف" وتنشر مجلة الأيكونوميست البريطانية على غلافها موضوعاً بعنوان " الإسلام الأيدلوجية البربرية المعادية للغرب " [3].

بل يصل الأمر بالجماعات الخضر في ألمانيا إلى أن يصفوا الصراع بين الإسلام والغرب خاصة بعد أزمة الكويت بأنه: «صراع بين الإسلام والتنوير أو التحرير» حتى إن مجموعة منهم ليطالبون بتشكيل بوليس دولي لحماية البيئة من العرب [4].

حتى لقد أصبح الأمر بديهياً وطبيعياً ومقبولاً أن تقوم الولايات المتحدة بأي تصرف أمريكي يعتمد على القوة العسكرية المتفوقة، متجاهلة لقرارات الأمم المتحدة مع الادعاء بالاعتماد على شرعيتها ما دام الأمر الواقع هو العقلانية أو الإسلام. بل إن التدخل الأمريكي في أي بقعة من بقاع المسلمين ولو أدى إلى أضرار تتعدى العملية الجراحية - كما يزعمون - يصبح حملة تبشيرية من أجل الحضارة والحرية، وتنوير الشعوب الأخرى[5].

إن الصراع بين الإسلام والغرب ليس جديداً على الأمة الإسلامية وشواهد الحال أو

---

(٢) المرجع السابق، ص ١٧، ١٨.
(٢) المائدة آية ٦٤
(٣) محمد السماك، ص ١٨.
(٥) المرجع السابق، ص ١٨، وأقرب مثال على ذلك ما حدث لأفغانستان والعراق، بحجة مطاردة الإرهاب والبحث عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة زوراً وبهتاناً وتحرير الشعب وتنويره وقد رأينا ذلك جهاراً نهاراً كيف يتم تحرير هذا الشعب المغلوب على أمره بالسحل والقتل والتدمير والتخريب.
(١) المرجع السابق نفسه.

الواقع أكثر من أن تحصى، فالحروب المفروضة على المسلمين في كشمير - الشيشان - فلسطين - الفليبين - أندونيسيا - الصومال - أفغانستان والعراق وغيرها ليس لها سبب إلا الإسلام، وإلا أن يقول المسلمون : ربنا الله، وصدق الله العظيم حيث يقول:{وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}[1]وقال تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}[2].

والحقيقة التي لا ريب فيها هي أنه لما تخلى المسلمون عن دينهم، وغفلوا عنه، وجعلوه وراءهم ظهرياً، وجعلوا من القرآن تمائم ورقى، يستشفون بها، ويدفعون عنهم الأذى والجن، ولم يحكموه في واقعهم، ولم يعملوا بما أنزل من أجله، وما أنزل إلا كذلك، ولم يتدبروه، بل خالفوا نهجه، فتفرقوا شيعاً وأحزاباً، وقد دعاهم إلى الاعتصام بحبله والاستمساك بالعروة الوثقى، فشلوا وتنازعوا وذهبت ريحهم واستبد بهم القريب قبل الغريب، والصديق قبل العدو، فنزل بهم البلاء، وألمت بهم المصائب، وصارت فيهم سنة الله كما خلت على الذين من قبلهم، قال تعالى محذراً أمته مما وقعت فيه أُمَمٌ قبلنا:{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[3].

وقال تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}[4] وقال تعالى:{قد خلت من قبلكم سننٌ} [5] وقال تعالى:{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} [6].

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم أن الواجب على هذه الأمة أن تقود الناس إلى الخير، فلا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إلا ما يحقق لها النفع، وعليها أن تعرف حقيقة وجودها ومكانتها، وأن تعطي الأمم الأخرى ما عندها من خير في

---

(٢) البروج آية ٨.
(٣) المائدة آية ٥٩.
(٤) المائدة آية ٧٨ - ٧٩.
(١) المائدة آية ٦٨.
(٢) آل عمران آية ١٣٧.
(٣) الأحزاب آية ٦٢.

المنهج والتصور والاعتقاد، فهذا واجبها وعليها أن تأخذ بزمام العلم حتى تكون صالحة للقيادة، وإلا فإن الزمام سينفلت منها كما هو حاصل اليوم، فأصبحت هذه الأمة تُدعى وكان اللازم أن تَدعو وتؤثر في الأمم الأخرى وتنشر الخير والمعروف والأمن والسلام في كل المعمورة. قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (١).

وقد جاءت في السنة أحاديث كثيرة تنهى عن التفرق والاختلاف والتنازع والشتات فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(٢).

ومن الأحاديث قوله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» (٣).

وقوله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «لا بل كثير» (٤).

ولقد بدأت جذور العولمة بروحها الصدامية، وكشرت عن أنيابها منذ القرن الخامس عشر والسادس عشر من يوم أن بدأت الكشوفات الجغرافية، حينما زرعت الدول الأوروبية مستعمراتها في أفريقيا وآسيا والعالم الجديد (أمريكا)، وفرضت طوقاً من الحصار على دول الإسلام والعالم العربي، أي منذ سقوط الأندلس في عام ١٤٩٢م بدأ الشر يحيط بالمسلمين من كل جانب.

ثم مر العالم بمراحل كوارثية ثلاث كانت: -

أولاها: مرحلة القطرين من عام ١٥٠٠م - ١٨٠٠م.

---

(٤) آل عمران آية ١١٠.

(٥) رواه البخاري فى صحيحه كتاب الخصومات، باب يذكر فى الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود رقم (٢٢٣٢).

(٦) أخرجه الترمذي عن حذيفة وهو عند الإمام أحمد في مسند حذيفة، وانظر صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج٢، ص١١٨٩، برقم (٧٠٧٠)

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام أبو داود في مسنده عن ثوبان انظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم(٩٥٦) وانظر: صحيح الجامع، ج٢/ص١٣٥٩ برقم (٨١٨٣، ٣٢٥٧)وانظر صفحة (١٣١) من الرسالة.

ثم تلتها: مرحلة الاحتلال من عام ١٨٠٠م - ١٩١٥م.

ثالثها: مرحلة التقسيم وهي مستمرة حتى اليوم من عام ١٩١٥م ولا زالت [١].

وأسفر هذا التقسيم عن حروب وصراعات لم تنته بعد، ولم يكتف النظام العالمي الجديد بذلك بل زرع الحقد والشتات والفرقة والاختلاف بين الدول الإسلامية وبعضها، ولا زال يحاول إلى اليوم أن يقسم المُقَسم، ويشعل الصراع أكثر حتى يتسنى له دخول البلاد من غير أي مقاومة.

إن مقال صراع الحضارات لم يكن سوى تنظيراً واضحاً لاتجاه أمني جديد في العالم الغربي، وليس بحثاً في العلاقات بين الحضارات، ومن أجل ذلك بدت الصورة قاتمة في علاقات الغرب المستقبلية بالإسلام [٢].

* * * * *

(١) انظر محمد السماك - موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد - دار الفائي ط١/١٩٩٩م ص١٩ - ٢٧.

(٢) د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف في مصر - الإسلام في عصر العولمة - مكتبة الشروق ط١/٢٠٠١ ص٧٣، ٧٤.

obeikandl.com

المطلب الثالث:
القضاء على الخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب

تسعى قوى العولمة إلى خلط كافة الحضارات، وإذابة خصائص المجتمعات حتى لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية أو هوية شخصية، وشيئاً فشيئاً تزول كل الأصول الحضارية، وتقل كل الروابط الأسرية، وينتهي ما يطلق عليه فريضة الخصوصية الوطنية.

خصوصيات المسلمين الثقافية:

وأهم غاية لقوى العولمة، القضاء على الخصوصية الإسلامية والعربية، المتمثلة في خصوصيات المسلمين في عقيدتهم، وسلوكهم، وكيانهم، ومنهج حياتهم الثابتة في الدين الإسلامي، والتوجيه الرباني. مع أن منهج المسلمين شامل كامل لكل ما يتصل بالحياة الإنسانية، من اقتصاد وسياسة وأسرة واجتماع وبيئة ونماء وحضارة بوجه عام، فالتطرق إليه بالتبطيل والتنقيص هو تطرق إلى هذه الخصوصية، وافتئات على دين الله وحق المسلمين في تعبدهم وامتثالهم لله[1].

وينبني التصور الخاص للعولمة، على تهميش العقائد الدينية، التي تنتج عن ثقافات العولمة، من حيث النموذج الكلي لسلوك الإنسان، وقيمه، وعاداته، وأفكاره، وأفعاله، وربطها كلية بظواهر التخلف والإرهاب، فالإيمان بالغيب خرافة، والتمسك بالدين رجعية، وأداء الشعائر غباء وشكلية، حتى تنتهي إلى الفوضى، وإذا لم تستطع العولمة نفي الدين فلا أقل من أن تقوم بتهميشه حتى لا يتذرع به أحد في إثبات ذاته، وتفرده عن غيره من الناس.

إن الذين ينادون بالعولمة لا يستطيعون أن يعيشوا مع غيرهم، وخاصة مع المسلمين، لأنهم سيقفون أمامهم حجر عثرة في تحقيق الهيمنة الاقتصادية العالمية[2].

ذلك لأن الدول الرأسمالية خصوصاً الراعية للعولمة، وأخص بالذات الولايات

---

(١) انظر: نور الدين الخادمي: بين عولمة الغرب وعالمية الإسلام، عن مجلة الأسرة السعودية، العدد (١١٧)، ذو الحجة ١٤٢٤هـ، ص٨٠

(٢) د. كمال عبد الغني المرسي - العلمانية والعولمة والأزهر - المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ١٧١.

المتحدة تعمل جاهدة لتحقيق مظاهر الترابط بين كافة أبعاد العولمة والمدخل الأول كما هو معلوم الاقتصاد، وبتعبير آخر حسب ماجد شدود - استكمال جميع الأسس والمرتكزات لظاهرة العولمة وتحويلها إلى بنية متكاملة تشمل جميع مظاهر المجتمع وفعالياته وبما ينسجم مع المفهوم العام لظاهرة العولمة وبما يحقق السيطرة الكاملة للدول القوية على الدول الأخرى. وبالفعل بدأت مظاهر العولمة الثقافية على السطح من خلال التطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وتسارع الثورة المعرفية، وثورة الاتصالات، وذلك بهدف اختراق الثقافات الأخرى وتغييب دورها [1].

والعولمة في هذا المجال هي أكثر فاعلية وتأثيراً، فهي تدفع بالثقافات إلى الترابط عن طريق إزالة الحواجز أمام إنسانية الشعوب والثقافات، والسلع الثقافية في قرية كونية بحسب مكوهان بما توحي كلمة القرية من قرابة وحوار ومحدودية في المكان والزمان، ولكن هذا الكلام لا يقبل من حيث الواقع، لأن التأثير الثقافي الحاصل إنما هو من جانب واحد، وليس هناك تبادل أو تكافؤ في العلاقة ولا حسن جوار - ولا شيء مما يقال عنه سوى تسويق ثقافة سوقية انحطاطية سطحية استهلاكية الغرض منها الربح، والربح فقط.

ولما كانت الثقافة تعبيراً واضحاً عن عقيدة الإنسان فإن سلوكه وعاداته وقيمه ومظهره ومخبره ومخرجات أفكاره وأفعاله، وكلها ناتجة عن ثقافته النابعة من عقيدته ودينه، ومن هنا فإن ثقافة الغرب، أو بتعبير آخر ثقافة العولمة إنما هي دعوة واضحة لتغيير عادات وقيم وسلوك المجتمعات العالمية كافة، والتركيز في ذلك على المجتمعات الإسلامية، حتى يسهل السيطرة عليها، واستغلال موارد تلك الشعوب، ولهذا فإن اختراق ثقافة العولمة لغيرها من المجتمعات، إنما هو اختراق لوعي الإنسان والتحكم به، وهو اختراق للدين وللتقاليد وللأعراف المحلية والثقافات الحاضرة، وذوبان للمجتمعات، ومسخ للهويات، وهذا لا يمكن أن يقبله أي مجتمع لأن في ذلك تهميش ومسخ وإزالة له، قد جعل الله سبحانه وتعالى الاختلاف والتنوع من السنن الكونية، حيث قال سبحانه تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [2]

(١) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها مظاهرها - ص ١٢٧، مرجع سابق.
(٢) الحجرات آية ١٣.

قال تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ} [1]وأما المسلمون فليس لهم عزة، ولا ذكر بين الأمم، ولا رفعة، ولا شأن، إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قال تعالى:{لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [2]وقال تعالى{... إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [3].

فالثقافة إذاً عنصر أساسي من عناصر تكوين الأمة، وتمتين عناصر وحدتها، وصياغة شخصيتها المتكاملة، وخلق حياة قومية مزدهرة متطورة. ولكن ليس في معزل عن التفاعل من حيث التأثر والتأثير مع ثقافات الأمم الأخرى فهي تتأثر حتماً مع غيرها من الثقافات سلباً أو إيجاباً [4].

استخدام قوى العولمة الثقافية للسيطرة على الأمم.

إن الدول القوية والمتطورة تحاول الآن في إطار ظاهرة العولمة استخدام الثقافة أداة فاعلة لفرض سيطرتها على الأمم والشعوب الأخرى، من خلال العمل على تقويض قانونية تعدد الثقافات في العالم لصالح نموذج ثقافي معين، وهو ثقافتها المعممة التي تحمل قيمها وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها المختلفة مما يعود بالضرر الكبير على ثقافات الأمم والشعوب الأخرى، وهاهم أرباب العولمة يزعمون تفوق ثقافتهم على ثقافات بقية الأمم، وبالتالي فلا بد من اختراق وتفتيت تلك الثقافات وهذا قد يسهل عليهم مع كل ثقافة غير ثقافة المسلمين.

إنهم يريدون تشكيل ثقافة جديدة في بنيتها ومضمونها هي " ثقافة العولمة " وظيفتها " عولمة الثقافة " وذلك بنفي ما هو محلي في الثقافة لحساب الثقافة الجديدة (ثقافة العولمة) ووسائلها في ذلك: -

١- الشبكة الواسعة من الاتصالات.

٢- السيولة الكبيرة من المعلومات.

٣- التقدم العلمي التقني الكبير.

---

(٣) سورة هود آية ١١٨.

(١) سورة الأنبياء آية ١٠.

(٢) سورة الزخرف الآيات ٤٣، ٤٤.

(٣) د. ماجد شدود - العولمة مفومها سبل التعامل معها، ص ١٢٩، مرجع سابق.

٤- قوة السيطرة الاقتصادية المادية الكبيرة عبر الشركات متعددة الجنسيات[١].

وقد حققت هذه الوسائل بعض النجاح في جل دول المسلمين، ولذلك فإن ما يسمى بالخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب يكاد يكون مفقوداً اليوم في ظل ثورة المعلومات والاتصالات والقنوات الفضائية التي اخترقت الحدود وهدمت السدود، بل واستطاعت أن تدخل إلى غرف النوم في البيوت ولم تلتزم حدودها المحلية بل انطلقت منفلتة من قيودها لتجد الطريق أمامها فسيحاً معبداً، سهلاً، وذلك بسبب تقنيات العلم الحديثة التي أخذ بزمامها علماء الغرب، فلم يتوانوا في نشر ثقافتهم وسلوكياتهم وأفكارهم التي يرون أنها تخدم حضارتهم فكان أن نشروا الأقمار الصناعية بالعشرات بل بالمئات في الفضاء الكوني الرحب لتخترق الفضاء وتنتشر في الكون كله الأرضي فتصل بكل سهولة ويسر إلى كل بيت من غير النظر إلى خصوصيات الشعوب المستهدفة الثقافية والحضارية.

ومن المؤسف أن نجد البضاعة التي يبيعونها ويروجون لها ليست غالية الثمن، وليست مما لا يمكن اقتناؤه، أو مما يمكن التجافي أو التغاضي عنه، خاصة من قبل شريحة الشباب والأطفال والنساء، إنها مغريات المعلومة والصورة، تقدم للمستهلك الثقافة المراد نشرها، بصورة جذابة وجميلة وأنيقة ومعطرة، يروق للمشتري استهلاكها ويحلو له اقتناؤها، وإن ذلك يسير بخطى مدروسة، وسيناريو محبوك، وحوار سريع الإيقاع [٢]، إنها تستهدف إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب، وتعميم القيمة الاستهلاكية [٣].

والثقافة التي تدعو إليها العولمة هي ثقافة سيادية نابعة من: قيم المادة والكم، وثقافة لا مكانة فيها للإنسان رغم زعمهم أنهم حريصون على حقوق الإنسان [٤]، إنها تستهدف العالم الإسلامي والعربي بشكل أساسي، إنها ترمي من خلال غزوها المتواصل عبر الأفكار والقيم والمعلومات والثقافات واللغة إلى اقتلاع مجتمعات من واقعها، للوصول

---

(٤) ماجد شدود، المرجع نفسه ص ١٣١.
(١) رعد كمال الخياري - العولمة وخيارات المواجهة ص ٤٠ الصورة، عدد (١٠١) مرجع سابق.
(٢) د. ماجد شدود - العولمة مفهومها مظاهرها سبل التعامل معها، ص ١٣١، مرجع سابق.
(٣) باقر النجار العرب والعولمة المخاوف والتحديات عن وجهة نظر المصرية، ص ١٥.

إلى تغريبها وتسطيح وعيها في عالم تتناقض فيه إلى أبعد حد في الآمال والإمكانات والحاجات والقدرات، ويتزامن ذلك مع ضياع الأسس المرجعية للأمة الإسلامية، وتفجير أزمات الهوية، والاعتماد من خلال تفجير الصراعات بين الأمم والشعوب، وداخلها، للوصول إلى تفكيك وتحطيم ثقافات تلك الدول مستخدمة أسلوب الضغط في ذلك كشعارات جوفاء مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والدفاع عن الحرية والعدالة كأيدلوجية لتحقيق سيطرتها[1]، وإن كانت بعض المجتمعات الغربية نفسها قد استاءت من الغزو الثقافي للعولمة، المتمثل بالقيم والسلوكيات الأمريكية التي تصور عبر شاشات الفضائيات والأفلام وعبر الإنترنت، مثل فرنسا وكندا والاتحاد الأوروبي الذي أصدر قانوناً يتيح لـ(٥١٪) من المنتوجات الدرامية. لا بد أن تكون أوروبية، ولكن باسم العولمة وباسم حرية التجارة العالمية تصر الولايات المتحدة الأمريكية على إزالة أي قيود تمييزية في دول الاتحاد الأوروبي، وغيرها من البلاد، لصالح الإنتاج التلفزيوني المحلي وضد الإنتاج الأمريكي، ومع ذلك ترفض دول الاتحاد الأوروبي ذلك بإصرار، كجزء من إصرارها على أن تكون لها هويتها الثقافية المحضة، ضد الذوبان في الهوية الأمريكية، التي تروج بدورها لنموذج الرأسمالية المتوحشة والفردية الصارخة، حيث تتحكم الولايات المتحدة الأمريكية بـ(٦٥٪) من المادة الإعلامية. ومن هنا تدرك مدى سر حرص الولايات المتحدة على نشر ثقافتها، فقد أشار بريجينسكي مستشار الرئيس جيمي كارتر السابق للأمن القومي بقوله: " إن على الولايات المتحدة الأمريكية وهي تمتلك هذه النسبة الكبيرة من السيطرة على الإعلام الدولي أن تقدم للعالم أجمع نموذجاً كونياً للحداثة ونشر القيم والمبادئ الأمريكية " [2].

وقبله دعا الرئيس السابق ريتشارد نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) إلى نشر القيم الأمريكية إذا ما أرادت أمريكا أن تكون زعيمة العالم [3] لأجل هذا فيجب على المسلمين أن يطالبوا بما تطالب دول الاتحاد الأوروبي على الرغم من أن الأخير يمكن أن ينضوي تحت مظلة الحضارة الغربية وبحكم قرابة الدين واللغة والعادات و.....

---

(١) انظر د. ماجد شدود، العولمة مفهومها، ص ١٣٥ مرجع سابق.

(٢، ٣) انظر رعد كمال الحيالي: العولمة وخيارات المواجهة، عن مجلة النور اليمنية، ص٤١، مرجع سابق.

إذاً فالعولمة الثقافية بحسب عبد الإله بلقزيز ليست سوى السيطرة الثقافية الغربية أو (الأمركة) على سائر الثقافات، بواسطة استثمار العلوم والثقافة في ميدان الاتصال، وهي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة، بدأت منذ انطلاق عملية الغزو الاستعماري منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية عديدة، وبخاصة في أفريقيا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية [1].

ويتابع بلقزيز: «ولعل هذا يؤكد أن العولمة لا تؤرخ لنهاية عصر الدولة القومية بل تعلن عن ميلاد حقبة جديدة من تمددها المستمر، وما يسمى بالعولمة الثقافية ما هو إلا مظهر من مظاهر ذلك التمدد خارج الحدود»[2].

وتعمل العولمة الثقافية على سحق الثقافات والحضارات المحلية وإيجاد حالة اغتراب ما بين الإنسان والفرد، وتاريخه الوطني والموروثات الثقافية والحضارية بفصل الجذع عن الجذور العميقة الممتدة، وفصل السطح عن الأعماق وإيجاد شكل جديد من أشكال الثقافة العالمية (بل العولمة) تعمل كل ذلك من خلال ما تصنعه وتقيمه وسائل الإعلام المختلفة باستخدامها البث المباشر للعالم بأسره، فتعيد تشكيل الذاكرة والوعي الخاص بالبشرية جمعاء، ويضيع ويختفي الخاص، ويبتلع في جانب العام، وتذوب الخصوصية الوطنية مع تعاظم الاتجاه نحو العولمة، واستخدام آليات الإبهار بوحدة العالم، وتنمية التعامل مع عالم بلاحدود، وسياسة ودون قيود، لانتماء وطني محدود، أو دولة بعينها ودون الحصول على تصاريح أو موافقات أو إذن أو إجراءات حكومة بعينها[3].

إنها ثقافة تقتحم مجالات الوعي والثقافة المحليين، وتعمل حتى على تعميم أوقات الفراغ وأنماط الترفيه والاستهلاك المادي والثقافي. [1]

---

(٤) انظر عبد الإله بلقزيز - العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة عن العرب والعولمة، ص ٣١٨.

(١) المرجع نفسه، ص ٣١٩.

(٢) د. محسن الخضيري - العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولة، ص ١٣٠، مرجع سابق.

(١) انظر العرب والعولمة ص ٢٨٣، ٢٨٤.

ثقافة سطحية حسية مادية منحرفة كما يصفاها (كاهن، وونز) الباحثان الغربيان [1].

تأثير العولمة الثقافية على حياة الناس :

ولم يعد ينحصر تأثير العولمة كما تبين لنا مما مضى في التطورات التقنية والمعلوماتية والاتصالية المتسارعة فحسب، بل امتد تأثيرها الحقيقي إلى نفوس الأفراد وسلوكهم النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، أي إلى نهج حياتهم وممارستهم ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يلي:

- ظهور الاتجاه الذي يجيز الوصول إلى الغايات بمنأى عن القيم الثابتة النابعة من الدين والأعراف والتقاليد الطيبة، ويبدو ذلك بوضوح في أنماط العلاقات المتبادلة بين الناس أفراداً وجماعات في شتى المجتمعات المتأثرة برياح العولمة للوصول إلى الثروة بطرق مختصرة، ولو لم تكن مقبولة بحجة التسامح والسعة في الأفق.
- سطحية الثقافة المكتسبة من خلال مخرجات وسائل الاتصال بالمجتمعات، وعجز النظام التربوي في المدرسة والبيت عن تعميق القيم الفاضلة واستمرارها.
- التحول من الأمور العامة إلى الأمور الحيادية، وازدياد التكتلات المصلحية.
- سطوة الإعلام الغربي وأثره في العنف والجريمة.
- الحاسوب وأثره في السير نحو العزلة وضعف العلاقات الأسرية.
- تحول كثير من الأشياء إلى سلع استهلاكية قابلة للبيع والشراء.
- ازدياد وتيرة الانهيار العائلي كالطلاق الفعلي والطلاق العاطفي.
- الاستغلال شبه الوبائي لأمراض العصر (القلق - الضغط - السكر...) التلوث البيئي.

وهذا كله دليل على طغيان وهيمنة ثقافة العولمة التي لا تحسب للدين ولا للأعراف ولا للتقاليد حساب، وكأن الناس ما خلقوا إلا لإشباع بطونهم وفروجهم وهذا هو الدمار

(١) ماجد شدود، العولمة مفهومها، ص١٣٣.

وهلاك المجتمعات والأمم [١].

إن خطاب العولمة الثقافي يعمل في أبعاد عدة أخطرها إذابة الخصوصيات الثقافية، ومسخ الهويات، ومحو الحضارات والترويج للأفكار الغربية، إنها خمسمائة قمر صناعي أو يزيد تدور حول الأرض وترسل عدداً لا نهائياً من الأشرطة والبرامج، تبشر بنموذج أيديولوجي واحد، هو النموذج الليبرالي الذي غايته أن يبحث عالماً واحداً تنتشر في أرجائه ضرب واحد من البدائع وضرب واحد من الأفكار وضرب واحد من القيم والسلوكيات والأخلاقيات [٢].

وإن من الأمور والقضايا التي أنتجتها العولمة الثقافية قضية الهوية على نطاق عالمي واسع وما يتهددها من مخاطر الإلغاء والإقصاء أو الذوبان والانصهار " لتعميم النسق الواحد للثقافة من خلال السيطرة على أدوات العولمة وآلياتها التي تنقل إلى العالم الصور والمعاني والرموز والقيم والأنماط، بواسطة الأقمار الصناعية والبث التلفزيوني، وبرامج الكمبيوتر وشبكة المعلومات الدولية، ويقوم موجهو العولمة المتسارعة اليوم بتحسين وسائل وأنظمة النقل الدولي، ويبتكرون تكنولوجيات وخدمات ثورية جديدة في مجال المعلومات، ويهيمنون على السوق الدولي للأفكار والخدمات وهو ما يؤثر في أسلوب الحياة والمعتقدات واللغة وكل مكونات الثقافة الأخرى، بل إن خمس عشرة شركة أمريكية كبيرة في مجال الاتصال تعرض مشاريع تنافسية ستؤدي إلى تمكين أي فرد في أي مكان من الاتصال الفوري بأن شخص أينما كان دون الحاجة إلى إنشاء أية بنية أساسية للاتصالات على الأرض بالقرب من المرسل أو المستقبل "[٣].

ورجعة إلى الخلف نحو أربعة عقود فقط أي إلى (المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) في دورته الرابعة عشرة نجد أنه قد جاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الأولي: -

---

(١) عن لجنة البحوث والدراسات الإسلامية، مهارات الفهم العالمي العولمة تعريفها مخاطرها على العالم الإسلامي، صـ٦٦، ٦٧.

(٢) انظر مها دياب - تهديدات العولمة للوطن العربي عن المستقبل، ص ١٦٠، ١٦١، عدد ٢٧٦، ٢٠٠٢/٢م.

(٣) زكي الميلاد والفكر الإسلامي عن الكلمة العدد (٢٠) سنة ١٩٩٨م، ص ٩٣، وانظر ماجد شدود - العولمة مفهومها ص ١٣٤ مرجع سابق.

١- لكل ثقافة كرامة وقيمه يجب احترامها والمحافظة عليها.

٢- من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.

٣- تشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع خصب، وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكية البشر جميعاً.

وليس في تنوع الهويات، وتعدد الخصوصيات ما يتعارض وقضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأمم، في إطار التعاون الإنساني القائم على قاعدتي التعارف والتعايش، وإنما ينطوي هذا التنوع على عناصر تغذي الميول الإنسانية الفطرية نحو امتلاك أسباب التقدم والرقي بحافز من التنافس الطبيعي وبوازع من التدافع الحضاري[١].

وبعد هذا يفاجأ العالم بنظام عالمي جديد تحت مسمى (العولمة) يعمل على إذابة الهويات، ومحو التعدد الثقافي، وتجاهل الحضارات، والعمل على تغييبها كواقع حتمي ولازم، لتنصهر جميعها في ثقافة عالمية واحدة، وتدعي لنفسها أنها تملك أسباب البقاء، بقيم وسلوكيات لا تمت إلى الأخلاق الكريمة بصلة ولا تستند إلى مرجعية دينية، بل ولا تعترف بأي دين، إنما دينها هو ما يسمى بـ النفعية أو الـ(براجماتية)، كل ذلك تحت الضغط، والقهر، والقسر، والإكراه والتسلط، ضارباً عرض الحائط بكل القوانين والمواد التي صاغها ذلك النظام العالمي حينها، عندما كان يرى مصلحته تكمن في مثل تلك المؤتمرات [٢].

إن خرق القوانين الدولية المتعارف عليها، وهو مس خطير بقواعد القانون الدولي ومواده، وتهديد للأمن والسلام والاستقرار العالمي.

إن الهوية التي تنشدها الأمم والشعوب - كل على حدة - إنما تعني بالدرجة الأولى الامتياز عن الغير، والخصوصية الذاتية المعبرة عن طابع تلك الأمة أو ذلك الشعب التي تميزه عن غيره من ناحية الدين - العادات والتقاليد - الأعراف - الأعياد -... إلى غير ذلك مما يميز كل أمة على حده، فيكيف يتسنى لأمة أن تحافظ على هويتها الثقافية في

(١) د. عبد العزيز عثمان التويجري - الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، ص ١٨.
(٢) د. محمد يحيى - قضية الهويات وحقيقته، عن البيان (١٠٣) ص ٩٧ وما بعدها.

ظل تسلط (العولمة) وبسط نفوذها اليوم على المجتمع الدولي، بل كيف يمكن الجمع بين مقتضيات السيادة الخاصة بأمة ما وبين متطلبات (العولمة) التي تشير في اتجاه معاكس تماماً للسيادة الهوية.

تناقض الغرب فى موقفه من الخصومة الثقافية :

وبحسب الدكتور /عبد العزيز التويجري إن ما يثير الغرابة ويشد الانتباه عند التأمل، هو موقف الغرب من هويات الشعوب، ففي الوقت الذي يبدي اعتزازه الشديد بهويته وثقافته وحرصه عليهما، يطالب الآخرين بالتخلي عن الاعتزاز بهوياتهم وثقافتهم لصالح ثقافته وهويته [1].

ففي أحدث دراسة لصموئيل هينتنغتون تحت عنوان مثير للغرابة " الغرب متفرد وليس عالمياً" يفرق فيها بين التحديث و(Modernization)وبين التغريب (Weslernezjation) ولم يسلط عليها الضوء كما جرى لمقولته السابقة الذكر (صدام الحضارات) يتضح من خلالها التناقض الذي تقع فيه قوى العولمة ففي الوقت الذي تدعو قومها إلى الاعتزاز والاعتداد بالهوية الثقافية تحرص على سلب هذه الهوية من قومها الأخرين بحجة القرية الكونية الواحدة وغيرها من الحجج الواهية.

وهذه مقتطفات من أقواله: يقول صموئيل هينتيغتون " إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم، والعادات والتقاليد، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية، والمسيحية الغربية، والأصول اللاتينية للغات شعوبها، والفصل بين الدين والدولة، وسيادة القانون والتعددية في ظل المجتمع المدني والهياكل النيابية والحرية الفردية ".

والملاحظ هنا أنه ينفي أن تدخل الحضارات والثقافات غير الغربية في النسيج الحضاري الغربي، وإن تغربت في الناحية الاستهلاكية المادية، لكن ستبقى الروح

---

(١) انظر د. عبد العزيز عثمان التويجري - الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي عن الإسلام اليوم، ص١٩.

الحضارية منفردة متميزة، لكل خصوصيتة في ذلك.

ولا يكتفي بهذا بل يضيف قائلاً: (إن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحقق التقريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس، يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة حضارات العالم، وهذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافى).

فهو يشير إلى أن التكنولوجيا لا تحدث فقط تحولاً في العالم بل إنها تسير نحو تكوين عالمها المجازي أيضاً وهو ينتقد من يدعون إلى ثقافة عالمية واحدة مرجعيتها الغرب بقوله: «كثيرون في الغرب يعتقدون أن العالم يسير نحو ثقافة عالمية موحدة هي ثقافة غربية، ومثل هذا الاعتقاد متغطرس، زائف، وخطير، فانتشار السلع الاستهلاكية الغربية لا يعني انتشار الثقافة الغربية» (١).

إن ما يقوله صموئيل هو عين ما أظهرته الأمم والحضارات، من مخاوف تجاه هوياتها وثقافتها ونماذجها الحضارية، وهذا الاستفزاز الغربي الموجه نحو جميع الثقافات والحضارات والهويات، وهذا الاصطدام المعتمد يبعث ما كان قد اندثر ومات من ثقافات أخرى كتلك التي أطاح بها الغرب لفترة من الزمن في أوروبا وأمريكا واستراليا.. فهي الآن تستعيد انبعاثها وقواها من جديد في أمريكا الشمالية وغيرها وملفات رحلات كريستوفر كولمبس الذي صوره الأوروبيون المكتشف لأرض الأحلام السعيدة - يتعرض اليوم لمحاكات تصفه بالقرصنة والتدمير، وإنه لم يكن مكتشفاً بل كان غازياً مارس القتل والنهب والسلب، وإن التأريخ في هذا البلد لا يبدأ من رحلته ١٤٩٢ كما تحدث كتب التأريخ الحديث في أوروبا، ولم يعد الغرب ذلك الحلم وأسطورة التقدم والنموذج الأمثل الذي يقتدى به وعليه - كما يحذر الكثير - أن يحد من اندفاعه في

---

(١) نفس المرجع عن صامويل هينغيون - الغرب إنه فريد ولكنه ليس كلياً جامعاً،ترجمة: فاضل جكلتر، أوروبا والعرب، سوريا، العددان، ١٦٦، ١٦٧، مايو يونيو، ١٩٩٧م ص ٥٥، عن مجلة فورين أفيرز العدد ٧٥ - تشرين الثاني، كانون الأول، ١٩٩٦م. وانظر زكي الميلاد الفكر الإسلامي وقضايا العولمة صـ١٣

العالم، ويكف عن مغامراته، ويعيد النظر في أنماط السلوكية التي ألبت عليه الأمم والحضارات [1].

إن الهويات والثقافات والحضارات لها طبيعتها التي تجعلها من غير الممكن اقتلاعها بسهولة، أو بضربة قاضية، وبصورة نهائية.

قد تختفي بعض الثقافات والهويات لزمن ما، ولكنها لا تموت ولا تندثر، وقد يخرج بعضها عن عجلة التأريخ ولكنها سرعان ما تعود مرة أخرى وهذه سنن كونية ثابتة والله عز وجل يقول:{وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}[2] إن الله عز وجل قد جعل من سننه الكونية أن يداول بين الناس في الملك والظهور والحكم ولكن ليس على سبيل الدوام، فمتى ما تغيرت تلك الأمم أعطى الله الحكم لغيرها وهذا واقع ملموس على مر الزمان فتلك أمم سابقة غابرة حكمة وسادت ولكنها بادت وفق سنن الله الكونية القدرية ولا نذهب بعيداً بل نرجع إلى ألفي سنة مضت أين إمبراطورية فارس أين إمبراطورية الروم أين الخلافة الإسلامية أين إمبراطورية بريطانيا أين الخلافة الإسلامية العثمانية فلا نملك إلا أن نقول:{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [3] حقاً وصدقاً وعدلاً إنها سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول.

إن السر[4] الذي يجعل الهويات لها هذه الطبيعة هو أنها تكرس نفسها وتتجذر بطريقة شديدة العمق حيث تمتزج بوجدان كل أمة وروحها العامة، وتتداخل وتؤثر في كل أنماط الحياة السلوكية، ونظام القيم والحقوق والواجبات وأشكال التقاليد والأعراف بما في ذلك طريقة الأكل ونظم الزواج والعقود والمعاملات واللغة والعبادات والطقوس الدينية إلى غير ذلك.... ويظل هذا الامتزاج والتداخل يمارس لزمن طويل وفي ظروف مختلفة ومتبدلة بحيث يكون كفيلاً بأن يجذر ويكرس هذه الهويات التي تنتظم عليها فلسفة العيش المشترك والاندماج في حياة جماعة.

ولا يمكن بعد هذا كله لأي ثقافة أو حضارة أن تقولب أو تعولم هويتها وثقافتها

---

(١) المرجع نفسه - بتصرف، ص ١٤..
(٢) (آل عمران ١٤٠).
(٣) (الرعد: آية ١١).
(٤) المرجع نفسه - بتصرف، ص ١٤..

لتعممها على سائر الثقافات والهويات أبداً، قد تحدث اختراقات شديدة وتستفيد من ثغرات عميقة، إلاّ أنها لا تصل إلى حد الذوبان والانصهار كلياً ونهائياً، فإن ذلك من الصعوبة الجزم به، خاصة وأن الثقافة (ثقافة العولمة) التي يراد لها أن تكون عالمية أنها سطحية ذات نوعية هشة، لا تهتم إلا بالمظهر دون المخبر، وبالمادية دون الروح، فهي بضاعة مزجاة همها ومساحتها لا تتجاوز البدن، وإشباع الغرائز البهيمية، فيه، ولا تهتم بالجانب الروحي أبداً، ولو بدا للعالم أنهم أهل حضارة، ومعرفة واسعة، فإن علمهم سطحي ويتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق في سننها الثابتة، وقوانينها الأصلية، ولا يدركون نواياها الكبرى وارتباطاتها الوثيقة، حقاً إنهم كما وصفهم الله سبحانه: **{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}** "(١) (٢) فهم لا يتجاوزون هذه الظاهر، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه، فظاهر حضارتهم محدودة، مهما بدا للناس أنها واسعة شاملة فهم محجوبون عن المعرفة الحقيقية ولذلك يظهر الخلل عندهم، بغياب القيم والمثل والسلوك والأخلاق، وإذاً فلا يمكن أن تؤثر حضارتهم على أمة تحمل معها حضارة وثقافة متجذرة ومتأصلة، تهتم بالجانب المادي والروحي وإن كان هناك هالة وهيلمان وزوبعة وإعلام قوي لدى الغرب إلا أن الإسلام لا يمكن أن يموت أبداً فهي في حالة مرض سرعان ما يزول هذا المرض بعلاج بسيط، ولا يزال في الأمة من يدافع عنها وينافح عن حياتها، والله عز وجل قد بشرنا بقوله: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}** (٣) والنبي ﷺ يقول **«ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار حتى لا يدع بيت حجر ولا مدر إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر وحزبه»** (٤).

كيفية اختراق هويات الشعوب :

يتم اختراق الهوية بالتسويق الهائل والعالمي للجانب الثقافي بصورة تماثل سرعة الضوء للسلع التي أطلق عليها اسم السلع الثقافية، والتي تتمثل في أجهزة التلفزيون والصور والدمى، وكل ما يرتبط بالفنون البصرية والسمعية، ومن المحقق أن هذه السلع

---

(١) الروم آية ٧ "

(٢) انظر سيد قطب الظلال، ج ٥ / ص ٢٧٥٨.

(٣) (الصف آية ٩).

(٤) انظر مسند الإمام أحمد الجزء الخامس، رقم الحديث (١٦٥٠٩).تحقيق أحمد شاكر

ترتبط بشرائح معينة في المجتمع الغربي الذي تتحكم فيه قوانين السوق ولو على حساب المبادئ والقيم حتى القيم التي يتبناها الغرب نفسه أي الثقافة النفعية بأحلى صورها وكذلك ترمي المشاريع الاقتصادية الغربية إلى إشاعة نمط المعيشة الغربي وتغيير أذواق الناس واهتمامهم وأمزجتهم لتلائم نمط المعيشة الغربي (الذي لا يقيم وزناً للقيم والأخلاق) كل ذلك الجهد تقوم به المنظمة الغربية لكي تخلق سوقاً سهلاً في منطقتنا تجني منه الأرباح الطائلة) [1].

ومما يساهم في تفعيل هذه السياسات التكنولوجيا الحديثة التي قاربت بين أطراف الأرض وكأنها تنتقص من أطرافها لتكون قرية كونية واحدة (بزعم مروجي العولمة) يسمع من في المشرق صوت من في المغرب قبل الانتهاء من حديثة، ويرى أحدهم الآخر في ذات اللحظة ولهذا فإن مجتمعاتنا تعيش في هذا الزمن كما يذهب إليه الموسوي أحداث المجتمعات الغربية وكأنها تحدث في عقر دارنا، فإذا سقط صحن في مطبخ الرئاسة الأمريكية، تهرع نساؤنا لمطابخهن يحسبن أن صحونهن قد انكسرت!! [2].

ومصداقاً لهذا الكلام، فإن النتائج التي أظهرها الاستطلاع البيئي في ١٨ بلداً عربياً والذي أجرته مجلة (البيئة والتنمية) بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة وجامعة الدول العربية، أظهرت أن معرفة الناس بالمصطلحات البيئية التي ترتبط بالبيئة الغربية، أكثر من معرفتهم بالمصطلحات التي ترتبط ببيئاتهم العربية لما للإعلام الغربي من تأثير قوي على مجتمعاتنا [3].

وقبل هذا فإن مصداق هذا الكلام في ديننا الحنيف يتمثل في قول الرسول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج**» قيل: وما الهرج؟ قال: «**القتل**» [1].

---

(١) السيد محمود الموسوي - العولمة المجتمع والتحديات الجديدة وبرنامج المهام، مجلة البصائر، العدد ١٢،٢٥ربيع ١٤٢٢هـ مرجع سابق.

(٢) الموسوي - العولمة والمجتمع نفس الصفحة.

(٣) البيئة والتنمية عدد نيسان ٢٠٠٠م. وعن مجاة بصائر. المرجع السابق ص١٢٢.

(١) رواه الإمام أحمد فى سند أبى هريرة رضى الله عنه، فى كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث (١٠٦٧٢).

فها هي التكنولوجيا الحديثة قد جعلها الله السبب في تقارب الزمان والمسافات وحيث قربت البعيد غاية التقريب بحيث صارت مسافة السنة تقطع في يوم وليلة أو أقل من ذلك، وأعظم من ذلك أدوات الإعلام التي لا تقف على نبث سمومها وكذباتها وخداعها على مدى الأربع والعشرين ساعة.

* * * * *

المبحث الثالث:
الأدوات السياسية أكبر
المطلب الأول:
هيئة الأمم المتحدة أكبر

ظلت أمريكا تراقب الوضع أثناء الحرب العالمية الثانية التي لم تدخلها إلا بعد عامين من اندلاعها - فضلاً عن أن أراضيها لم تشهد أي معارك، فأتاح لها ذلك كله فرصة التأمل الهادئ من أجل التخطيط لعالم ما بعد الحرب، وقد شهدت الولايات المتحدة - حتى قبل أن تشارك رسمياً في الحرب - ظهور عشرات المنظمات والهيئات التي ركزت كل جهودها لبحث سبل إرساء نظام جديد للعام، في وقت كانت فيه أوروبا مشغولة حتى النخاع ببحث سبل وآليات كسب الحرب، ولذلك لم يكن غريباً أن تصبح الصياغات الأولى لمشروع ميثاق الأمم المتحدة في مراحله الأولى كلها صياغات أمريكية بالأساس [1].

و لم يكن محض مصادفة أن يسمى إعلان الأمم المتحدة (إعلان واشنطن)، ويصدر في تلك العاصمة الأمريكية في يناير ١٩٤٢م، وأن تعقد أهم مراحل المفاوضات التمهيدية الخاصة بإنشاء المنظمة في مدينة (وامبرفون أوكس) إحدى ضواحي واشنطن عام ١٩٤٤م، وأن يعقد المؤتمر التأسيسي المنشئ للأمم المتحدة في (سان فرانسيسكو) عام ١٩٤٥م، وأن تصبح (نيويورك) هي المقر الدائم لتلك الحكومة العالمية بعد الإعلان عن قيامها في

(١) انظر عبد العزيز كامل - الحكومة العالمية، عن البيان (١٠٣) ص ٦٤، وما بعدها. وانظر روبرت. د. كاتتور السياسة الدولية المعاصرة ترجمة د. أحمد ظاهر مركز الكتب الأردني ١٩٨٩م صـ٢٠٧ وانظر أحمد أبو سجادة مأساة هيئة الأمم المتحدة في ظل النظام العالمي الجديد. البيان العدد (١٢١) رمضان ١٤١٨ هـ صـ٦٤.

١٩٤٥/١٠/٢٤م. إن تلك المنظمة - أو الحكومة بالأصح - أمريكية الوجهة، نصرانية المصدر، لأن صاحب الفكرة هي أمريكا ولأن الديانة التي تدين بها أمريكا هي النصرانية، وهي الديانة الأصلية للحضارة الغربية بأكملها الشرقي والغربي، ولم يكن ظل النصرانية غائباً عن بنود ذلك الميثاق الأممي، ويدل على ذلك دلالة صارخة: أن ما يعرف بـ (مجلس اتحاد الكنائس) كان أحد أهم جهتين وكلتا بتشكيل اللجان لصياغة الأفكار الأمريكية الرسمية، حول فلسفة المنظمة وملامح مبادئها، وقد ترأس تلك اللجنة (فوستر دالاس) الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية الأمريكية الرسمية، وقد شارك في اللجنة أيضاً عدد من رموز اليهودية والكاثوليكية.

غياب الأمة الإسلامية حالة صياغة البنود :

إن هذه المنظمة (الهيئة) لا يوجد بين أبنائها اسم مسلم طوال تأريخها على الرغم من أن الدول الإسلامية الأعضاء فيها يبلغ نحو الثمانين أو يزيد وحتى عندما تقرر اختيار رئيساً لها من العرب لم يكن إلا نصرانياً [١].

إن إضعاف العالم الإسلامي يبدو حقيقة واضحة بارزة في واقعنا المعاصر، فما تفسير ذلك؟

من المعلوم أن العالم الإسلامي يتكون من أكثر من ثمانين دولة (جلها أعضاء في الأمم المتحدة)، فلماذا يحرم إذاً وهو تحت مظلة هذه المنظمة من أي وزن أو ثقل عالمي يؤثر سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو إعلامياً أو اجتماعياً.... إلخ، إنه يضم أكثر من ربع سكان الأرض ويتحكم في أغنى وأهم وأخطر مناطق الدنيا، ويشغل مساحات واسعة، تزيد على أربعين مليون كيلو متر مربع، ممثلاً بذلك ربع اليابسة..، هذا العالم المؤهل للسيطرة على أهم مراكز النشاط والاتصال بين القارات الثلاث المهمة (آسيا، أوروبا، أفريقيا) لإشرافه على طرق الملاحة المهمة فيها! وهو يتمتع بشتى المناخات والبيئات، ويحوي في جوفه من كنوز الأرض - ما يصل إلى ثلاثة أرباع احتياطي النفط في العالم، وأكثر من ثلث احتياطي الغاز الطبيعي... إضافة إلى ثرواته وتراثه البشري الضخم المتعدد الإمكانات والكفاءات، إن هذا العالم الإسلامي اليوم على

(١) انظر عبد العزيز الكامل - الحكومية العالمية، عن البيان، (١٠٣) ص ٦٥.

اتساعه - من أقصاه إلى أقصاه ليست فيه دولة واحدة كبرى أو تكون فيه دولة واحدة ضمن دول النادي النووي المتملك لسلاح الردع الأول في هذا العصر، وليست فيه دولة واحدة تستطيع الاعتماد على نفسها، بفعل الحصار التقني في تصنيع السلاح التقليدي، بل وللأسف - فإن هذه الدول الثمانين من ضمن ١٨٠ دولة عضواً في الأمم المتحدة لا تمثل مجتمعة في عالم اليوم، وهي تزيد بسكانها على المليار نسمة - القوة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو حتى الخامسة، بل كلها في عداد ما يسمى بـ (العالم الثالث) أو بـ(العالم النامي) وهو اصطلاح مهذب يقصد به أصلاً (العالم المتخلف) الذي يصطلح اليوم على تسميته (الأمم غير المتحدة) [١].

إننا نرى حصاراً اقتصادياً رهيباً على العالم الإسلامي، لا يقل ضراوة عن الحصار السياسي أو العسكري، يدل ذلك أبلغ دلالة أنه ليست في هذا العالم (الثمانين) دولة واحدة تدخل في عداد الدول الصناعية السبع أو الثمان أو العشر، تلك التي تنتج صناعات ثقيلة أو تتميز في ابتكار وإنتاج الصناعات الإلكترونية الحقيقية! بل إن أكثر دول العالم الإسلامي، تعتمد على غيرها، في توفير ما تحتاجه من دقيق الخبز، أو تستجدي المعونات من غيرها، بعد أن تدفعها أقساطاً من استقلالها وكرامة شعوبها [٢].

ميثاق الأمم المتحدة وعرضه على مجلس الشيوخ :

إن ميثاق الأمم المتحدة بعد بلورته لم يعرض على غير مجلس الشيوخ الأمريكي لإقراره، حتى أصبحت أمريكا بعد ذلك المستودع للأفكار الخاصة، ليس فقط بإنشاء منظمة الأمم المتحدة ولكن أيضاً بإنشاء العديد من الوكالات الدولية المتخصصة والتابعة لها.

أما اليهود فإن أكبر دليل على ضلوعهم في هذه المنظمة حيث تبلغ نسبة وجودهم فيها أكثر من ٦٠٪ [١] هو أن باكورة إنتاج الأمم المتحدة بعد قيامها كان إقامة دولة

---

(١) انظر عبد العزيز الكامل - الأمم المتحدة.. علينا.. نظرات في مواقف المنظمة الدولية والمتنفذين فيها تجاه الأمة الإسلامية البيان العدد (٩٦) ص ٤٨، ٤٩، ٥٠ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

(٢) انظر عبد العزيز الكامل - الأمم المتحدة.. علينا.. عبد العزيز كامل البيان العدد (٩٦) ص ٤٨، ٤٩، ٥٠ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. وانظر أحمد أبو سجادة - مأساة هيئة الأمم المتحدة - البيان العدد (١٢١) صـ٦٤.

(١، ٢) انظر البيان العدد (١٠٣) ص ٦٤ - ٦٧، ربيع أول ١٤١٧ هـ - يوليو (أغسطس، ١٩٩٦م.

اليهود (إسرائيل).

فهل لأمة الإسلام دور في صياغة هذا الدستور الذي يطبق على دولها في شؤونها الدولية؟ هل استشيرت أمة الإسلام في وضع مبادئ هذا الدستور؟ [1]. أو كان مصدراً من مصادر استلهامه؟ هل روعيت مصلحة الشعوب الإسلامية في أثناء وضع أهدافه؟ وهل تملك تلك الشعوب أو الدول مجتمعة أو منفردة أن تخرج عن إطار الهيمنة التي أدخلت نفسها بنفسها تحت سلطتها؟ وهل يملك أحد - ولو كانت الدول الإسلامية كلها أو الدنيا بأسرها - أن تغير حقائق وأهداف وقيم الدين وسلب أحقيته ولو نظريات في قيادة البشرية وتوجيهها بمقتضى رسالة الله الأخيرة إلى البشر؟{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[2].

أحكام الخطة للحيلولة دون قيام أى منافس :

إن برنامج الأمم المتحدة لحكم العالم لم يضع لضمان سيطرة الغرب مع اليهود على العالم فحسب بل إنه أحكم خطته ليحول دون قيام أي منافسة له على زعامة العالم وخاصة إذا كانت من العالم الإسلامي الذي قامت إمامته على أنقاض خلافته الضائعة، إنه يريد للدول الصغرى وخاصة الإسلامية أن تظل مقودة إلى الأبد، وفي القاع إلى الأبد ومستضعفة إلى الأبد!.

إن هذه الفرضية لا ينبغي أن تغير من قناعة الأمة الإسلامية في أحقيتها الأصلية في أخذ الزمام وتسلم الدفة، إذ أن هذا الوضع شاذ المتمثل في تسلط الأعداء بـ(الشرعية) والإمعان في اختفاء الاحترام والتبجيل لهم، يساعد على ترسيخ مفهوم التبعية لدى شعوب المسلمين.

إن الهيمنة النصرانية اليهودية من خلال هذه المنظمة واضحة وضوح الشمس للعيان وذلك باستقراء ممارسات الدول الكبرى والفرق بين تعاطيها مع القضايا الإسلامية وتعاملها مع القوى الناهضة الأخرى ويظهر الانحياز السافر جلياً في كل المجالات، النماذج: (باكستان والهند، الدولة الفلسطينية والدولة العبرية، ألبانيا، كوسوفا، البوسنة مع الصرب وكرواتيا) والأمثلة كثيرة غيرها.

---

(٢) (سبأ آية: ٢٨).

إن هيمنة الأمم المتحدة نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م) التي انتهت واقعياً بانتصار الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى، ولذا فإن صياغة بنود ونظم هيئة الأمم المتحدة كان من صنع الدول المنتصرة والتي تسمى بالدول الكبرى، حيث سلمت نفسها بنفسها زمام وصاية وولاية وقيادة العالم ولم تكتف بإعطاء نفسها هذا الحق بل زادت عليه حق الاعتراض والنقض لأي قرار لا يوافق مصالحها.

إن هيئة الأمم المتحدة قد رسمت لنفسها خطوطاً عريضة لمناطق نفوذها التقريبية، وتركت بقية الأمم الضعيفة لتلقى مصيرها حسب نظرية (البقاء للأصلح) وبالفعل وكما يقول عبد العزيز كامل: " إن الحقيقة التي أبرزتها الأعوام الخمسون الماضية أو ما يزيد من عمر هذه المنظمة الدولية هي أن هناك (عالم حر) يتحكم ويستعبد (عالماً غير حر) وهناك (أمم متحدة) تتحكم في مصير (أمم غير متحدة) "[١].

ويضيف كامل: " إن هذا العالم الحر يتحد في صيغ كثيرة من صيغ الاتحاد السياسي أو الاقتصادي أو العسكري لأن الاتحاد يزيده قوة إلى قوة، بينما العالم الآخر (أقصد غير الحر) كتب عليه أن يبقى متفرقاً وفي تشتت واختلاف حتى يظل ضعيفاً بل ليزداد ضعفاً إلى ضعفه على مر الأيام إن العالم الحر يتفرغ للتقدم والبناء والعمران ورفاهية شعوبه، بينما العالم غير الحر منهمك في حل مشكلات وأزمات وعقبات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو حدودية تفعل ضده من حين لآخر بفعل آخر وقاصد "!! [٢].

وهاهو العالم الحر ينعم بالحرية والديمقراطية بينما العالم الآخر يتعثر دائماً في شباك الديكتاتورية والقمع والتسلط من الأنظمة المستعبدة وبالتبعية الواضحة للعالم الحر.

هذا هو واقع العالم الذي انحسر عنه طوفان الحرب العالمية الثانية، وعلى الأمم غير المتحدة أو النائمة - عفواً - النامية أن تتنازل دائماً وعن رضا عن جل ثرواتها ومقدراتها - إن وجدت - مقابل ثمن بخس دولارات معدودة.

إن المنتصر في الحرب العالمية كان منهمكاً في ترتيب أوراقه وأوضاعه في العالم لمرحلة ما بعد الحرب ولم تكن هيئة الأمم المتحدة - كما أسلفت إلا نتيجة من نتائج هذه

---

(١) عبد العزيز كامل، الأمم المتحدة والأمم غير المتحدة، عن البيان، العدد (٩٥) ص ٨٩.
(٢) عبد العزيز كامل، الأمم المتحدة والأمم غير المتحدة، عن البيان، العدد (٩٥) ص ٨٩.

الترتيبات الكبرى [1].

والتى هى أصلاً الوسيلة السياسية المعلنة للنظام العالمى الجديد وإلى جانب مجلس الأمن وحلف الشمال الأطلسى (حلف الناتو).

لقد كانت الحرب في حقيقتها صراعاً مسلحاً وشاملاً بين أطراف رأس المال الدولي، وكانت أمم المستعمرات التي تشكل الأكثرية الساحقة من سكان العالم متعطشة للتحرر من جيوش الاستعمار القديم، وقد رأى أقطاب (العالم الحر) وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية) في ذلك الاندفاع الأممي نحو الاستقلال والتحرر فرصة مناسبة لتعميم أسلوبها الجديد في الاستعمار الحديث القائم على النهب والسلب والاستعباد، ليس بواسطة الجيوش والاحتلال المباشر، ولكن على الطريقة اليهودية بواسطة المصارف والقروض والفوائد، وبواسطة المستشارين، وبواسطة الاستخبارات، وأيضاً بواسطة القوى المحلية العسكرية أو المدنية في البلدان المستهدفة ذاتها التى كانت موالية للولايات المتحدة..

* * * * *

المطلب الثاني:
مجلس الأمن

يتألف مجلس الأمن من خمسة عشر عضواً، خمسا من بينهم ذوو مقاعد دائمة أما العشرة الباقون فتنتخبهم لمدة سنتين الجمعية العامة، والدول الخمس دائمة العضوية هي وحدها التي تمتلك قوة نقض أعمال المجلس (veto) الفيتو وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقاً وحالياً روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا وفيها تتركز القوة الحقيقية. ويقع على عاتق مجلس الأمن مسؤولية أساسية لضمان إجراء سريع فاعل يؤدي إلى المحافظة على الأمن والسلام.

إن القرارات المتخذة في أمور غير إجرائية، يجب أن تتخذ بموافقة تسعة أعضاء، ولكن لوجود الخمسة الأعضاء الدائمون فإنهم كثيراً ما تتعارض الإجراءات مع مصالحهم، فيتخذون ما أسموه بحق النقض (الفيتو) حتى وإن كان هذا القرار يعارض

(١) المرجع نفسه.

دولـه واحدة منها فقط مع أنه في الأصل قد يكون في الصالح العام.

واستمرار اتخاذ هذا الحق طوال فترة الحرب الباردة بين القطبين سابقاً وهو في الحقيقة يمثل عرقلة دبلوماسية ويفتقر إلى أي دعم من أي جهة ويتحكم فيه صاحب القوة وهذه من أكبر سلبياته [1].

مهام مجلس الأمن:

إذا أردنا التعرف على مجلس الأمن ومهامه فإن أحد الأدوات السياسية لما يسمى بالعولمة، والناظر بعمق في هذا المجلس يجد أنه يتحكم في قراراته خمس دول فقط كما أسلفت (الأعضاء الدائمون) وهي تسعى من خلال قراراته لتحقيق مصالحها الخاصة فقط، وفرض سيطرتها على الدول الضعيفة والإسلامية منها بالذات، ويقال عن أي قرار يصدر عن هذا المجلس بأنه قرار دولي أو يعبر عن إرادة المجتمع الدولي، وهذا لعمر الله عجيب! - وما أكثر عجائب هذا الزمن - ومنها أن يقال عن القرار الصادر من خمس دول بأنه دولي، ويفرض على باقي دول العالم دون أدنى حق لها في إبداء الرأي، أو الاعتراض عليه، ولكنه في نفس الوقت بإمكان دولـة واحدة من هذه الدول الخمس، إفشال أي قرار لا يعجبها كما مضى بصرف النظر عن مواقف بقية الدول، ومع هذا يقال عن أي قرار يصدر عن هذا المجلس بأنه قرار دولي.

وعلى هذا فهو (مجلس الأمن) إنما يعبر عن هيمنة أعضائه الدائمين على القرار الدولي، وهو بهذا الوضع القائم ما هو إلا امتداد لحقبة الاستعمار، الذي ولى بمظهره العسكري، ليحل بمظهره السياسي، فهو حقيقة مجلس استعمار، وليس مجلس أمن، وهذا ما تؤكده أفعال أعضائه وتصريحاتهم، فهذه الدول لا ترى ضرورة الرجوع إلى مجلسها أو استصدار القرار منه، فيما تقوم به من أعمال عدوانية أو تأديبية - كما يسمونها - تجاه الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية، بل تنطلق دولهم في تعاملهم مع هذه الدول من منطلق القوة، والنظرة الاستعمارية الماثلة في مخيلتهم أنهم فوق القرار، وأنهم قادة العالم وحكامه كما لو كانوا في أيام استعمارهم العسكري [1].

---

(١) انظر روبرت كانثور ترجمة د. أحمد طاهر السياسة الدولية المعاصرة مركز المكتب الأردني ١٩٨٩م صـ٢٠٩ إلى صـ٢١١.

(١) انظر د. محمد طاهر حكيم هذه حقيقة مجلس الأمن نراه في موافقه من قضايا المسلمين البيان العدد

إن قرارات هذا المجلس، تفرض فقط على الدول الضعيفة ولا سيما الإسلامية منها، كما تفرض على هذه الدول العقوبات الاقتصادية والتجارية والعسكرية والمقاطعة الدولية، إذا لم تخضع لرغبة وهيمنة مجلس الأمن، بل وتدرج أسماءها في قائمة الدول المساندة للإرهاب، والمنتهكة لحقوق الإنسان... إلخ، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية المعروفة للجميع.

أما الدول غير الإسلامية والمحتلة لأراضي المسلمين، والتي تحظى بمساندة وتأييد أعضاء مجلس الأمن الدائمين، فلا تلزم بتطبيق أي قرار صادر عن مجلس الأمن، هذا إذا لم يجرها كبرياؤها وغطرستها إلى الاستهزاء والسخرية بقرارات المجلس (الموقر!) دون أن يثير ذلك حفيظة المجلس أو أن يكون فيه التحدي للمجتمع الدولي، وهذا يؤكد أن المجلس لن يقف مع أي قضية للمسلمين مهما كانت إذا كان الطرف الآخر فيها من غير المسلمين [1].

التكتل الثلاثي في مجلس الأمن:

إن المجلس يعكس بجلاء التكتل اليهودي (أمريكا) النصراني (بريطانيا - فرنسا) الشيوعي (روسيا - الصين)، فهل يرجى من خير للمسلمين فيه أو منه أليس هؤلاء هم أعداؤنا أليس الله قد حذرنا منهم ومن الاعتماد عليهم وموالاتهم [1].

وهذه أمثلة من قرارات مجلس الأمن التي صدرت لصالح بعض من الدول الإسلامية ولكن لم ينفذ منها قرار واحد.

هناك أكثر من (٦٣) قراراً دولياً في قضية البوسنة لم ينفذ منها قرار واحد ولهذا فقد استمر الضرب في مذابحهم للمسلمين بحجة التطهير العرقي.

وقد اتخذ المجلس أكثر من مائة قرار لصالح قضية فلسطين أشهرها القرار (٢٤٢) فهل نفذ منها قرار واحد!!

ولكن للأسف لا زال الشعب الفلسطيني يعاني من قضيته أكثر من خمسين عاماً وقد

٨٢= =نوفمبر ١٩٩٤م جمادي الآخر ١٤١٥هـ صـ٦٢ وانظر شائف علي الحسيني حديث العولمة (٨٩) مرجع سابق.

(١) المرجع السابق صـ٦٣.

(١) المرجع السابق صـ٦٦.

تزامنت قضية فلسطين مع بزوغ نجم هيئة الأمم المتحدة!!

وفي قضية كشمير المسلمة اتخذ المجلس أكثر من ١٣ قراراً لم ينفذ منها قرار واحد، بل لا يوجد أي دور للمجتمع الدولي في منع الجرائم التي ترتكبها قوات الاحتلال الهندوسي يومياً ضد شعب كشمير المسلم الأعزل(١).

ويعتبر الباحث موقف مجلس الأمن هذا موقف (لا غرابة فيه) لأنه يحقق أهدافه التي قام من أجلها وهي حراسة التحالف الذي سلف ذكره في بداية الحديث أقصد (التحالف اليهودي - النصراني - الشيوعي) وليس ذلك بخاف على أحد خاصة عندما يصرح أكثر من مسؤول أوروبي غربي وأمريكي ويهودي أن الخطر الحقيقي الذي يهدد العالم في نظرهم هو الإسلام وقد حذرنا الله منهم في كتابه الكريم فقال تعالى:{وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} (٢).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء} (٣).

وغيرها من الآيات الكثيرة المنثورة بين دفتي المصحف الكريم بل أن المسلمين اليوم يستجدون أعداءهم ليعطوهم أقواتهم وأسلحتهم فهل يعقل أن ينصح العدو لعدوه ويعطيه ما يتقوى من يغلبه إن مثلهم في هذا كمثل باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه قال تعالى:{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ} (١).

وقد أمر الله المؤمنين أن يعدوا عدتهم وأن لا يغفلوا أبداً وأن يأخذوا بأسباب القوة والنصر والتمكين والله ناصرهم ومؤيدهم على أعدائهم وسيمكن لهم في الأرض ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم شريطة العبادة الصادقة والآيات في ذلك واضحة وجلية وصريحة{إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} (٢).

ولقد أظهر المجلس سوء نواياه من قضايا المسلمين في الكيل بمكيالين وما المواقف

---

(١) انظر المرجع السابق، وانظر عثمان جمعة ضميرة آمال المسلمين والمنظمات الدولية البيان العدد (٨٦) شوال ١٤١٥هـ صـ ١٠٣ وما بعدها.

(٢) (هود: ١١٣).

(٣) (المائدة: ٥١).

(١) (الرعد: آية ١٤).

(٢) (محمد: آية ٧).

المتشابهة والمتتابعة طوال الخمسين سنة الماضية عنا ببعيد فمواقفه واضحة إن قرارات مجلس الأمن في الأخير لا تعولم ولا تسري على مستوى العالم إلا إذا صبت في مصلحة الدول الدائمة العضوية وبالذات أمريكا التي تهيمن في النهاية على كل القرارات.

* * * * *

المطلب الثالث:
الحقوق والحريات الديمقراطية

تظل الحرية أسمى مطالب الشعوب، وأغلى أهدافها، ولذلك ترفع قوى العولمة هذا الشعار ضمن شعارات أخرى تلوح بها بين الفينة والأخرى لتجذب إليها الشعوب فتأتي منقادة مستسلمةً.

فهل وجدت هذه الشعوب مطلبها لدى هذه القوى؟! ومن أهم هذه الشعارات التي رفعتها قوى العولمة، شعار الديمقراطية الذي يبدو لأول وهلة أمراً إيجابياً وشعاراً نبيلاً يقدم كحل لنيل الحرية الفردية والحرية الجماعية، تأكيداً لقيم الإنسان وإعلاءً لحقه في التعبير الحر عن رأيه والانفتاح على الغير والحركة المطلقة في الأفق الواسع.

وبحسب بحثٍ صادرٍ عن الأمم المتحدة [1]، فإن الناس لا ينشدون الحرية والتعبير عن آرائهم السياسية فقط، بل إنهم ينشدون الحرية الاقتصادية والثقافة والدينية والعدالة الاجتماعية. ويرى الباحث أن هذا الشعار سيبقى شعاراً خاوياً ما دام الناس مبتعدون عن شرع الله تعالى، حيث قال سبحانه وتعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَـــه مَعِيشَـةً ضَنكاً} [2].

وتعمل أمريكا ضمن الإطار السياسي للفكر الرأسمالي العولمة على تعميم هذا الشعار شعار(الديمقراطية) وتسويقه للدول التي تسير على شاكلتها، وفي نفس الوقت

---

(١) انظر: معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية UNRISD حالات فوضى - الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجة مراجعة هشام عبد الله، دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١/ ١٩٩٧م، ص ٤٠.

(٢) (طه: ٢٤).

تدعو جميع دول العالم إلى تطبيق الديمقراطية تأسيساً للشرعية التي تروج لها قوى العولمة تعنى اتفاق قيمة ومعايير السلطة وممارستها مع قيم ومعايير المجتمعات التي تخضع لها [1] باعتبارها حق من حقوق الإنسان ونهج حضاري متطور تحت شعار الحرية والمساواة والتمثيل النيابي لجميع طبقات المجتمع وإفرازاته ولكن لما كان معنى الديمقراطية هو حكم الشعب نفسه بنفسه، فإن كثيراً من المجتمعات الإسلامية ترفض قبول هذا المفهوم المخالف لروح الدين وجوهره، حيث إن الحاكمية في المجتمعات الإسلامية تخضع لله.

وعليه فإن حكومات هذه الدول قد لا تقبل هذا المفهوم، بيسر وسهولة.

انتهاج الديمقراطية أسلوب ضغط تمارسه قوى العولمة:

ومن هنا تلجأ أمريكاً لأسلوب الضغط على هذه الدول بشتى الأساليب وبما تملك من سيطرة سياسية وتحكم قاهر لوسائل الإعلام العالمية بفضل الثورة التكنولوجية المعلوماتية الهائلة، التي خطتها في العقود الأخيرة من القرن المنصرم فتلوح لتلك الدول متهمة إياها تارة بمساندة (الإرهاب الدولي)، وتارة أخرى بالدكتاتورية، أو عدم احترام حقوق الإنسان، أو عدم احترام الأقليات، وتحرص أمريكا بجد أن تصل لتجعل من الديمقراطية مجموعة مفاهيم عن الحياة كمقاييس وقناعات أمم العالم وخاصة الأمة الإسلامية، ومن أجل ذلك تدعم الاتجاهات العلمانية في البلاد الإسلامية سواء من خلال الأنظمة أو ممن يقدمون للناس على أنهم إصلاحيون، ولكنهم في الحقيقة علمانيون يعملون لإخراج الإسلام من المجتمع، ويعملون على تعميق مفاهيم الرأسمالية والحضارة الغربية في المجتمع [1].

إن إصرار الغرب تعميم وإرساء معالم المنهج الغربي في إدارة الحكم في العالم كله، ومن ضمنه الدول الإسلامية، على أن تكون الديمقراطية أول هذه المعالم، وفرضها كمسلمة لا خلاف عليها، كأن العالم الإسلامي لا يدري كيف يحكم نفسه، أو أنه مفتقر إلى ما يملكه الغرب، من مفاهيم ونظريات، في الوقت الذي لا يمكن أن يقبل بمفهوم

---

(١) انظر برهان غليون الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، عن كتاب حقوق الإنسان العربي لمركز= =دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٧)، ط١، ١٩٩٩م.

(١) انظر أحمد عبدالدايم: عولمة الرأسمالية ورأسمالية العولمة، عن البيان العدد (١٥٩)، ص ١٢٥.

الديمقراطية، لأنه في الحقيقة مفهوم غربي خالص، ويتخذ طريقاً في الحكم - إما مباشرة وهي أن يحكم الشعب نفسه وأخرى عن طريق ممثلين له وتسمى ديمقراطية غير مباشرة - مخالفة لمنهجه، وإن كان ربما يلتقي هذا المفهوم مع مفهوم الشورى في الإسلام، من حيث مبدأ الحرية، وحق الأفراد في انتخاب من يمثلهم ليحكمهم بمحض إرادتهم، وهو طريق شرعي يعرف في الفكر السياسي الإسلامي بالبيعة أو عن طريق أهل الحل والعقد (الممثلين بالأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند)، ولكن هناك خلاف جوهري بين الشورى والديمقراطية من حيث تصور السلطة ففي الديمقراطية، مصدر السلطة هو الشعب، في حين أنه في الشورى المصدر السلطوي هو الوحي الإلهي (الكتاب والسنة) [1]. إن هذا الإصرار مشوب بالحذر والحيطة في البلاد الإسلامية من قبل مجتمعاتها.

وتتعمد الدوائر الغربية أن تضفي الساحة العالمية بمصطلحات غير منضبطة تصدرها إلى العالم الإسلامي، تخدم الأصالة الغربية والمنظومة الحضارية الرأسمالية، ولا يمكن أن تقبلها المجتمعات العربية الإسلامية، حيث أن لها فكراً خاصاً وثقافة مغايرة تماماً للثقافة الغربية [1].

فمصطلح الديمقراطية وغيرها من المصطلحات كالمجتمع المدني، والتعددية السياسية، وحقوق الإنسان، والمواطنة، كلها مصطلحات وافدة غازية تأسر كثيراً من أهل الأهواء المعجبين بالحضارة الغربية المعاصرة، خاصة وأنها الأقوى الآن على العالم من كل النواحي، والآخذة بزمام العلم والثورة المعلوماتية الجديدة، وعامل آخر يجعل الكثير يتشبث بأي وافد غربي، وهو الوضع الاستبدادي والتخلف السياسي العام الذي تعيشه مناطق العالم الإسلامي والعربي.

تتغنى الولايات المتحدة الأمريكية بنغم الديمقراطية وتعزف على وتره صباح مساء باعتباره نهجاً متميزاً وتدعو شعوب العالم إلى المسارعة في تطبيقه أو عدم التواني في

---

(١) انظر المهندس ناصر عبده وحان: أساليب السياسة الأمريكية لتغيير الأنظمة، مجلة المنتدى اليمنية، العدد (٧١) /٢٠٠٢م.

(١) انظر أحمد عبدالدائم: عولمة الرأسمالية، عن البيان (١٥٩)، ص ١٢٥، وانظر أ. د. جعفر شيخ إدريس: ودوا لو تكفرون كما كفروا، عن البيان، العدد (١٧١)، ص ٦٦.

ذلك وتجعل من أولويات أجندتها تطبيق ذلك النهج الديمقراطي في العالم وتنادى بالتداول السلمي للسلطة، وبإرساء دعائم التعددية السياسية غير مراعية ظروف الدول التي تطلب منها توظيف ذلك النهج، وغير آبهة لمعتقدات تلك الدول مع أن كثيراً ما يخالف عقائد وأفكار وتقاليد وسلوكيات وأنماط حياة الشعوب المطلوب من حكومتها تطبيق ذلك النهج، كالنظام الإسلامي، الذي له من الثوابت والقيم والعقائد والسلوكيات، ما يستحيل على أحد بعدها إخضاعه المخالفة تلك الثوابت والقيم النابعة من الشريعة الإسلامية أو الخروج عليها فلا يمكن لأي حكم آخر غير حكم الشريعة أن يسود على النظم الإسلامية.

مقارنة بين الديمقراطية والنظام الإسلامي:

ذلك أن الديمقراطية نتاج بشري محض قابل للتغيير وللتبديل، وخاضع لتأثيرات ومؤثرات شتى لها دورها في انفعالاتها وترك بصماتها وخيالاتها وتوصيفاتها[1].

أما النظام الإسلامي فإنه يختلف تماماً عن الديمقراطية من وجوه عدة منها:

أنه يجعل للأمة الحق في اختيار حاكمها والحق في عزله أو محاسبته إذا أخطأ ولها حرية الرأي وحق الاختلاف اختلاف التنوع لا التصادم وتحفظ للإنسان كرامته وآدميته، ولها الحق في تداول السلطة، ويحترم حقوق الأقليات، ونحو ذلك من الحقوق والواجبات وهي أركان تقوم على أسس تصورية وعقيديّة، تحكمها ضوابط وأطر منهجية تختلف تماماً عن الأسس والضوابط التي تمثلها الديمقراطية كمنهجية لسياسة المجتمع البشري.

إشكاليات مكونات الديمقراطية:

وتطفو الديمقراطية على أرض الواقع بأربعة عناصر رئيسية لا تدخل الدين في حسابها أبداً حيث أنها خاضعة لاجتهادات البشر وهي [1]:

- الحرية (المطلقة) - المساواة (المطلقة) - التمثيل النيابي (غير النوعي) - الواقع الدستوري (وما يكتنفه من ملابسات وتنجم عنه إفرازات...).

---

(١) انظر جمال سلطان: حوار في الديمقراطية، عن مجلة السنة الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا، العدد (١٠٣) ذو الحجة ١٤٢١هـ، ص ٩٣.

(١) انظر سامي محمد صالح الدلال: إشكاليات مفهوم الديمقراطية، عن البيان، العدد (٩٠)، ص ٣٤ وما بعدها.

الحرية المطلقة المبتوتة عن دين يقيدها ويمسك بزمامها هي حرية في الاقتصاد وحرية في السياسة، وحرية في الثقافة، وحرية اجتماعية وحرية فكرية وعقدية وحرية جنسية، جميع هذه الحريات مطلقة للشعب أن يعبر عن حريته بالطريقة التي تريحه، وتكفل له مصلحته، ويختلف مفهوم الحرية من نظام إلى آخر، وتتفق في النهاية أنها لا تتقيد بدين تخضع له، وإنما تخضع لأهواء البشر وقوانينهم وعند تطبيق هذه الحرية فإنها تختلف في تطبيقها من نظام إلى آخر، كأن يكون النظام ليبرالي أو اشتراكي أو ديكتاتوري أو نفعي (مصلحي)، وكذا تختلف في مفهومها، من فئة إلى فئة، ومن فكر إلى فكر، ومن نظام إلى نظام، وكل فئة وفكر ونظام يتبنى المفهوم الذي يخدم مصالحه، وينزع إلى توسيع دائرته في هذه الحرية، حتى لربما تجاوزت دائرته لتدخل دائرة أخرى فيقع الصدام ويقع الشقاق والافتراق ويصيب الأمة الشتات وتذهب ريحها[1].

وعن المساواة المطلقة فالإشكالية فيها هي مساواة العلماء بالجهلاء والمتخصصين بالعامة والدهماء وأصحاب النهى والأحلام بهيشات الأسواق.

وقد تنحى صفوة الأمة ونخبتها وعلماؤها ويتقدم حُثالتها وعامتها.

ومن هنا فيقدم العامي الجاهل الرويبضة وينطبق باسم القوم أو الأمة، ويؤخر الشيخ والعالم والدكتور والمتخصص حتى كأن ليس له وجود وتستخدم شتى الطرق والوسائل لإصعاد هذا وإنزال هذا، وغالباً ما يُلبس على العامي والجاهل، ويغرر به وعليه، فلا يدري من يرشح ولا من المرشح، وقد تشتري ذمته وخاصة في بلدان العالم الثالث أو بالأصح بلدان الأطراف عن التمثيل ففيه من إشكاليات عدة منها: -

- إن ممارسة الممثلين لأعمالهم في المجالس النيابية، إنما هو في الحقيقة ممارسة حق إلهي حين يدخل فيه التشريع والتقنين. فإن لم يكونوا هؤلاء على مستوى من العلم والتدين والتخصص، فلربما حرّموا حلالاً، وأحلوا حراماً، باسم التصويت للقاعة والأغلبية.

وهم في الغالب يخضعون لإرادة المصدر الأول لهذا النهج فلا يمكن أن يرقى هذا

(١) سامي محمد صالح الدلال: إشكالية مفهوم الديمقراطية من خلال مدارسها، عن البيان (١٠٤)، ص ٤٢ وما بعدها.

المكان أغلبية صالحة إلا نادراً جداً ! وهذا في حد ذاته مستبعد جداً.

ومن الإشكاليات أن كثيراً من مجالس النواب التي تواجدت باسم الديمقراطية في بلاد المسلمين وفي العالم الثالث بشكل عام لا تخلو من أغلبية يعينها زعيم ذلك البلد ومن هنا فإن مصلحة الزعيم كثيراً ما تقدم على بقية المصالح.

ومن الإشكاليات أيضاً أن الانتخابات والترشيح لهذا المجلس يتم غالباً في إطار النفوذ الأجنبي رغم الاستقلال المزعوم ورغم أن علم هذا البلد أو ذاك يرفرف على أرضها ولا يقتصر النفوذ على جانب معين، بل يتعدى إلى السياسي، والاقتصادي والثقافي والاجتماعي وحتى إلى التشريعي في كثير من البلدان إلى غير ذلك من الإشكاليات الكثيرة والمتنوعة.

والخلاصة أن هذه العناصر الأربعة يصعب نقلها إلى بلاد المسلمين بحذافيرها، لأنها تصطدم بجملة من المعتقدات الفكرية والسياسية، والقيم والأعراف المناهضة لكثير من متضمنات تلك العناصر.

وكذا الأحزاب لكل حزب وجهة نظره الخاصة به، والكل يتصارع على أكبر عدد من المقاعد وليحصل عليها بأي طريق (فالغاية هنا تبرر الوسيلة)، وكل حزب يتربص بالآخر باسم الديمقراطية والتعددية الحزبية، وما كان أغنانا نحن المسلمين عن مثل هذا التصور الغربي للحكم.

فما هذا إلا تعميقاً للمنهج الغربي في سياسات بلداننا واتباعهم حذو القذة بالقذة [1].

وهناك منظور قياسي وعامي للديمقراطية، فالقبائل وجدت ضالتها في الديمقراطية وبروزها إن شاءت باسم التصويت والتكاتف مع مرشحيها بكل الوسائل المادية والمعنوية المتاحة ليمثلها هذا المرشح حتى يحقق لها مطالبها ومشاريعها، ولا يهمها أن يمثل الإسلام أولاً المهم مطالبها.

وكذلك تتنافس القبائل وتتصارع من أجل الوصول إلى الأحزاب التي تمثل أغلبية البرلمان لتوفر لها أكبر الفرص الاقتصادية وتوسع وترفع مكانتها الاجتماعية، فتفترق الكلمة وتنتشر العداوة وتنمو روح الفرقة والبغضاء وتتوسع دائرة التنابذ بالألقاب وفي

(١) البيان العدد (٩٧) ص ٨٦ وما بعدها.

هذا أكبر مفسدة عظيمة على الأمة وتوهين لمقدرتها وقوتها وعصمتها وهذا هو داء الأمم السابقة كما قال ﷺ: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر...» إلى آخر الحديث [1].

وقال تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [2].

وهكذا هي الديمقراطية عند العامة، حيث يخدعون بها عندما ترفع شعار القضاء على الفقر والبطالة، والاهتمام بالطبقة المسحوقة، ومحاولة إعادة الحقوق للمظلومين والمنكوبين، وأنها ستعيد لهم كرامتهم وتدفع عنهم أسباب الفاقة والعوز فهم ينظرون إليها على أنها الحل الوحيد لأزماتهم وفقرهم وعوزهم، خاصة في ظل غياب الشريعة الإسلامية وظلالها الوارفة.

وإن من أهم المؤثرات التي تدفع بهم نحو الديمقراطية، ما يرونه من محاربة أهل الإسلام وتلفيق التهم عليهم، وإبعادهم أو إقصائهم عن سدة الحكم أو حتى عن منبر الدعوة، ومن هنا يتعلق العامة بالديمقراطية عندما يقدمها لهم الإعلام، على أنها المنقذ لهم من مهاوي الجهل والفقر والمرض والبطالة، بل وحين يسمح لهم بالمشاركة العملية فيها - فيستوي فيها الجاهل والعالم فكلهم في الحقوق السياسية سواء[1] وعلى هذا يلتبس الأمر على العامة، وإذا ما هيئت الفرصة للإسلاميين، فإنه سرعان ما ينقلب السحر على الساحر، فيضيق عليهم الخناق بشتى أنواع الحيل الماكرة والخداع المضلل، ولو اقتضى الأمر أن تفتح لهم السجون، لما قصروا كما حدث في الجزائر في انتخابات ٩٢م، والعالم كله يشهد؛ لأن هذا لا يخدم رعاة الديمقراطية أو رعاة البقر!.

إن السياسة في الوطن العربي هي الدولة ولا شيء غيرها، فمن يقف خارجها يضع نفسه في موضع الاستبعاد بل قد ينتقل إلى موضع الخيانة ولا قيمة في الوطن العربي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البيوع رقم (٢١٣٤) وانظر صحيح الجامع، الجزء الأول، ص ٦٣٤، رقم (٢٣٦١).

(٢) (الأنفال: ٤٦).

(١) انظر بشير زين العابدين: نقد الديمقراطية المعاصرة في الفكر العربي، مجلة السنة، العدد (١٠٦) ص٤٩.

والإسلامي للخلاف المشروع.

وأما الفضاء السياسي فهو أصلاً فراغ سياسي إذ المجالس التمثيلية تابعة، والنقابات خاضعة، والجمعيات راكعة، وفي فلك الدولة سابحة، والمجتمع عاجز عن التعبير ورقابة خانعة، ووسائل الإعلام للدول ليل نهار وباسمها مخادعة.

فلا مكان للديمقراطية الحقة في الوطن العربي البتة [1].

نظرة قوى العولمة إلى الديمقراطية في ظل المصالح:

تطرح قوى العولمة الديمقراطية في منظور المصالح المتحققة لها، ولا تكون إلا شكلية في العموم الغالب وثمة نقاط تشير إلى ذلك منها: -

١- تجعل قوى العولمة من الديمقراطية وسيلة لإقامة دولة شرعية لتمرير سياسات معينة دون إجراءات تعسفية أو قمعية ولاحتواء أزمة ما، وآثار اجتماعية ناتجة عن التكييف الهيكلي والإصلاحات الاقتصادية الناجمة عما يفرضه صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي حين يتم التعامل معهما [2].

٢- إن ازدواجية المعايير في التعامل مع الدول لهو أكبر دليل على أن قوى العولمة لا يهمها أن تطبق الديمقراطية وحقوق الإنسان أولاً، فهي تعتبر الصين الدولة الأولى المستحقة للرعاية وتوسيع التجارة معها على الرغم من انتقادها لموقفها من حقوق الإنسان وتوسع علاقاتها مع السعودية في حين أن الأخيرة ترفض التعامل بالديمقراطية رفضاً قاطعاً.

وتفرض الحصار على ليبيا والسودان والعراق بل تشن حرباً عسكرية على الأخيرة لأنها لا تتعامل مع شعبها بالديمقراطية الأمريكية وغير ذلك من الأمثلة[1].

---

(١) انظر ثناء فؤاد عبد الله ضمن حلقة نقاش حول مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي، السنة ٢٤ العدد (٢٧٦) ٢٠٠٢/٢م، ص ١١١، وانظر عبد الغفار شكر: العولمة والديمقراطية في الوطن العربي، عن مجلة الشاهد العدد (١٨٢) تشرين الأول تموز، ص ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، وانظر فتحي يكن ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٨٦، وما بعدها.

(١) المصدر السابق.

(١) انظر لمزيد من المعلومات، فواز جرجس: أمريكا والإسلام السياسي صدام الحضارات أم صراع المصالح، عن العربي (٥١٤) ٢٠٠١/١٢م، ص ١٩٠، ١٩٣، وانظر السيد ياسين: العولمة والطريق

٣ - الانتقائية الواضحة في التركيز على جوانب معينة من الديمقراطية وإهمال جوانب أخرى لا تقل عنها أهمية إلا من خلال النظر إلى مصالح قوى العولمة.

فمثلاً تركز قوى العولمة على: حرمة تدفق السلع ورؤوس الأموال والأفكار والقيم وفي نفس الوقت التي تضع فيه قيوداً شديدة على حرمة انتقال الأفراد من الجنوب إلى الشمال وكذا يتم التركيز على حقوق الأفراد السياسية والمدنية في حين تهمل حقوق الجماعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلى درجة لا تهتم قوى العولمة بالمجتمع المدني من حيث أن الوسيط عن الدولة والفرد وبواسطته يتم إيجاد التوازن بينه وبين الدولة ولكن من حيث يكون بديلاً للدولة عندما تتخلى أو تنسحب من أدوارها التقليدية ومسئوليتها في دعم الفئات الفقيرة وإعادة توزيع الدخل القومي لصالح الفئات العاملة والفئات الضعيفة ما يحقق للمجتمع الاستقرار ويجنبه الهزات.

آثار الديمقراطية على الوطن الإسلامي والعربي:

وعلى الرغم من أن الدولة الإسلامية والعربية قد اتخذت من الديمقراطية منهجاً لها واستغنت عن الشورى كنهج سماوي رباني إرضاءً للغرب وإمعاناً في النفعية، إلا أن الآثار السلبية تسللت إلى هذا النظام ونخرت فيه ولم تمهلهم حتى يقوموا على أرجلهم ومن خلال التتبع والاستقراء نجد أن أهم الآثار تبدو في:

١ - فقدت الدول الإسلامية والعربية ضمن العالم الثالث مناوراتها السياسية لخضوعها للمؤثرات الخارجية واختراقها بواسطة المؤسسات الرأسمالية الدولية (كالصندوق الدولي) والشركات المتعددة الجنسية. وكذلك لم يعد للدولة دوراً اقتصادياً واجتماعياً ملموساً على شعوبها بل تفاقمت الأزمات وتدهورت الأوضاع وتفشت البطالة والفقر نتيجة برامج الإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي [١].

٢ - انتشرت مؤسسات المجتمع المدني وتنوعت أنشطتها متأثرة بقوى العولمة وهي لهذا تتعامل معها بوضوح سافر وتتلقى منها دعماً سخياً فتمضي في سياسات

الثالث، ص ٦٥، وما بعدها، مرجع سابق.

(١) عبدالغفار، المرجع، ص ٥٨.

موجهة تحت غطاء خدمة قضايا معينة مثل حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفولة والأقليات والبيئة وغيرها من القضايا التي هي في الحقيقة معبراً لنظام العولمة إلى أرض المسلمين (١).

ولقد بات واضحاً في علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بغيرها من دول العالم وخاصة دول العالم الإسلامي ذلك أنها علاقة الهيمنة والاستعلاء والسيطرة بمختلف أصولها وأشكالها.

وإن النموذج الديمقراطي الذي تريد الولايات المتحدة الأمريكية فرضه في دول العالم ومنه العالم الإسلامي بصفتها - فائدة العولمة - وهو وفق الصيغة التي تريها بحيث تضمن الهيمنة الكاملة على هذه الدول. وهذا يندرج تحت إطار الخروج بالقيمة السياسية إلى خارج حدودها الوطنية ونشرها في العالم إلى جانب قيمها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والإعلام فيه كما هو مذكور في ثنايا هذا البحث.

وتستخدم رائدة قوى العولمة للدعوة للنموذج الديمقراطي، طرقاً شتى ووسائل متعددة كالدعوة إلى مبدأ الحرية، وتقرير المصير، والوقف ضد الديكتاتوريات التي لا تساير ها ولا تخضع لها، وباسم التعددية والتداول السلمي للسلطة وحقوق الأقليات، وحقوق المرأة وحقوق الإنسان. كل ذلك يتم عبر سياستها الخارجية متخذة بذلك طريقة دغدغة عواطف الشعوب المغلوبة على أمرها متجنبة في نفس الوقت أسلوب الصدام والاحتكاك.

إعلان الحكومة الأمريكية لسياستها:

ولقد أعلنت الحكومة الأمريكية سياساتها منذ ١٩٦٠م وكان من ضمن النقاط التي ذكرتها أنها ستعمل على مساعدة شعوب أقطار الشرق الأوسط على تشكيل نظم ديمقراطية تميل إلى الغرب وتتعاطف معه.

ثم ما لبثت وتعرضت العلاقات الأمريكية العربية لعدة منعطفات خلال العقود الأربعة الماضية بسبب ميول بعض البلدان العربية إلى النظام الاشتراكي الشمولي أو إلى القومية العربية بعد أن رأت الدولة العربية أنه لا بد من أن تنال استقلالها كاملاً

(١) المرجع نفسه، ص ٥٩.

سياسياً واقتصادياً وبعد الحظر النفطي الذي شهدته المنطقة منذ الحرب مع اليهود وتحت راية الإسلام، والثورة الإيرانية الإسلامية، واستخدام معمر القذافي رموزاً إسلامية إبان تلك الفترة حتى أعلن أن الإسلام دين الرجل الأسود في أفريقيا - واغتيال السادات في بداية الثمانينات والاعتداءات الدامية على المنشآت الأمريكية في لبنان والكويت وغيرهما من دول المنطقة.

فلجأت مرة أخرى إلى تطبيق ما كانت قد شجعته من نظم ديمقراطية لتسعى هذه الشعوب من خلاله إلى مقاومة الاستعمار بكافة أشكاله [1].

ويؤكد صحة ما يذهب إليه الباحث أقوال الأمريكيين أنفسهم فهذا مايكل هدسون يعبر عن ذلك بقوله: «ولأن الجماعات المناهضة للولايات المتحدة كانت ستحظى من خلال البرلمان بقدر كبير من النفوذ والوضوح مما كان يستدعي في نظر الولايات المتحدة تصفية الديمقراطية في الوطن العربي الإسلامي» [2].

وهذا (نعوم تشومسكي) كتب قائلاً: «لقد عارضنا بثبات الديمقراطية حيث لم يكن بالإمكان السيطرة على نتائجها» [3].

الديمقراطية ومصالح الدول الرأسمالية:

ومن أجل الحفاظ على مصالح الرأسمالية ومصالح المستثمرين كاستراتيجية لا يمكن أن تتخلى عنها أمريكا، فإنه يمكن إزالة الديمقراطية وبسهولة تحت حجج واهية وأوهام ساذجة وكثيرة منها: أن الديمقراطية لا تصلح في الدولة النامية. وكذلك لم تجد التعددية السياسية شروط توفرها كاملة في هذه البلاد وخاصة في ظل التخلف الاقتصادي ففى دراسة للمعهد الملكي للشؤون العالمية في لندن عن النظام الأمريكي الداخلي لنعوم تشومسكي الأمريكي جاء فيها «في الوقت الذي تدفع فيه الولايات المتحدة خدمة شفوية فقط للديمقراطية، فإن التزامها الحقيقي هو للرأسمالية الخاصة، وحين

---

(١) انظر فواز جرجس: أمريكا والإسلام السياسي، عن العربي، (٥١٤)، ص ١٨٨.

(٢) انظر مايكل هدسون: الديمقراطية في الوطنى العربي، المجلة العربية للدراسات الدولية السنة (٤) العدد (١ - ٢) ١٩٩٣م، ص ١٢.

(٣) عامر حسن فياض: الديمقراطية في مركبات وتوجيهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء الوطنى العربي،= =عن المستقبل العربي السنة ٢٣ العدد (٢٦١) ١١/ ٢٠٠٠م، ص ١٥١.

تتعرض حقوق المستثمرين للتهديد أو الإزالة يجب أن تزول الديمقراطية» [1].

وفيما يقوله أحد الباحثين العرب تأكيد فيه الكفاية وغني عن التعليق حيث يقول: «ومن أجل تصفية وزوال الديمقراطية في الوطن العربي تم الترويج الأمريكي طالما تكررت على ألسنة كثير من الكتاب الغربيين والعرب على حد سواء وهي المقولة الآتية: «أن الدول النامية بما فيها العربية غير مؤهلة للديمقراطية وذلك بسبب تخلفها الاقتصادي أو عدم توفر الشروط التي تسمح بقيام التعددية السياسية بسبب سيطرة قوى راديكالية» [2]، ولذا تسعى الولايات المتحدة لتغيير الأنظمة في العالم الثالث، وتدعم أي انقلاب يكون في صالحها ولو كان الحكم ديمقراطياً ما دام ذلك الحكم وطنياً، ويسعى إلى الحرية المطلقة سياسياً واقتصادياً ويحاول تحقيق تنمية حقيقية مستقلة بعيداً عن أي ضغوط أو إملاءات خارجية، ومن هنا نلاحظ وقوف أمريكا وراء سياسية دعم الحركة المسلحة وحركات المعارضة المناوئة لحكومته الوطنية التي تحاول الانفلات من رقبة الاستعمار لمساعدتها على الإطاحة بهذه الحكومات التي لا تروق للولايات المتحدة.

والأمثلة على ذلك كثيرة، كما في السودان والصومال والعراق وغيرها من الدول الكثيرة في العالم الثالث بمنأى عن مثل هذه السياسة والكيل بمكيالين والنظر بنظارة سوداء كما يقولون.

وإذا فشلت حركات المعارضة بالإطاحة بالنظام، وأيدت وتبدي عجزها تدخلت الولايات المتحدة بثقلها وسطوتها وقضها وقضيضها للإحاطة بهذا النظام المناوئ لها كما حدث في العراق مؤخراً.

والملاحظ من نهاية الثمانينات وبالتحديد بعد انهيار الكتلة الاشتراكية التي كانت تستند إلى الاتحاد السوفيتي أن الولايات المتحدة، بدأت تروج لنظام عالمي جديد يقوم على تمجيد اقتصاد السوق والحرية السياسية، والمجتمع المدني، وغيرها من القيم التي تريد العولمة أن تسود العالم وتعمل على مساندة الدول في العالم لتبني هذه القيم، وعلى رأسها الديمقراطية كنهج يعمل على استتباب الأمن والسلام الدوليين [1]، وكمنهج

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع نفسه الصفحة نفسها، وانظر جرش: أمريكا والإسلام السياسي، العربي (٤١٥) ص ١٩١.
(١) انظر عامر فياض: الديمقراطية الليبرالية، عن المستقبل العربي، ٢٠٠٠/٢٦١، ص ١٥٥،

للتداول السلمي للسلطة، ولكن بحيث يتم من خلال هذا المنهج الغربي المحافظة على خيوط العنكبوت التي نسجت بين هذه الدول والولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية وضمان بقاء تدفقات النفط [1] وبأسعار معقولة، والسماح للشركات العابرة للقارات والمتعددة الجنسية بالاستثمار في هذه البلدان واستلام مشاريع التنمية، وإلا فإن الحل الحاسم هو التدخل باسم حماية الديمقراطية وحماية المصالح.

الرؤساء الأمريكان والحديث عن الديمقراطية:

وفي هذا المعنى يصرح كلينتون في خطاب له قائلاً: «إن انتهاج العملية الديمقراطية أو الظاهرة الديمقراطية ستسهم كقوة فاعلة وحيوية في استتباب الاستقرار والأمن الدولي، نظراً لأن الانفتاح والتعددية السياسية سيوفران طرقاً بعيدة عن العنف في تسوية المنازعات»، ويضيف كلينتون «وتقوم الديمقراطية بحماية الأقليات العرقية والدينية وغيرها، وإن التعاون بين الأنظمة المماثلة في القيم الإنسانية سيمكن من تطوير ظاهرة الشراكة بين الذين لهم مصالح مشتركة في حماية البيئة الدولية والالتزام بالقانون الدولي».

ويتكرر مثل هذا الخطاب على لسان وزير الخارجية الأمريكية وارن كريستوفر بعد حرب الخليج الثانية مباشرة حينما حث بلاده على أن تلعب دوراً فعالاً لنشر الديمقراطية واقتصاد السوق الحرة [1].

وتطرح الولايات المتحدة الأمريكية من أولويات بنودها في أجندتها المرسومة للسياسة الخارجية، نشر ودعم التوجه الديمقراطي في العالم كله، ويتضح ذلك من خطاب وزير الخارجية الأمريكية أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي حيمنا حدد ركائز السياسة الخارجية في ثلاث نقاط رئيسية: -

١- دفع مقام الأمن الاقتصادي الأمريكي ليكون هدفاً أولياً في السياسة الخارجية.

وانظر وليد عبدالحي: علاقة السياسة الخارجية بالتحولات الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي ٢٠٠٠/٥/٦٧م، ص ٦٢، ٦٣، ٦٥.

(١) انظر: عبد الحسين شعبان، في تعقيبه على حلقة نقاش مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي، السنة (٢٤) العدد (٢٧٦) ٢٠٠٢/٢م، ص١٢٦.

(١) انظر عامر فياض: الديمقراطية الليبرالية، عن المستقبل العربي، ٢٠٠٠/٢٦١، ص ١٥٥.

٢- الحفاظ على القوة العسكرية الأمريكية وتكليف القوات لتصبح ملائمة للتعامل مع التحديات الأمنية الجديدة.

٣- تنظيم السياسة الخارجية حول محور دعم انتشار الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان(١).

ومن خلال نظرية فوكومايا التي تعتبر بمثابة الإطار النظري لتوجيهات السياسة الخارجية الأمريكية في العالم الثالث ومنه الإسلامي خاصة بعد أن تم لها الهيمنة الاقتصادية إثر انهيار الاتحاد السوفيتي في نهاية الثمانينات.

إلا أن هذا الخيار (التوجه الديمقراطي) يبدو بعيداً مداه في دول الشرق الأوسط لاعتبارات عدة منها: -

- النفط.

- العلاقات مع دولة يهود المحتلة لفلسطين.

- الخوف من وجود حكومة إسلامية أصولية لا تستطيع أن تتعامل معها الولايات المتحدة بحسب مصالحها الاستراتيجية في المنطقة.

ذلك أن الأنظمة الحالية في المنطقة تضمن لها الاستقرار الأمني وتكفيها همه فلا ضير أن تغيب الديمقراطية في هذه البلدان لما يترتب عليه من مصلحة تخدم الولايات المتحدة.

وعليه فإن تعامل الولايات المتحدة مع الديمقراطية إنما يخضع لاعتبارات المصالح التي تتجاوب معها وفي نفس الوقت بحسب النموذج الخارجي الذي يتناغم بدوره مع متطلبات السوق الحرة والاقتصاد الرأسمالي.

ومن هنا يتضح ذلك التناقض الذي ذكرته آنفاً مع مختلف البلدان وإن لم تلتزم الديمقراطية كمنهاج، ففي النهاية المصلحة العليا والاستراتيجية للولايات المتحدة هي التي تحدد التعامل مع الدول بشكل عام.

---

(١) المرجع السابق ص١٥٥. وانظر وليد عبد الحي: علاقة السياسة الخارجية بالتحولات الديمقراطية في الوطن العربي، عن المستقبل العربي ٢٠٠٠/٥/١٦٧م، ص ٦٢.

وهناك مثالان يوضحان تناقض الولايات المتحدة الأمريكية في مواقفها تجاه الديمقراطية.

الأول في تشيلي وإيران في عهد سلفادور الليندي ومصدق ودعمها للدكتاتورية هناك.

الثاني في الجزائر وتقويضها للديمقراطية ودعم الدولة في إقصاء الإسلاميين وانتهاك حقوق الإنسان في شخوصهم وإعلان الحرب عليهم.

إذا المصلحة التي ستحقق في أي منطقة في العالم هي الأصل وما عداها شعارات جوفاء وزخرف من القول وغرور[1].

حقوق الأقليات:

لم تكن الغاية الحقيقية وراء رفع هذا الشعار غاية إنسانية أو أخلاقية، عندما ظهر في منتصف القرن التاسع عشر وإنما كان وراءه هدف سياسي واضح، وهو إيجاد المبرر الشرعي للتدخل السافر في شؤون الدول المستضعفة وقد كانت الخلافة العثمانية مسرحا لمثل هذه التدخلات.

كما كانت أمريكا الوسطى والبحر الكاريبى مسرحاً آخر لها [2].

واعتبر حق تقرير المصير ركيزة هامة من ركائز المجتمع الدولي، وكانت مدخلاً خطيراً لتمزيق الخلافة العثمانية، والإمبراطورية النمساوية، وغيرها من الدول التي كانت تتمتع بسيادة ورقعة جغرافية واسعة، وتضم جنسيات وأعراق مختلفة، كانت تعيش بوئام وسلام.

فمزقت هذا التكتلات الواسعة، تحت دعوى حق تقرير المصير للأقليات القومية والدينية واللغوية.

ولم تكن مواثيق عصبة الأمم تتضمن بنودها مثل هذا الحق عند نشأتها[1] ولكن

---

(١) انظر عامر فياض: الإطار النظري الديمقراطية الليبرالية، ثم السياسة الخارجية الأمريكية، عن المستقبل العربي، ٢٦١/٢٠٠٠، ص١٥٩.

(٢) انظر محمد السماك / موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد دار النفائس ط١ ١٩٩٥م صـ٢٠٣.

أدخل فيما بعد بأيدي ماكرة، تهدف من ورائه إلى تمزيق الشعوب وانتهاك سيادة الدول.

ثم أقرت هذه الحقوق في ميثاق منظمة الأمم المتحدة كحق شرعي لجميع الأمم والشعوب صغيرها وكبيرها ورجالها ونسائها فقد جاء في ديباجة الإعلان لحقوق الإنسان بالنص الصريح «ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح» (٢).

وفي الحقيقة أوجد هذا الأمر مداخل فضفاضة، وأبواباً واسعة للغرب وقادة العولمة للتدخل في شؤون الدول الإسلامية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد القطب الواحد في الميدان العالمي سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وعسكرياً من باب الاستجابة لطلب ما من إحدى الأقليات في هذه الدول، أو من باب فرض الوصاية عليها، أو استغلالها لمهام اقتصادية وسياسية، يمكن أن تقوم بها، أو من باب تحرير الأقليات من ربقة الحكم الدكتاتوري، وإنصافها في استخراج حقها المغتصب، وإرساء نظام العدالة وترسيخ مبدأ الديمقراطية وحق المواطنة.

الأمر الذى جعل الوطن الإسلامي - بحكم شرعته المتسامحة مع الأقليات - وعدم التمييز بينها وبين المسلمين في كثير من الأمور مسرحاً تغدو وتروح فيه هذه الدعوات وتعلو أصواتها، فوجدت قوى العولمة الفرصة السانحة للانقضاض على هذه الشعوب واستعمارها من جديد بحجة الاندماج، والسوق الحرة، وحرية اندماج الأسواق وترسيخ مبدأ الديمقراطية وغيرها من الدعوات.

فانفجر بركان من الصراعات الأثنية وانبعثت مناطق الصراع، وأثيرت مفاصل التفكك من جديد مع أنها كانت نائمة هادئة مستقرة حيناً من الدهر.

ولكن تأبى القيادة الخبيثة والمتسترة للعولمة إلا أن تحيي هذه الصراعات وتقلق الشعوب في مضاجعها نشراً للفساد في الأرض، وإشعالاً لنارِ الفتن والحروب.

---

(١) المرجع نفسه، صـ٢٠٤.

(٢) انظر الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة، نيويورك صـ٧ ١٩٩٥م.

وصدق الله العظيم حيث وصفهم في القرآن العظيم بذلك.

{كلما أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (١).

كانت النتيجة كوارث إنسانية وحمامات من الدماء لا تنقطع، وبحسب محمد السماك - لا ندري كيف يمكن أن نتصور الأمم المتحدة عندما تضم إليها عشرات من هذه الدول المشحونة بالعداء العنصري والمتفجرة بالحقد الإثني (٢).

تحاول قوى العولمة أن تتدخل وتفرض وصايتها على الدول الإسلامية في كل أمرٍ من أمورها ففي الجانب الإداري مثلاً تترنم وتتشدق هذه القوى برفع شعاراتٍ عدة منها حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، والديمقراطية، والمواطنة، وحرية المرأة، وحقوقها، وغيرها من الشعارات التي أصبحت تتردد إلى المسامع صباح مساء، كأنها (أذكار العولمة)وغدت معياراً لمعرفة مدى التزام دولة ما بهذه المبادئ، لرفع شعار العدل والإنصاف وحماية حقوق الإنسان وحقوق المواطنين وحقوق الأقليات، بل وإشراكهم في سياسة الدولة واقتصادها وفي إدارة شؤونها للأخذ معاً بدفة المجتمع.

وفي هذا دلالة واضحة من وجهة نظر قادة العولمة على وعي هذه الدولة حكومة وشعباً.

ومن أكثر الشعارات التي تُلوح بها قوى العولمة باعتبارها راعية النظام العالمي الجديد، نظام الديمقراطية، والتعددية السياسية، والتداول السلمي للسلطة، كحقوقٍ مُسلّمة ينبغي أن تسير عليها حكومات الدول في العالم كله، ودينٍ جديد يدعو إليه النظام العالمي الجديد.

الحقوق شماعة يعلق عليها الغرب سياسته:

والحقيقة التي لم تعد تخفى على أحد، أن هذه الشماعة شماعة (الحقوق بشكل عام)، إنما هي مدخل خسيس للأمم المستكبرة، وعلى رأسها قائدة العولمة (الولايات المتحدة الأمريكية)، للتدخل في شؤون الدول الأخرى.

---

(١) (المائدة: ٦٤)

(٢) انظر محمد السماك، المرجع السابق، صـ٢٤٤.

ولقد انبثقت المؤتمرات الدولية التي عُقدت تحت مظلة الأمم المتحدة عن توصيات ثم قرارات، فمواثيق واتفاقيات، تم إلزام كل دولة عضوٍ في الأمم المتحدة تطبيق هذه المواثيق والاتفاقيات، والعمل بموجبها لمعالجة مسألة الحقوق والديمقراطية وغيرها من المسائل التي تطرحها الأمم المتحدة في مؤتمراتها، خاصة بعد الظروف التي مر بها العالم أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ولم تكن بعض المجتمعات الإسلامية بمنأى عن هذه القوانين والمواثيق، حيث إن حكوماتها في الأصل موقعة على مواثيق الأمم المتحدة باعتبارها من أعضائها.

وهذا في الحقيقة اعتداءٌ على خصوصيات وثقافات هذه المجتمعات، وإقصاءٌ لدينها مع أنه أعز وأمنع من أن يستمد قوانين وقرارات من أممٍ كافرة لا تعترف بها كتشريعٍ سماوي ونظام يستمدُ سلطانه من الله، وهو الذي حفظ للناس كل الناس حقوقهم وحرياتهم في شتى ضروب الحياة، من غير نقصٍ أو ثلمٍ، ومن غير استعلاء أو تكبر.

قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [1].

ويأتي هذا التشريع في الذروة من حيث الرونق والبهاء والشفافية والوضوح، ولا أصدق من التاريخ فهو خير دليل على تلك المسيرة الناصعة والصفحة البيضاء في جبين الزمن. ولم يحفظ أحد للناس حقوقهم مثلما حفظها الإسلام، وهو الدين الوحيد الذي يحترم الحقوق كاملة، غير منقوصة، وإن من أبرز سمات هذه الحقوق في الإسلام أنها مبنية أولاً على أن السيادة والحاكمية لله عز وجل[1] قال تعالى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} [2].

إن كثيراً من قوانين حقوق الإنسان التي تنادي بها قوى العولمة تتنافى مع ديننا الحنيف، وتتعارض مع شرعنا الرباني المطهر.. لأن معظم مواده تستند إلى المنظور الغربي العلماني، ذلك أن صياغة هذه المواد كانت نتيجة تواجد أكبر وأعظم للجهات

---

(١) (الأنبياء: ١٠٧)

(١) انظر محمود بن محمد المختار الشنقيطي، حقوق الشريعة بين الإنسان والقانون، عن البيان، العدد (١٦٥) ص٤٥، وانظر أ. د محمد يحيى: حقوق الإنسان والخدعة الجديدة، عن البيان، العدد (١٦٥)، ص٦٢، ٦٣.

(٢) (الأنعام: ٥٧)

الغربية والعلمانية، بل لم تحظ الجهات الإسلامية بأي حضور، ومن هنا فإن هذه المواد لم تعر للدين اهتماماً، ولم تلتفت للأخلاق والأعراف والعادات، والتقاليد في المجتمعات الإسلامية، بل كانت سماتها الواضحة المنظور العلماني الغالب.

والجدير بالذكر معرفة أن صياغة هذه المواد جاء متزامنا مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٩٤٨م حيث كانت معظم بلدان العالم الإسلامي ترزح تحت الاستعمار الغاشم الذي لم يرع حقوق الإنسان في هذه الدول.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وموقفه من الأديان:

ومما نادت به هذه المواد، احترام حقوق الأقليات، وأجازت احترام تغيير الأديان والمعتقدات، وأجازت أيضاً حرية إظهار هذه المعتقدات مهما كانت، وحرية إظهار هذه الأفكار مهما وصلت إليه من انحراف وشذوذ، وفي هذا مخالفة صريحة للدين الإسلامي الحنيف.

ولم تكتفِ قوى العولمة بذلك، بل هددت بأن من يعترض عليها فهو مخالف لتلك الاتفاقيات والقرارات التي صدرت بهذا الشأن وهو بهذا يكون انتهاكاً لحقوق الإنسان، وبالتالي يمكن أن يخضع للعقوبات السياسية والاقتصادية والحضارية.. فهي في الحقيقة سلب لإرادة الشعوب، بل اغتصاب لمطلق الحاكمية لله، وإيذاناً بأن المرجعية الوحيدة والهيمنة ينبغي أن تكون للأمم المتحدة ومنظماتها، وإن الدين بدل أن يكون لله يجب أن يكون للأمم المتحدة أو القوى العولمية [١]!!!.

حقوق المرأة:

وفي هذا الشأن تتخذ المنظمات النسائية الغربية ذات التوجه العلماني من الأمم المتحدة غطاءً لها في سعيها لفرض منظومتها الإباحية على العالم.

وتتخذ قوى العولمة أيضاً من شعار الحقوق كما أسلفت سابقاً غطاءً لها كذريعة للتدخل في شؤون الدول الإسلامية والعربية على وجه الخصوص، ودول العالم الثالث بوجه عام، ولقد شكلت الأمم المتحدة لجنة لهذا الغرض، مثل لجنة(السيداو) [٢]، حيث إن

(١) انظر علاء الدين صبحي حقوق الإنسان في المنظور الغربي البيان ١٦٥ صـ٥٧ وما بعدها.
(٢) ومن أبرز مهام هذه اللجنة القضاء على جميع أشكال العنف والتمييز ضد المرأة.

أغلب أعضائها من ممثلي الدول الغربية، مهمتها الرئيسة الوحيدة مراجعة ما تم إنجازه من خلال المؤتمرات الدولية، التي تعقد كما سلف تحت رعاية مظلة الأمم المتحدة [1].

ومن خلال هذه اللجان تفرض المفاهيم الغربية الخاصة بحقوق المرأة على بقية دول العالم، كما ينظر إليها الغرب، وكما يطرحها مهندسو النظام العالمي الجديد قادة العولمة.

ومن المفاهيم التي ينظر إليها على أنها حق من حقوق المرأة، حق المساواة بينها وبين الرجل، وضرورة تغيير دساتير الدول الوطنية وتشريعاتها لتتلاءم مع هذا الحق واتخاذ التدابير المناسبة، حتى وإن كان ذلك يؤدي إلى تعديل، أو إلغاء القوانين والأنظمة، والأعراف، والقيم، والمبادئ الثابتة النابعة من الدين، في تلك الدول حتى تقضي كما يقولون على أي تمييز ضد المرأة، بما في ذلك كافة الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والعلاقات الأسرية.

ويعد هذا الأمر تدخلاً سافراً في سيادة الدولة، المنوط بها هذا التغيير على قوانينها ودساتيرها، وإن كان هذا الأمر سيمرر عبر الجهات الرسمية الحكومية، فإنه مرفوض شرعاً وعقلاً من قبل المجتمعات الإسلامية شعوباً وقبائل، لمخالفته للدين والقيم والعادات وحريات الشعوب المختلفة.

أمريكا ومحاربة الأسرة المسلمة:

ومن أجل النفوذ إلى المجتمعات الإسلامية حتى يسهل ضربها من الداخل بأيدي أبنائها، وفي صميم ثقافتها ومبادئها وعقائدها، بل لمحاربتها في دينها وتكريس المفاهيم الغربية الأمريكية (مفاهيم العولمة) حول الدين والأخلاق والقيم رصدت الإدارة الأمريكية لحملتها الثقافية التي تطمح إليها في الوطن الإسلامي (١٩٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) $ دولار من خلال مؤسسات المجتمع المدني [1] التي تروج له باعتبارها راعية الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات وحقوق المرأة، هي صورة من الصورة المتقدمة في العمل الاستخباراتي المباشر في صورة دراسات اجتماعية، وتقارير مدنية

(١) علي عليوة: حقوق المرأة والطفل الحقيقة والأوعاد، البيان (١٦٥)، ص ٥٢ وما بعدها
(١) مجموعة من المشاركين والمشاركات بعنوان: التمويل الأجنبي لمؤسسات المرأة والطفولة، عن مجلة الشقائق الإماراتية، مجلة شهرية جامعة، العدد (٦٧) محرم ١٤٢٤هـ، ص ١٢، ١٣.

لدعم هيمنتها السياسية والاقتصادية، وترويج مفاهيم العولمة وترسيخها.

والجدير بالذكر أن هذه المؤسسات قد انتشرت في المجتمعات الإسلامية من منتصف الثمانينات، وتعالت صيحاتها أكثر في منتصف التسعينات، واتسعت رقعتها بعد ذلك خاصة في البلاد المتخلفة التي تعيش في مستوى متدني من الفقر كاليمن، على سبيل المثال، إن قوى العولمة تنفق بسخاء لمحاربة القيم الدينية والأخلاق الفاضلة، وطرح مفاهيمها المغلفة، بالطرح الإنساني، ولكنها في الحقيقة تحاول أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتروج من خلال هذه الجمعيات لمفاهيم الديمقراطية التي يفهمونها هم وحسب تصوراتهم، ولكن!{فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [1].

تتسابق المؤسسات التي تهتم بموضوع المرأة والديمقراطية لتنفق الأموال بسخاء منقطع النظير، أليس هذا يدعو إلى التساؤل؟ وإلى طرح العديد من الأسئلة؟

لماذا كل هذه النفقات؟ لماذا تزامن ظهور اللجان النسوية، والمراكز النسائية، مع ظهور مفهوم مؤسسات المجتمع المدني؟

ولماذا تصاعد النشاط الدولي في مجالات المرأة والأسرة؟ ولماذا ارتبط ذلك النشاط بالمؤتمرات الدولية التي تسعى جاهدة لتنميط العالم، وخاصة العالم الإسلامي؟ وتغيير منظومته الثقافية والاجتماعية المستمدة مفاهيمها من الدين الإسلامي الحنيف.

لقد تضمنت المؤتمرات الدولية المنعقدة تحت رعاية الأمم المتحدة وكنفها تحولات كبيرة في الأبعاد والقيم والمفاهيم الثقافية والاجتماعية للمرأة، وإخراجها من نمطها القديم، وركزت هذه المؤتمرات على مسألة مساواة المرأة بالرجل والقضاء على جميع أشكال التمييز والعنف، وإشراكها في التنمية الاقتصادية الاجتماعية والسياسية، والدفع بها إلى أماكن القرار ومفاصل الدولة.

ولتحقيق هذا الغرض بدأت بمرحلة أولى، وهي إيجاد منظمات ومؤسسات مدنية تختص بقضايا المرأة، وتشجيعها على العمل، وإخراجها من بيتها، لتعمل جنباً إلى جنب مع الرجل. والإيعاز لها بأن لها حقوقاً مدنية واقتصادية وسياسية واجتماعية و... وينبغي لها أن تخرج لتأخذها وتسعى لتحقيقها. فأنشئت هذه اللجان بقرارات وزارية، وقوانين

(١) (الأنفال: ٣٦).

دستورية، سمحت لها بأن ترتبط بالأجنبي، وتأخذ تمويلاً أجنبياً، على شكل مساعدات سخية، وعلى أن تكتب التقارير الشهرية والسنوية عن سير العمل، وعن مدى إشراك المرأة في الجانب الحكومي (الحق السياسي للمرأة). وعليها تستمر التحويلات ما استمرت التقارير!!

أليس هذا يدعو إلى التساؤل؟! أليس هذا يجري بمباركة الأنظمة الحاكمة، باسم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة وغيرها من الحقوق؟!

والحقيقة أن هذا كله امتداد للاستعمار الفكري القديم الذي يتستر بستار الجمعيات الخيرية الخدمية، والطبية، ومؤسسات التبشير [1]، بعد هزيمة الصليب، وطرد الاستعمار من بلاد المسلمين.

حقوق الإنسان وذريعة التدخل الأمريكي

يستحسن تصدير هذا المطلب بمادة من مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بمادة من مواد الدستور الأمريكي ضمن وثيقته التأريخية لمدى ارتباطها بمسألة حقوق الإنسان.

فقد جاء إعلان الدستور الأمريكي ضمن وثيقة (فرجينيا) وإعلان الحقوق الإنسانية الذي أعلنته الثورة الفرنسية بمثابة الأساس للإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أعلنته الأمم المتحدة، حيث يقول في مادته الأولى: «يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء [1].

وجاء في وثيقة الدستور الأمريكي: " إن جميع البشر خلقوا متساوين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة غير قابلة للإسقاط أو التنازل عنها من بينها: حق الحياة، والحرية، وطلب السعادة "[2].

فهل لا يزال هذا الكلام بمصداقيته من أن البشر خلقوا متساوين في حق الحياة

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٤.

(١) انظر الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان التي فيها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٥م، ص ٧.

(٢) انظر حسن قطامش، عولمة أم أمركة، ص١٤، (مرجع سابق).

والحرية... أم أن هذا الكلام حبر على ورق وذر رماد للعيون ولا ينطبق إلا على شعوب بعينها دون الأخرى، وعلى البشرة البيضاء دون بقية الألوان.

هل هناك شعب اصطفاه الخالق سبحانه ليعتلي البشر ويستعبدهم ويسترقهم ويستذلهم؟ هل هناك أمة لها ميزة خاصة بين الأمم، ويجب أن تبعد من دون الله من بين سائر الأمم؟.

إنّ هذا ما يبدو من واقع تطبيق الغرب أو الشرق لمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ونتيجة للتطور المذهل في العلم ومن خلال ثورة الاتصالات واختصار مسافة الزمن وتملك الإنسان لمقدرات مجاله الحيوي، فقد أصبحت العولمة تخطو خطوات متسارعة ونحو تخطي الحدود ونحو التعامل مع الآخرين دون اعتداد بهذه الحدود، ودون اعتبار للسياسة، أو الانتماء إلى وطن، ودون الحاجة إلى تعامل مع الحكومات ومن هنا فقد أصبحت كثير من القضايا معدودة ضمن القانون الدولي، ولم تعد الانتهاكات الجسيمة التي تحدث لحقوق الإنسان في أي مكان من العالم شأناً داخلياً، بل أصبحت تدخل ضمن اهتمامات المجتمع الدولي وتتطلب حلولاً دولية وإن كانت معايير هذا التدخل ما زالت تثير الكثير من الجدل [1].

لقد تم تفسير وتمثيل وتبرير وتمرير الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في أروقة الأمم المتحدة (القوية) على ما يوافق النظام الرأسمالي المهيمن، وبما يخدم النظام العالمي الجديد والذي عمل بكل ما أتيح له، ليكون قائداً لهذا النظام، فاستطاع أن يبلور هذا الإعلان لصالحه، ولما يخدم مكانته السلطوية العلوية المهيمنة، فاعتبرت الملكية الحد الأدنى للنزعة الإنسانية البرجوازية، حيث تعني تأكيد حق الإنسان في الملكية ضد عبودية الإقطاع، باسم الفردية، واعتبرت حرية التفكير بمثابة إعلان التمرد الواضح والحرب العلنية على الكنيسة، واعتبرت إرادة الإنسان الحرة بمثابة إعلان السيادة التامة

---

(١) انظر أ. محمد فالق، حقوق الإنسان في عصر العولمة، رؤية عربية، برلين، ٢٤ مارس ٢٠٠٠م، ود. جميل قاسم: حق التدخل الباطل، عن مجلة الشاهد، العدد (١٨٤)، ص ٥٦، ويلخص الدكتور جميل قاسم: ذرائع التدخل الباطل بالنقاط التالية:

- معاقبة المعتدي - إغاثة المعتدى عليه - المساعدات الإنسانية، أو الديتموافية - تحرير الشعوب من ربقة الحكم الديكتاتوري - وغيرها من الأوهام الكاذبة، والخطابات المنسوجة من وحي الخيال أو من وحي الغطرسة والهيمنة والاستكبار - انظر المرجع نفسه، ص ٥٥، ٥٦.

على قوى الطبيعة [1].

ولأن هذا الإعلان تم في بيئة غير بيئة الإسلام وغير بيئة العرب، فقد جاء لإنقاذ الغربيين مما غرقوا فيه من ظلامية وجهل واستبداد واستعباد وفي الحقيقة، لم يكن للمسلمين أو العرب أي ارتباط بهذا الإعلان.

وعلى الرغم من هذا كله، وتأثره بالفلسفات القديمة والتي ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر حول الفرد المستقل وعن حقوقه الطبيعية.

وعلى الرغم من تأثره عامة بالمفاهيم الغربية، إلا أنه حد من نزعة الغلو للنظرة الفردية، بمحاولة إيجاد توازن بإدخال بعض الحقوق الجماعية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والتي ظهرت فيما بعد من خلال المواثيق والعهود التي صيغت على أساس هذا الإعلان، لكن الذي يحق العجب منه هو أنه بعد صدور هذا الإعلان، استمرت النظرة الغربية متجسدة في تضخيم الحقوق الفردية وتقديمها على الحقوق الجماعية سواءً ما يتعلق منها بحق المجتمع أو بحقوق الشعوب، كما قدمت الحقوق السياسية والمدنية على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية وكلا العهدين ينصان بصراحة على أحقية الشعوب في تقرير مصيرها.

حقوق الإنسان وازدواجية الغير:

ومع أن هذين العهدين يقفان ضد مصالح الدول الاستعمارية إلاّ أنهما صدرا، ولم يطبقا بحذافيرهما بل استخدمت النظارة السوداء في حق بعض الشعوب وخاصة الإسلامية منها والعربية. ومن ثم فقد اتضحت ازدواجية المعايير في حالات تصدي الولايات المتحدة الأمريكية لمخالفة الحكومات، والاعتبارات الديمقراطية، أو قواعد حقوق الإنسان حيث تتغاضى عن مخالفات الدول التي تربطها مصالح استراتيجية وأبرزها إسرائيل والشعب الفلسطيني الذي لم ينل حقه إلى اليوم في تقرير المصير [1]. والموقف نفسه في الجنوب الأفريقي، ولا تزال شعوب ودول ترزح تحت الاحتلال

---

(١) انظر نفس هذا المعنى عند محمد فائق، حقوق الإنسان بين الخصوصية والعالمية، عن المستقبل العربي (٢٤٥) ١٩٩٧م، ص ٦، ٧.

(١) د. جميل القاسم: حق الدخل الباطل، المرجع السابق، وانظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، ص ٦٧، مرجع سابق.

وجمهوريات بكاملها ترزح إلى اليوم تحت الاحتلال الروسي (الاتحاد السوفيتي سابقاً)!!.

ومع كل هذا الاحتفاء والافتخار بهذه المواثيق والعهود التي ظاهرها الرحمة من حيث حقوق الإنسان أياً كان هذا الإنسان: ولكن باطنها العذاب عندما يكون المنتهك لحقوق الإنسان في نظرهم، ونظارتهم السوداء وتصورهم الأعوج من يمثل دولة ضعيفة خاصة إسلامية أو عربية.

إلا أن ارتباط الأمم المتحدة بالسياسة الأمريكية والمصالح العليا لها وللدول المهيمنة والقوية وجعل من حق هذه الدول التدخل في شؤون غيرها رعاية لمصالحها القومية وحفاظاً عليها، ولأن مبادئ العولمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأمركة فإن للعولمة رسالة خاصة، يراد لها أن تعممه في شتى بقاع الأرض، ولا يمكن ذلك إلا من خلال فرض أمور عدة على شعوب العالم منها حقوق المواطنة العالمية ومسألة الديمقراطية والتعددية الحزبية، ومسألة الاضطهاد الديني!! الذي تتعمد راعية العولمة أن ذكره بين الحين والآخر!!.

ولأن الولايات المتحدة تعتبر نفسها أقوى قوة في العالم ولها الحق في نظرها بأن تقوم بالدور الريادي الأخلاقي الكوني، فهي حاضنة الديمقراطية والمدافعة عن حقوق الإنسان وهي المدافعة عن حقوق الأقليات والتي تعيش في جميع بقاع العالم [1].

أمريكا تنصب نفسها مراقباً عالمياً:

من هنا فقد نصبت نفسها مراقباً عاماً لكل هذه الأمور في العالم أجمع، ولم يفتها أن تهيمن بفعل قوتها وقدرتها العسكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية على مجلس الأمن، كذلك، ليتسنى لها إصدار القوانين باسم الشرعية الدولية، التي تسمح لها بالتدخل في شؤون أية دولة، بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان المتمثلة كما سلف - بالديمقراطية والحرية والاضطهاد الديني وحقوق الأقليات في العيش الكريم وطلب السعادة وغيرها مما تتشرف به من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام [1].

ومن بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى اليوم تعتبر الولايات المتحدة نفسها

(١) انظر السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث، ص ٦٥، ٦٦، ٦٧، مرجع سابق.
(١) السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث، ص ٦٦.

أنها صاحبة الصدارة في كل شيء، ولها الحق الكامل في الوصاية على العالم لأنها منفردة من حيث التفوق العسكري، وهي زعيمة الاقتصاد العالمي، وهي التي تمسك بزمام السياسة العالمية، وهي التي فجرت الثورة التكنولوجية(ثورة المعلومات والاتصالات)، وهي التي تقود الثورة الصناعية في كل مجال، لهذا كله فهي ترى أن لها الحق في التدخل في شؤون أية دولة في العالم، بما يحقق لها مصالحها القوية ويحفظ لها أمنها، وترى أيضاً أنه ليس لأحد، ولا لجهة، ولا لدولة، ولا لثقافة، ولا لحضارة أخرى، أن تنافسها في الزعامة أبداً لأنها بلغت الذروة العليا في كل أمر من الأمور الحياتية وينبغي للعالم أجمع أن يأخذ بقيمها وثقافتها وحضارتها، وعلى العالم أن يتقبل ذلك بالرغبة أو يستقبل ذلك بالقوة الباطشة والذراع الطويل الذي لا يخطئه أحد أينما كان وفي أي بقعة من بقاع الأرض، ومصداقاً لذلك: -

فهذا جورج بوش الأب يؤكد على بدء مرحلة جديدة تعقب الحرب الباردة فيما يتعلق بالسلام والأمن والتجارة والتنمية وحقوق الإنسان والأقليات حيث يصرح بالحرف الواضح: ليس للولايات المتحدة النية أن تفرض حلفاً أمريكانياً ولن سنظل ملتزمين، ولن ننسحب ونتقوقع في الانعزالية، نحن نقترح الصداقة والقيادة [1].

ولا يكتفي بهذا بل يلوح باستخدام القوة والعصا الغليظة من أجل قيادة العالم فيقول: لكي تمارس الولايات المتحدة دوراً قيادياً عليها أن تكون قوية، فقيادتنا الدولية وقوتنا الوطنية متكافلتان [1].

وهذا (ألبرت بيفريدج) ممثل ولاية أنديانا في مجلس الشيوخ الأمريكي يلقي خطاباً في مجلس ولايته متحدثاً بكل صلف وكبر وغرور قائلاً: «إن الله لم يهيئ الشعوب الناطقة بالإنجليزية لكي تتأمل نفسها بكسل ودون طائل، لقد جعل الله منا أساتذة العالم!! كي نتمكن من نشر النظام حيث تكون الفوضى، وجعلنا جديرين بالحكم لكي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية الهرمة، وبدون هذه القوة سيحكم العالم مرة أخرى البربرية والظلام، وقد اختار الله الشعب الأمريكي دون سائر الأجناس كشعب مختار!! يقود العالم

(١، ٢) عن بتريك هرمان، العالم حسب بوش ميلاد النظام العالمي الجديد في القانون الدولي وسياسة المكيالين، تعريب د. أنور مغيث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص ٣٣، د. بركات محمد مراد ظاهرة العولمة، ص١٣١، ١٣٢ مرجع سابق.

أخيراً إلى تجديد ذاته [1].

وأما الرئيس الأسبق (دراميت إيزنهاور) فقد خاطب أمته عام ١٩٥٣م، قائلاً: «لمواجهة تحديات عصرنا حمل القدر بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر» [2].

وهذا (وارن كريستوفر) يقول بكل غرور في نهاية ١٩٩٥: «الحقيقة بسيطة: هي أن أحداً لن يقود إذا لم نقم نحن بتولي مسؤولية القيادة، تصور شكل العالم خلال العامين الأخيرين فقط لو كانت القيادة الأمريكية غائبة» [3]!!.

ويضيف قائلاً: «إنه ومنذ ثورة أمريكا يتطلع الناس في كل مكان نحو الولايات المتحدة التماساً للإسهام في نضالهم من أجل الحرية وحياة أفضل، وثمة أمم أخرى طالما قبلت بقيادة أمريكا لا لشيء إلا لأن أمتنا تمتلك إرادة مجربة، واستعداداً سبق اختياره عن شيء ما أكبر منها» [4].

وهذا (روزفلت) يتبجح فيقول: «إن قدرنا هو أمركة العالم تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة... وعندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيداً» [5].

وهناك أغنية أمريكية يرددها الأمريكان تعبيراً عن بلوغ الذروة في العنجهية: «والقمر أصبح أرضاً أمريكية، بلاد السوفيت أصبحت أرضاً أمريكية، والمريخ أصبح أرضاً أمريكية وعلى الأرض السلام والخراب» [1].

وقد أقرت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس النواب الأمريكي إنشاء مكتب في البيت الأبيض لمراقبة الاضطهاد الديني ومراقبة معاملة الأقليات الدينية في بلدان إسلامية وأخرى غير إسلامية، ولم يطبق القرار بحذافيره إلا في الدول الإسلامية، وتبقى المناورة بهذا القرار في غير البلاد الإسلامية بما يخدم المصالح الأمريكية.

ولقد نفذ هذا القرار في السودان ومصر وغيرهما من الدول الإسلامية، ولوح به من باب الضغط فقط على الصين، خاصة، وأنها في حلة الانطلاق الكبرى في مجال

---

(١) انظر حسن تطامش: عولمة أم معركة، ص ٦، وانظر روجيه جارودي: أمريكا طليقة الانحطاط ص ٢٤١، ٢٤٣.

(٢، ٢، ٣، ٤) المرجع نفسه، ص٧، ٨.

وللمزيد انظر، حسن قطامش: نهاية الجغرافية، عن مجلة البيان، (١٤٩)، ص ٩٥، ٩٦.

(١) انظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث ص ١٧.

التصدير واستيراد التكنولوجيا.

إن الثورة الاتصالية الكبرى التي يشهدها العالم بقيادة أمريكا جعلت من الأحداث صغيرها وكبيرها، جليلها وعظيمها، تظهر على شاشات الفضائيات فيراها العالم كله في التو واللحظة، بما في ذلك مخالفات حقوق الإنسان، سياسية كانت أو دينية [1].

ولذلك فقد أصبح الوعي الكوني بالغ الحساسية لحقوق الأقليات وأوضاع حقوق الإنسان مما أعطى الولايات المتحد كونها الأقوى في العالم أن تتدخل بين الحين والآخر في شؤون هذه الأقليات حتى ولو كان الأمر لا يعنيها إنما تحشر أنفها رغم أنوف الجميع.

وأوضح مثال على ذلك تعاملها مع ثورة الطلاب المنادي بالديمقراطية في بكين وقمعهم من قبل السلطات فلم تسكت الولايات المتحدة الأمريكية بل أقامت الدنيا ولم تقعدها حتى جعلت هذه القضية ورفعتها ورقة ضغط على الصين خلال المباحثات الاستراتيجية التي جرت بينهما.

وكذلك جعلت من الأقباط في مصر ورقة ضغط على مصر ترفعها حين جعلت مصر من الدول التي تمارس الاضطهاد الديني بالرغم من أنها لم تجد أية نقطة ضعف في معاملتهم كأقلية بين الشعب المصري [1].

وهذه فقط أمثلة، وإلا فإن الولايات المتحدة قد نصبت نفسها بهذه الذريعة القائد الأعلى للعالم، والوصي الأول وجعلت من حقها التدخل في شؤون أي دولة لا تهتم بحقوق الإنسان بغض النظر عن الدين الذي تدين به الدولة والثقافة والحضارة والقيم والسلوك فالمهم حقوق المواطنة، وتحاول أن تجد الثغرات والنعرات حتى ولو لم تكن موجودة ولا من يفكر بها، وهذه أعجوبة وأضحوكة وألعوبة من ألاعيب العولمة الأمريكية الجديدة (القديمة) باسم التشدق بصيانة ورعاية والدفاع عن حقوق الإنسان، فسياسة أمريكا واضحة جداً في الكيل بمكيالين.

فهي تتصدى لمخالفات الدول التي لا تربطها بها مصالح اقتصادية أو سياسية أو

---

(١) انظر السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، ص ٧١..
(١) المرجع نفسه، ص ٧٢.

تجارية خاصة الدول الإسلامية أو العربية الضعيفة، ولكنها تغض الطرف عن مخالفات الحكومات والدول التي تربطها بها مصالح استراتيجية... [1].

وهكذا يمكن أن يسير هذا المنهج ضد أي دولة لا تحقق مصالحهم، فتتهم بانتهاك حقوق الإنسان سواء عندما لا تستجيب الدولة المتهمة في تطبيق الديمقراطية أو حقوق الأقلية أو حقوق المرأة مثلما برزت هذه الدعوة ضد أفغانستان وارتفعت أوراق الضغط ضدها مرة باسم المرأة، ومرة باسم انتهاك حقوق الحضارات السابقة والاعتداء عليها... وهلم جرا، من هذه الادعاءات الباطلة [2]. والنظام الدولي القائم حالياً ليس نظاماً ديمقراطياً، ذلك أنه لا توجد إلا فيه دولة واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تفرض قوانينها وثقافتها على العالم أجمع، ومن هنا ظهرت معايير الازدواجية والانتقائية في مواجهة قضايا حقوق الإنسان، أو القضايا البيئية، والإنسانية الشاملة، ويظهر ذلك بوضوح في سياسة الولايات المتحدة ضد العراق والشعب العراقي المحاصر والذي يهدد كل يوم ويقمع كل يوم بل هو يعرض للإبادة بحجة واهية وهي أنه يملك أسلحة الدمار الشامل وهو اتهام باطل ثبت بطلانه من خلال مفتشي الأمم المتحدة وتقريراتهم، إنما بيت القصيد هو (النفط والمخزون الوافي) والاستيلاء على نفط الخليج بشكل سافر بحجة حماية الكويت أو غيرها والواقع خير دليل على ذلك [1] ومن هنا فقد كان استخدام الولايات المتحدة لسياسة التدخل بحجة حماية حقوق الإنسان بشكل يسيء للإنسانية لما في سياستها من تعسف وتعنت واستهانة واستكبار وعلو وفساد في مسلكها كدولة عظمى فهي تخرج على القانون الدولي والمواثيق الدولية متى شاءت في سبيل صيانة حقوقها ومصالحها القومية [2].

تعميق المنهج الغربي في إدارة الحكم:

إن من أخطر الأضرار على الدول هو أن تنتهك سيادتها، تنتقص استقلاليتها، وتجرد من مقومات تمتعها بالاستقلال التي نالتها أثناء حروب الاستقلال، ويبدو الأمر

---

(١) انظر المهندس ناصر عبده دحان، أساليب السياسة الأمريكية لتغيير الأنظمة، عن مجلة المنتدى اليمنية، العدد (٧١)، ص٢٢.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢.
(١) المرجع نفسه، ص ٢٢
(٢) انظر أ. محمد فائق، حقوق الإنسان في عصر العولمة..

جلياً حين تفقد الدولة سيطرتها على مواردها وتتخلى نسبياً عن أدوارها الاقتصادية والاجتماعية بل وحتى السياسية تاركة القيام بهذه المهمة على أكمل وجه للشركات متعددة الجنسيات [1]. فلم تعد الدولة ذات سيادة وشرعية تامة إلا على نطاق مواطنيها من حيث حصرهم وتعدادهم وعدم السماح لهم بالهجرة إلا عن طريق جوازات السفر، وتأشيرات الدخول والخروج، والإقامة والبطاقات الشخصية فهي على هذا شرعية محددة ومحدودة[2].

الدول القومية في العالم الثالث والنظام العولمي:

فقد تحولت الدول القومية إلى سلطات محلية للنظام الكوني، ولم يعد بمقدورها أن تؤثر بصورة مستقلة على النشاط الاقتصادي أو العمالة داخل حدود أراضيها، فذلك يتحدد بما تمليه خيارات رأس المال العالمي طليق الحركة، وأن وظيفة الدولة القومية باتت شبيهة بوظيفة البلديات داخل الدول قبلئذ، فعليها أن تقوم الهياكل الارتكازية والسلع العامة التي تحتاجها الشركات بأدنى تكلفة ممكنة حيث تقوم هذه الشركات بتوزيع عوامل الإنتاج بحيث يحقق لها أعظم منفعة عبر نظام التجارة الحرة العالمي خاصة في بلدان العالم الثالث، وأصبح العمل السياسي لدى الدول مجرد تقديم خدمات عادية، وبدأ يتخلى عن العمل على المستوى القومي المتعلق بالحرب والدفاع والإدارة الاقتصادية والإصلاح الاجتماعي، وتعمل قوى العولمة الآن على تنشيط الإدارة الاقتصادية والاجتماعية عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات لتخلى الدولة شيئاً فشيئاً عن مهامها في هذين الجانبين ولتفسح المجال للقوى الخارجية لتوجيه إدارة الدولة في الاقتصاد والسماح للاستثمار الأجنبي التمتع بكامل الصلاحيات في البلد لضمان نجاح مشروعاته الاستثمارية وبالطبع يكون التركيز على المواد التي تدر الربح الكثير خاصة في الجانب الاستهلاكي [1]..

ونتيجة لهذا الخلل فإن الأقليات في الدولة القومية بدأت بالنشاط والسعي بجدية لتجد

---

(١) انظر عادل عبد الحميد العولمة وآثارها على دول العالم الثالث عن مجلة الثوابت العدد ١٩ مارس ١ - ٢٠٠٠/٣م، ص٩٢.

(٢) انظر بول هرست جراهام طوميسون، ترجمة د. فالح عبد الجبار، ما العولمة العدد (٢٧٣) سلسلة عالم المعرفة، ص٣٨٠.

(١، ٣) انظر بول هرست، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

لنفسها مكاناً وهكذا المناطقية والتعددية الحزبية والدينية كلها تريد أن تجد لنفسها مكانة وتؤكد استقلاليتها الذاتية وكل يريد تأكيد استقلاله الذاتي دون كبير خشية من سطوة وسلطة الدولة القومية [1].

السلاح النووى وسيلة ضغط على الدول النامية:

ومما زاد الطين بلة أن الدول الكبرى سعت من بعد الحرب العالمية الثانية وإلقاء القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجزاكي اليابانيتين بالضغط بهذا السلاح الفتاك إلى الحد من سيادة الدول والتدخل في شؤونها بكيفية قهرية استعمارية، ونجد تأكيد هذا عند هيرست جراهام حيث يقول: [لقد انتبذت الدول النووية الكبرى " السيادة " وخلقت معاهداتها نظاماً مدنياً عالمياً لا يقتصر على الحد من الحروب، بل تعداه إلى منح الدول الكبرى صلاحيات التفتيش والإشراف وإبلاغ الدول الأخرى بمواعيد المناورات العسكرية وما إلى ذلك، وهي صلاحيات تجعل من التعبئة الفعالة للحرب أمراً مستبعداً تماماً، وما على الدول الصغيرة إلا أن تقبل بحد أدنى من التدخل في شؤونها الداخلية كي تتجنب الحرب وتضمن السلام وهو تدخل ما كان يطاق قبل هذا الأوان] [2].

وهكذا تقوم قوى العولمة بعمل دعاية لنفسها على أنها الأقوى والأعظم والأكبر وتستخدم لذلك الإعلام المسيطر، ولم تعد تجدي القوات المسلحة في الدول القومية الصغيرة شيئاً في وجه الترسانة العظمى التي تملكها الدول النووية وهي بالتالي تشعر بأنها مهددة ولا جدوى في المقاومة، ومع ذلك فإن (الخنوع والخضوع لا يجلب السلم أبداً، ويهرف المتنبئون بأن السلم لا يمكن أن يخيم أبداً، ذلك أن الدول الصغيرة ستتحارب فيما بينها، والدول المتقدمة ستواجه خطر الإرهاب، والحركات الثورية ستواصل الصعود في الأطراف المفقرة بهيئة " جيوش شحاذين " جديدة ولكن محلية، ولسوف تعبر الحركات الثورية عن تناحرات محلية خاصة وإلى غير ذلك من التنبؤات التي تضعف الدول القومية وتسهل تعميق جذور إدارة الدول المتقدمة المتحكمة فيها [1].

ولكن الباحث يرى أن هذا نوعٌ من الحرب الإعلامية، يصب في مصالح الدول الكبرى المهيمنة، ولا يعلم الغيب إلا الله ومدبر الكون ومصرفه هو الله وحده.

---

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩٠.
(١) المرجع السابق، ص٣٩١.

وهناك مسألة ينبغي التطرق إليها وهي مسألة الخصوصية وإضعاف قدرة الدول في توفير متطلبات شعوبها وتلبية حاجياتهم بسبب دخول الشركات العملاقة والمنافسة الحرة - على حد زعمهم - الأمر الذي يؤدي إلى إيجاد فجوة بين الشعوب والنظم الحاكمة وخلق أزمات حادة وقلاقل واضطرابات [1].

وفي الناحية السياسية أضحت مسألة الإشراف الغربي على الديمقراطية وسيرها أثناء الانتخابات، وبذل الجهد لتمرير هذه الانتخابات ليفوز الحزب الذي سيسمح للغرب بالنفوذ المباشر في مفاصل الدول والكلام على صناديق الاقتراع والجانب الإداري مسألة مسلمة[2].

الأمر الذي يكرس التبعية للغرب ويعمل على تعميق النهج الغربي في الدول الضعيفة وهو ما تبتغيه رائدة العولمة التي تخفيه تحت ستار الشعارات المضللة، وبشماعات القيم الإنسانية والأخلاقية وتسخيرها لصالح المؤسسات الدولية والمنظمات العالمية لخدمة مآربها وتكريس هيمنتها.

قوى العولمة تسخر القانون الدولي لصالحها:

وكذا تعمل العولمة من أجل تسخير القانون الدولي ومؤسساته مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن [1] حتى يتسنى لها التدخل السافر عن طريق هذا القانون في شؤون الدول باسم الديمقراطية وحقوق الأفراد والأقليات ومسائل البيئة، فهي تسعى لفرض هذه المفاهيم في جميع الدول وترى أن من حقها أن تعممها وأن علاقة تحضر وتطور الدول هو اهتمامها بما يدعو إليه النظام العالمي الجديد ويفرضه، فإن وجدت دول تستنكف تطبيق هذه المفاهيم في دولها فهي محل نظرة السخط والغضب من قبل النظام العالمي الجديد، ويحق له التدخل في شؤون هذه الدول وفرض ما يلزم من عقوبات ضدها إما اقتصادية أو إن استلزم الأمر فعسكرية.

فهناك حلف الشمال الأطلسي(العصا الغليظة) التي يستخدمها النظام العالمي الجديد

---

(١) انظر فتحي يكن، ورامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، ص ٤١، ٤٢.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢.
(١) انظر د. بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، سلسلة كتاب الأمة) ٨٦) ١٤٢٢هـ، ص١٣٤.

في جاهزية تامة تنتظر فقط الأوامر وصدور القرارات من مجلس الأمن الذي يدبره مدراء النظام العالمي الجديد.

قوة العولمة وتسخير المؤسسات المالية:

ولا تقتصر قوى العولمة في تدخلها في شؤون الدول على هذا الحد بل تلجأ إلى استعمال سلاح المال والمؤسسات المالية الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) وفروعهما للتدخل في شؤون الدول الداخلية باسم الإصلاحات الهيكلية والاهتمام بالبنية التحتية والتنمية الاقتصادية والتنمية البشرية [1].

فتسن القوانين المجحفة لتعميم أنماط اقتصادية محددة تخدم في النهاية شركاتها العابرة للقارات على حساب الاقتصاديات المحلية وباسم الخصخصة وتقدم هذه الشركات بنقل ملكية القطاع العام وشركاته إلى القطاع الخاص في إطار من الفلسفة الرامية إلى التقليص من إشراف الدولة القومية وهيمنتها [2].

وجاء في كتاب أمريكا طليعة الانحطاط لروجيه غارودي ما نصه: «يقول دودر ويلسن الرئيس الأمريكي السابق في مذكراته السرية وهي مذكرات يتأثر ويثير بها غيرهم من هو على شاكلتهم: (إن التجارة لا تعرف حدوداً قومية، وبما أن المنتج يحتاج إلى العالم ليصبح بأجمعه سوقه التجاري، فلا بد إذن من أن يسبقه عَلَمُ بلاده حتى يوفر له فرصة اختراق كل الأبواب المغلقة، ولا بد أن يحمي رجال الدولة الامتيازات التي يحصل عليها رجال المال حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير سيادة الأمم التي تحاول التصدي لذلك، يجب إقامة المستعمرات أو ضمها حتى لا تترك أي ركن في العالم [1].

هذا هو دور الرأسمالية خارج حدودها، وهذا هو دور أمريكا في النظام العالمي الجديد (القديم).

* * * * *

(١)المرجع نفسه، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) انظر د. القرضاوي، المسلمون والعولمة، ص ٢٦، عثمان الحيالي: العولمة والهيمنة، مجلة دراسات البيئة، العدد (٤) ١٩٩٩/١١م، ص ٦٥ - ٦٦.

(١) انظر د. القرضاوي، المسلمون والعولمة، ص ٥٣.

obeikandl.com

المبحث الرابع:
الأدوات الاجتماعيطلة
المطلب الأول:
المؤثرات العالمية (الإسكان والتنمية)

توطئـــة:

إن المتأمل في الساحة الدولية وفي محافلها، تتملكه الدهشة ويأخذه العجب من عقد مؤتمرات مكثفة تحت شعارات مزخرفة وبراقة باسم السلم والتنمية والمساواة وباسم القضاء على العنف ضد المرأة وباسم السكان والحد من التزايد المخيف وباسم تنظيم الأسرة وغيرها من الشعارات، إنه لأمر يدعو إلى التساؤل خاصة حين نجد أن هذا الأمر لا يقتصر على الشعارات المرفوعة، بل تتداخل الأطروحات والمسائل حتى إنه تحشر المرأة حشراً في هذه المؤتمرات.

إنها سموم تنفث في جسد الأمة الإسلامية بصفه خاصة وفي العالم بصفة عامة كقطرات متقطعة بسيطة في البداية، وبخطوات هادئة مقتفين بذلك سبيل الشيطان ومنهجه في الإغواء والخديعة وإخراج المرء عن دينه وجادته وصوابه حتى أثمر هذا المنهج ثماره الخبيثة فلم يعد مجرد أفكار فردية وقضايا مطروحة للنقاش، ليت الأمر وقف عند هذا الحد! وانتهى لا!

إنها معركة أخذت تنحو منحى خطيراً فلم تعد محلية أو إقليمية، بل أصبحت عالمية مؤطرة بإطار دولي، وتحت مظلات المؤسسات التابعة لها، وخاصة الأمم المتحدة وأقحمت فيها كافة الدول بما فيها الدول الإسلامية وكانت بالطبع فرصة للعلمانيين الذين سرعان ما لبوا الدعوة إلى هذه المؤتمرات أو بالأصح المؤامرات التي انعقدت في إطار قانوني دولي كمؤتمرات عالمية.

إن النظام العالمي الجديد (الرأسمالية العالمية) وهو يشعر بالفخر والكبرياء والاعتزاز حينما حقق الانتصار على المنظومة الاشتراكية اتبع منهجية فجة، وفجر

قنبلته الاجتماعية في كل مكان بالدعوة إلى عقد المؤتمرات المجهزة بخطط ومشاريع استراتيجية تؤمن وتحقق بزعمهم - للمرأة مستقبلاً أفضل وأرقى، واستخدمت في ذلك الشعارات المظللة والمزخرفة، ودعت إليها الأمم ممثلة في الحكومات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية، وقد تطرق الباحث إليها في مبحث البعد الاجتماعي، والمقصود هنا الكشف عن التأثير السياسي والتطبيقي على المجتمعات في العالم الثالث ومنه العالم الإسلامي.

أمريكا تفرض العولمة على العالم (كدين جديد):

لقد سعت الأمم المتحدة بقيادة الغرب وعلى رأسه أمريكا إلى فرض أيدلوجية يعتنقها العالم كله كدين [1] جديد يبشر به النظام العالمي الجديد، ويفرضه بالقوة على العالم دون تروّ أو نظر إلى العوائق أو العواقب التي قد يصطدم بها في المجتمعات الأخرى من دين أو لغة أو لون أو جنس أو فكر... أو....

وتسعى الولايات المتحدة إلى أن تكون لها قوة عالمية واحدة ومرجعية كونية واحدة، وإنسان مصبوغ صبغة غربية واحدة حتى لا يكون معنى لأي حق بعد ذلك من حقوق الإنسان في التنوع والاختلاف الذي صبغ عليه وخلق معه وهو سنة كونية تسعى أمريكا إلى تغييره تحت مظلة الأمم المتحدة باستصدار التوصيات التي تؤول إلى قرارات دون التفات إلى الدين أو الثقافة أو التقاليد أو الأعراف التي هي خصيصة في كل أمة، وإذا بهذه التوصيات التي أصبحت قرارات تفاجئنا بأن الفوارق البيولوجية بين الرجل والمرأة ليست إلا نتاج تنشئة اجتماعية وأسرية وبيئية [2].

وعلى هذا الأساس يمكن للرجل أن يقوم بدور المرأة وللمرأة أن تقوم بدور الرجل وما هما إلا نوع واحد (Gander) وليس جنس (sex) ومن ثم يمكن أن تغير شكل الأسرة، فبدلا من أن تكون رجلا وامرأة بزواج شرعي يمكن أن يمارس كل منهما حاجته بين اثنين إما ذكر وذكر أو أنثى وأنثى، وأي ذكر وأي أنثى المهم ممارسة وإشباع تلك الغريزة بأي طريق وبأسهلها ولا داعي للتعقيد

(١) حسن قطامش: سيادة الدولة أم سيادة العولمة، البيان (١٤٩)، ص ٩٨.
(٢) انظر كمال حبيب عولمة المرأة قراءة في الأيدلوجية السوية الجديدة، البيان (١٥٠) صـ٣٦ وما بعدها.

فأي فكرة شيطانية اتبعتها الأمم المتحدة [١].

إن إثارة قضايا المرأة في الدولة الإسلامية تتم بوتيرة واحدة توحي بأن محرك خيوط اللعبة واحد فدائماً ما يبدأ الحديث عن النهوض بالمرأة والرقي بمستواها التعليمي والفكري والاجتماعي وهي أول خطوة ثم تتلوها خطوات تدعوها إلى الانحلال والاختلاط والخنا والفجور ومسخ المرأة وابتذالها في السينما والمسرح والباليه والسباحة والكراتيه وصدق الله العظيم القائل{وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [٢] [٣].

إنهم يريدون فرض هذا الفكر بالقوة والإلزام عبر هذه المؤتمرات، وخاصة مؤتمر بكين الأخير الذي عقد في ١٩٩٥م تحت عنوان المساواة والتنمية والسلم، وختمت هذه المؤتمرات بمؤتمر ٢٠٠٠م في أمريكا تحت نفس الشعار.

والغرض من هذه المؤتمرات فيما يظهر ضرب آخر موطن من مواطن القوة[٤] في الأمة المسلمة وعولمة المرأة المسلمة وتغيير شكل الأسرة وتفكيكها والدعوة إلى الحرية المطلقة والزج بالمرأة في أتون معركة الحياة السياسية والاجتماعية بممارسة الجديدة والبديلة التى يراد فرضها على العالم وتهدف إلى عولمة المرأة.

وتطرح هذه القضايا باعتبارها جزءاً من أجندة دولية يتسنى بها الدخول فى طاعة النظام العالمى الجديد. والإقرار بالالتزام بالدين السوى البديل والالتزام بالأيدلوجية الجديدة بلا خجل ولا حياء.

إنها في الحقيقة تمثل غاية الخضوع دعوة إلى تدمير الحضارة البشرية والإنسانية، ودعوة إلى تقليد الأمم الغربية وقد أشرفت على الهلاك خاصة في الجانب الأخلاقى والاجتماعى.

وهذا في الحقيقة يمثل غاية الخضوع والرضوخ للقوى الدولية الخارجية، كما يمعن

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٧.
(٢) انظر ندى الصالح عن مجلة الأسرة الصادرة من مؤسسة الوقف الإسلامي هولندا العدد (٧٣) صـ٩، آل مناصرة الشواذ الصليبتون والعكس، المرجع صحيفة - ١٩٩٤/ ٢٧/٤.U.S.A Today.
(٣) (البقرة: آية ١٦٨).
(٤) العولمة، انظر خالد أبو الفتوح.

في تدمير الأسرة وتفكيكها.

ولا تكتفى الأمم المتحدة بالمؤتمرات الرسمية بل إنها تقوم بعقد مؤتمرات فرعية مع منظمات غير رسمية تمثل المجتمع المدنى لتجعل منها قوة ضغط على حكوماتها حتى تراقب حكوماتها في التزامها فيها فتمارس أساليب شيطانية مخالفة للأديان والأعراف والتقاليد مثل[1] :

١ - الدعوة إلى الشذوذ الجنسي والحرية الجنسية المطلقة بين المراهقين والمراهقات والإجهاض باسم الحرية الشخصية.

٢ - الدعوة إلى خروج المرأة من مملكتها البيتية إلى مزاحمة الناس في الطرقات والأشغال تحت شعار القضاء على الفقر والتنمية ومساواتها بالرجل والقضاء على ولايته عليها فأب أو زوج أو غيره.

٣ - الدعوة إلى تغيير قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات المتعلقة بأفراد الأسرة.

٤ - الدعوة إلى الخروج عن قوامة الزوج أو الأب أو قل الخروج عن الدين تحت شعار القضاء على العنف ضد المرأة.

٥ - الدعوة إلى حق المرأة في الفسخ وحقها في السفر وغير ذلك من دعوات شيطانية باطلة.

لماذا كل هذه الدعوات؟ وكل هذه القضايا والتي هى مطروحة باعتبارها جزءاً من أجندة دولة ليتسلم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالالتزام بالدين النسوي البديل والالتزام بالأيدلوجية الجديدة بلا خجل ولا حياء.

إنها في الحقيقة دعوة إلى تدمير الحضارة البشرية والإنسانية، ودعوة إلى تقليد الأمم الغربية وقد أشرفت على الهلاك خاصة في الجانب الأخلاقي والاجتماعي إنها خضوع ورضوخ للقوى الدولية الخارجية إمعاناً في تدمير الأسرة وتقليلها.

وثمة دعاوى لهذه المؤتمرات يتضح فيها مدى الخبث والكيد بالمسلمين والتآمر على

---

(١) انظر ندى الصالح: المرجع السابق، ص ٩، ١٠، وانظر كمال حبيب: المرجع السابق، ص ٤٠.

الأسرة الإسلامية نجملها في النقاط التالية:

١ - فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، ومن ثم الاعتراف بالشواذ والمخنثين المطالبين بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان كحقهم في تكوين أسر، وحقهم في الحصول على أولاد بالتبني أو بتأجير البطون.

٢ - تطالب المؤتمرات بحق المرأة والفتاة بالتمتع الجنسي الآمن مع من تشاء وفي أي سن تشاء وليس في إطار الزواج الشرعي مع أنها تعتبر الزواج الشرعي في سن مبكرة مخالف لقوانين الشرعية الدولية ومجحف في حق المرأة، حتى انتشرت فيهم الأوبئة التي لم تكن في أسلافهم وصدق رسول الله ﷺ : «**وما فشت الفاحشة في قوم إلا أصابهم الله بالأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم**» [١].

إن المقصود من هذا الهجوم العالمي الشرس هو الإنسان كرجل وامرأة وطفل وأسرة.

وفي نفس الوقت هم يحاولون العودة إلى الأسرة ويعتبرونها الركيزة الأساسية والمهمة في حياة المجتمع وأنها اللبنة الأصلية التي فقدت، فانهار المجتمع بضياعها، وقد أجريت دراسات حول أهمية الأسرة [٢].

٣ - تطالب المؤتمرات بحق المرأة والرجل على السواء في الحكم والحمل والإجهاض ولو مجرد أن لا توجد رغبة في الأولاد.

٤ - تطالب المؤتمرات بتلبية حاجات المراهقين والمراهقات في التثقيف الجنسي وتأمين الطرق لهم وخدمتهم ونشر العوازل اللازمة (كالواقي الذكري، وحبوب منع الحمل) والحيلولة ضد سلطة الوالدين أو العائل مهما كان وإطلاق العنان للمراهقين والمراهقات وتشجيعهم على ذلك.

وليس هذا من قبيل التوصيات، بل هي قراراتٍ ملزمة ولا بد من تنفيذها حتى لو أدى ذلك إلى إعلان الحرب على الدين والأعراف والتقاليد.

---

(١) الحديث حسن في سنن ابن ماجه، ج٣، رقم الحديث (٤٠١٩).

(٢) كمال حبيب عولمة المرأة قراءة في الأيدلوجية النسوية الجديدة البيان العدد (١٥٠) صـ٣٦وما بعدها.

والهدف البارز والواضح للجميع هو ضرب مواطن القوة في الحضارات المختلفة والتركيز في ذلك على الحضارة الإسلامية.

بهذه المؤتمرات تتضح الغاية الخبيثة الماكرة، ولأجل إتمام المهمة فإنهم يولون المرأة اهتماماً بالغاً، ومبالغاً لرسم أدوار حديثة للمرأة وإقحامها في كل مجالات الحياة وإخراجها من مملكتها ومكان صونها وحيائها وعفتها.. البيت (القصر الملكي) بالنسبة لها، ودعوتها لمشاركة الرجل ومزاحمته في كل مجالات العمل، فتقود الشاحنة، وتنخرط في صفوف الجيش، وتقف أمام أفران المصانع، بدعوى مساواتها بالرجل والقضاء على الفقر ومشاركتها في تنمية المجتمع.

* * * * *

obeikandl.com

المطلب الثاني:
رسم أدوار حديثة للمرأة

توطئة:

بات من الواضح أن مؤتمرات الأمم المتحدة والتي كانت تعقد بين الفترة والأخرى والتي كان آخرها مؤتمر ٢٠٠٠ للسكان، قد رسمت نصبت لها أهدافاً خطرة، وكان من أبرز بنود أجندتها، كما أسلفت تفكيك الأسرة المسلمة باسم تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل، وإخراجها من دائرة الفقر، والتسلط والقهر - بزعمهم - وضرورة مشاركتها في التنمية الاجتماعية الشاملة.

ولقد كرست قوى الغرب أو قوى العولمة جهودها باسم الشرعية الدولية، وتحت غطاء الأمم المتحدة، لتفرض قوانينها وقيمها وثقافتها الهابطة على الأمة الإسلامية، وترسم أدواراً جديدة لها.

ونتج عن هذه المؤتمرات توصيات ثم ما لبثت أن أصبحت قرارات ملزمة توصي جميع المشاركين على المستوى الرسمي والشعبي بإيجاد حلول ومخارج للمرأة خاصة في الدول الإسلامية التي لا زالت تحكمها عادات وتقاليد وأعراف نابعة من الدين الإسلامي الحنيف، وإلزام الدول بتنفيذ هذه القرارات حتى ولو أدى ذلك إلى مخالفة القيم والدين والأعراف والتقاليد والسلوكيات، والتي هي في نظرهم عوائق وقيود تمنع المرأة من المشاركة في التنمية، والنهوض بالمجتمع، وحتى ولو أدى ذلك إلى تغيير الأحوال الشخصية، بحجة أن المرأة تتعرض في هذه المجتمعات إلى أنواع من الظلم والقهر وتحجيم دورها، مع أنها يمكن أن يكون لها مشاركة فاعلة وإيجابية في التنمية البشرية، والنهوض بالمجتمع إلى مستوى أرفع مما هو عليه فيما لو شاركت في مجالات العمل مساواة بالرجل (كما يروجون له).

ومن هنا جاء تشكيل اللجان الوطنية والجمعيات النسوية لتقوم بالدور المنوط بها في تغيير حياة المرأة ورسم أدوار جديدة لها، ولتشارك في الدوائر الرسمية والشعبية ولتنخرط في مؤسسات المجتمع المدني، ومؤسسات الدولة، وتشجيعها على ذلك حتى تصل إلى مشاركة الرجل في صنع القرار، وكان لهذه اللجان دورٌ بارز في تشجيعها

على الخروج من بيتها ومملكتها ومكان عزها وصون عفتها وكرامتها وإشراكها مع الرجل مساواة وندية في كل أمر صغير وكبير وإقحامها في شتى مجالات العمل بدون أية ضوابط شرعية.

إنهم يريدون منها أن تخرج لتعمل في الحقل والنقل والمطار والمنجم والمطعم وحتى في الجيش والرياضة وغيرها من المجالات، المهم عندهم إخراجها وتشجيعها على ذلك إمعاناً في تفكيك الأسرة المسلمة المترابطة التي لا زالت تقوم بدورها في المجتمعات الإسلامية.

وتحاول قوى العولمة تغيير نمط الأسرة التي تعرفها المجتمعات الإسلامية لتطرح بدلاً منها مفاهيم جديدة للأسرة على شاكلة الأسرة الغربية.

وتأتي هذه الدعوات مغلفةً بشعارات براقة ومزخرفة تنطوي على كثير من الناس وما يستجيب لهم أهل الأهواء والمنحرفين وأبواق دعاة التحرر في البلاد الإسلامية والعربية، فتنطوي عليهم هذه الدعوات باسم حقوق الإنسان وحقوق المرأة كحقها في العمل [1] وحقها في المشاركة في العمل السياسي وحقها في الحرية الشخصية إلى غيرها من الدعوات المخالفة للقيم الإسلامية الثابتة والأعراف والعادات الحميدة والأخلاق الفاضلة.

ولكي تأتي خطط الغرب وقوى العولمة مُحَكَمة، فإنهم يسيرون بخطى مدروسة وهادئة ومتدرجة لتمرير ما يطمحون إليه متخذين شعارات لا تثير الانتباه ولا تحرك مشاعر المسلمين، فتحت عنوان الفن والأدب الخارج عن حدود الدين والخارج عن القواعد الموضوعية للأدب في حد ذاته كأسلوب لمعالجة قضايا أحوال المجتمع، حتى وصلوا بدعواتهم الماكرة إلى المحظور من خلال الكتابة للقصة والمسرحية والرواية والشعر الخارجة كما أسلفت عن نطاق القواعد الدينية والقواعد الأخلاقية.

وما هو إلا جيلان أو ثلاثة أجيال حتى وصلوا إلى المراد، من غير ردة فعل أو انتقاد، حيث كان يطرح المحظور في القصة أو الرواية بأسلوب الإعداد النفسي للمجتمع

---

(١) انظر: نبيل شبيب، المرأة التي يريدون، مجلة الشقائق الصادرة عن المركز العربي للكتاب والنشر، العدد (٤٨) جمادي الآخرة ١٤٢٢هـ، ص ٣٠، وخيري عمر: إبداع أم خروج عن الدين، عن مجلة الأسرة التي تصدر عن مؤسسة الوقف الإسلامي، هولندا، العدد (٨٥) ١٤٢١هـ، ص ٢٣.

[1]، أي بالتحايل المخادع للوصول إلى صاحب القيم الملتزم بها عن طريق الإدانة الظاهرية للموبقات من جهة والتعويد على الحديث عنها بدعوى انتشارها من جهة أخرى، ثم تمرير تلك (التبريرات) لمرتكبي تلك الموبقات من جهة ثالثة وإظهارها في موقع «الضحية» [2].

وهاهي المجتمعات الإسلامية قد وصلت إلى ما لم يكن بالحسبان من طرح تلك الموبقات على أنها علامة للرقي والتقدم وتصوير ضوابط القيم بالأغلال والقيود التي لا ينتهجها إلا متخلف عن الركب (أي ركب العولمة) كما يدّعون.

وبدعوى مسايرة قطار العولمة، كما يعبر مروجوها لا بد للمرأة المسلمة والعربية أن تحاكي المرأة الغربية، فتخرج لتعمل كسكرتيرة، وموظفة ومديرة تدير المؤسسة، وتتسلم المناصب المرموقة في الوزارة، وتدعو غيرها من منبر المؤسسة المدنية، كاللجان النسوية المنتشرة في البلاد الإسلامية والعربية.

كل ذلك لتتحرر المرأة ولتخرج من النمط القديم كأم أو زوجة أو بنت أو أخت، ولتخرج لتتساوى مع الرجل في كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتتشبه بالرجل في كل الأحوال وهذا ما حذرنا منه ديننا الحنيف وأمر بمخالفته، بل ورتب على ذلك أشد المقت وجعل ذلك جريمة تستحق اللعن والطرد من رحمة الله، فقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **"لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء "**[3].

وفي رواية: **"لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء الرجال"** [4].

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن هذا الحدث سيكون علامة من علامات الساعة، فقال عليه الصلاة والسلام: **«من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة»** فذكر الخصال

---

(١) خيري عمر إبداع أم خروج عن الدين المرجع السابق صـ٢٣..
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤.
(٣) انظر البخاري مع الفتح كتاب المغازى باب، إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت.
(٤) انظر البخاري مع الفتح باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال.

ومنها: «وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال» [1].

وهاهو الأمر يتضح جلياً ومشاهداً في عولمة المرأة، وتشجيعها على الاستخفاف بالدين والأعراف والقيم، من خلال تلك المؤتمرات التي سعت قوى الهيمنة إلى توظيفها كإحدى وسائل الدعاية والتأثير في تدويل نموذجها الحضاري، وإلى صياغة عقد اجتماعي جديد من خلال خلق وتشكيل أنماط اجتماعية تحاكي النمط الغربي بقيمه وسلوكياته ونظرته للإنسان والكون والحياة، بل تهدف إلى أبعد من ذلك إلى إعادة تشكيل مجتمعات العالم الإسلامي والعربي اجتماعياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً بما يتفق ومقتضيات النموذج الغربي [2].

صياغة المرأة من خلال السينما والمسرح:

لم تكتف قوى العولمة بإخراج المرأة من بيتها إلى العمل الشريف فحسب، بل حاولت أن تعيد صياغة المرأة من خلال السينما والمسرح والقصة والرواية والشعر والدعاية والإعلان والموضة وصناعة مستحضرات التجميل لتسلخها من إنسانيتها وكرامتها وعزها وشرفها، ولتجعلها هدفاً للريح، وغرضاً للأهواء وقضاء الشهوات، حتى تصبح إنساناً بلا تاريخ، وبلا ذاكرة، وبلا هوية وبلا وعي، وفي النهاية تأتي هذه المؤتمرات التي تسمى دولية تتحدث باسم المرأة وتدافع عن حقوق المرأة لتبيح ما لا تبيحه الأخلاق ولا العادات فضلاً عن الدين لتبيح المعاشرات الجنسية للأفراد خارجاً عن نطاق العشرة الزوجية، وتعتبر هذا حقاً للجميع حتى المراهقين والمراهقات، وتسمى الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، فأسمت الجنس (الصحة الجنسية، والصحة التناسلية) أي أن التمتع حق من حقوق الجسد ينبغي توفيره بأي شكل من الأشكال ولو كان خارج نطاق الزوجية.

وبعد هذا اجتهدت قوى العولمة من خلال الإعلام على إخراج المرأة المسلمة من ثوبها وعفافها وإلباسها ثوباً غريباً وغربياً لا يليق بها، ولا يتمشى مع عاداتها وتقاليدها،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية وهو عند أبي الشيخ في الفتن والديلمي انظر في ذلك حمود بن عبد الله التويجري في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ج٢/ دار الصميعي للنشر والتوزيع ط٢ ١٤١٤هـ ج٢/صـ١٣٥.

(٢) عمر عبد الكريم عن المجتمع الكونية العدد (١٣١٧).

وحاولت هذه القوى جاهدة مسخها أو مسخ هويتها، والعمل على فقدانها لذاكرتها التاريخية وثقافتها وحضارتها.

ولكي يصل الغرب إلى ما يريد تم تحويل المرأة إلى وسيلة للربح كما أسلفت فأصبحت عنصراً أساسياً في الإعلانات، فلا يخلو إعلان من وجود امرأة باعت جسدها بثمن بخس[1].

كما استخدمت المرأة أيضاً وسيلة للربح في دور الأزياء والموضة، وهكذا أصبحت المرأة المسلمة هدفاً من أهداف الغرب لتغيير النموذج الذي كانت عليه، ولترسم لها أدواراً أخرى ويخرجها عن طور ما خلقت له، وأنى له ذلك.

* * * * *

المطلب الثالث:
إعادة تشكيل أدوار البنية الاجتماعية

لما كان للثقافة دورٌ مهم وخطير في تمييز المجتمعات والأمم والشعوب، جعلت قوى العولمة من الثقافة هدفاً ملحاً لها في تغيير بنى المجتمعات وأدوارها، وجعلت من أهم خطاباتها الدولية ومن أبرز سياساتها الإعلامية الطرق على هذا الوتر الحساس والعرق النابض في الأمم والذي به تحيا هذه الأمم وتتميز عن غيرها.

لقد أدركت السياسة الأمريكية رائدة قوى العولمة أن للتغيير الثقافي شرطين أساسين فعملت على تهيئة الأجواء المناسبة لهذين الشرطين [2]ومهدت السبل لانطلاقهما:

وينطلق الشرط الأول من مقولة: " إن كل ثقافة إنسانية هي كلٌ متكامل " فإذا كان لابد من التغيير فيجب العمل على تحويل أي مجتمع له ثقافة، من نمطه الكلي المتكامل، إلى نمط جديد كلي ومتكامل أيضاً.

وإذا فلا بد من السعي لهدم قيمه ومبادئه حتى لا تبقى ملامح، لما كان يعتز به من ثقافة، فيسهل على الغازي وضع أسس جديدة لثقافة جديدة، وتصميم شكل جديد تكون عليه تضاريس وطقوس وأدوات فتك بالثقافة الماضية لمن تحدثه نفسه لينبري لشنها

(١) انظر هنا مجلة أنسام دورية تصدرها عن الاتحاد النسائي العالمي ٢٠٠٠/٢٠٠١ صـ١٩.
(٢) انظر د. مقدادي، العولمة - رقاب كثيرة وسيف واحد، ص ١٣٧، مرجع سابق.

وإحباطها من جديد.

الشرط الثاني: يرى الساسة الغزاة أنه لا بد من تداخل هذه المجتمعات بالوافد الغازي طوعاً أو كرهاً ولا بد من تشابك العلاقات الاقتصادية والسياسية حتى يصبح الهدف في إطار الجذب المغناطيسي كي يكتسب شحنات الغازي وموجاته ويسير وفق الخطوط المرسومة والعوامل المؤثرة[1].

وتسعى قوى العولمة لتفريغ المجتمعات من محتواها وجوهرها ثم تفكك لحمة تلك المجتمعات بإدخال عناصر تفكيك خاصة مما لا يتوفر لتلك المجتمعات أصلاً وليس لها وجود في ثقافتها كالديمقراطية وحقوق الإنسان كما يريدها الغرب والنداء بالحريات الشخصية، والتدخل في شؤون الأسرة، والولادات وتنظيمها بما يسمى الصحة الإنجابية، وحمى حماية البيئة بالتصور الذي يسير عليه الغرب متجاهلاً خصوصية الشعوب وثقافاتها وعقائدها وعاداتها.

المركبات الفضائية تنفث سمومها:

وتستخدم لتعزيز وجود هذه العناصر أساطيل وجيوش المركبات الفضائية المحملة بالأقمار الصناعية بعضها لبث سموم وأفكار الغازي وبعضها للتجسس والتصنت وكشف البؤر التي لها إحساس وطني رافض لأي هيمنة [2].

فينبهر السذج والجهلاء تباعاً للنخب الفكرية العملاء الذين تشبعوا بثقافة الغازي في بلاده حين هيأ لهم الجو فاستقدمهم كبعثات تعليمية ودراسات عليا.

ويلتقط عددا لا يستهان به ما يرسل إليه عبر أطباق الأقمار الصناعية، ووسائل الاتصالات الحديثة، والتقنيات المتقدمة، ليسهل بعد ذلك غزو هذا المجتمع واستعماره باسم التجديد وباسم اللحاق بقطار العولمة.

ويدرك مروجو العولمة أن السيطرة على المجتمعات تتطلب استخداماً فنياً مكثفاً وموجهاً لأدبيات الثقافة الموجهة [3]، ويحاولون ابتداءً تجنب التشنجات واستخدام العنف

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٩.

مستفيدين من تجاربهم السابقة حيث لم يعد للحملات العسكرية جدوى.

لذلك يلجأون إلى نسف المعتقدات، وغسيل الأدمغة، بالتركيز على الإعلام بشقيه السمعي والبصري وتقويض الفكر بإدخال الشكوك إلى ثوابته، كي يتسنى للغازي الدخول بسهولة، وللمجتمع القبول بكل ما هو قادم إليه ليملأ فراغه [1]. ثم استخدمت قوى العولمة كافة وسائل التضليل الجماهيري بحنكة وذكاء ومكرٍ ودهاء لترويج ثقافتها فروجت لمسميات ومصطلحات مصدرة كثيرة منها ما يسمى بالمواطنة العالمية وجعلت ذلك من صميم العولمة والانضمام إلى قطارها السريع، وأشاعت في وسائلها الإعلامية مسألة الانتماء العالمي وأن الوطن لم يعد في نظرها هو الوطن المحلي (القبلي)، أو المجتمعي أو القومي، بل أصبح الارتباط بالوطن لا يشكل أهمية بالغة في ارتباط بماض لم يعد يجلب نفعاً لا يدفع ضرراً وأنه ينبغي عدم الارتباط به، والانتقال منه والانطلاق إلى حيث الحياة المترفة والعيش الرغيد، والحياة الآمنة المطمئنة خارج الوطن وخارج الحدود وأصبح الانتماء إلى القبيلة عائق في طريق العولمة والانطلاقة الكبرى نحو السعادة والرخاء [2].

بمثل هذا الخطاب المدغدغ للعواطف روجت العولمة وتروج لمسخ القبيلة وتفكيكها وإذابتها، في ارتباط بالماضي والتأريخ البائد العتيق الذي قد انتهى ووصل إلى نهايته عندما انتصرت نظرية الرأسمالية على النظرية الاشتراكية بحسب فوكوياما الذي أصدر بذلك مقالاً أذاعته ونشرته قوى العولمة معتبرة إياه بمثابة المبرر النظري لتقديم نظام الرأسمالية والليبرالية الجديدة، وعلى أنه المخلص الأخير للإنسانية بعد سقوط النظام الشيوعي.

العولمة تُحيي النعرات وتغذيها:

وبغير إدراك عملت ثقافة العولمة على إحياء النعرات وتغذيتها وأججت الانتماءات القبلية والطائفية والجماعية أو زادت في تأججها، واختراق هذه الحصون سيفضي إلى عدم الاستقرار وإلى الاحتكاك، والصدام بين الجماعات الإثنية والعرقية، وبين كافة الانتماءات بجميع أُطرها، وهذا بالطبع لا يخدم قوى العولمة البتة، لأنها تنشد الاستقرار

(١) المرجع نفسه، ص١٣٩

(٢) انظر د. مهدي امبيرش سقوط أطروحة نهاية التاريخ (لفكوياما) عن مجلة الشاهد (١٨٢) السنة الخامسة عشرة، تموز تشرين الأول، ٢٠٠٠م، ص ٧٠.

حتى يتاح للسلع والخدمات أن تصل إلى أكبر عدد من المشترين بيسر وسهولة [١].

لهذا تعتبر قوى العولمة الإطار القبلي عائقاً كبيراً وسداً منيعاً أمامها كما هو الشأن في الأطر الأخرى كالطائفية والعرقية والجماعية وغيرها من الأطر، حيث إنها كلها مشدودة بقوة إلى الماضي ومنتمية إليه الأمر الذي يقودها إلى عدم الرضا عن أي تاريخ جديد!! لذا تسعى قوى العولمة إلى تحطيم خنادق وإطارات القبلية والطائفية والجماعية والعرقية والإثنية في سبيل تحقيق مصالحها وضمان حرية السوق فيها.. ومن ثم فإن ضرب مصالح النخبة التي تغذي وتحفظ إطار القبيلة والطائفية... إلخ مسألة مشروعة لدى قوى العولمة وكذلك فإن ضرب مصالح الدول التي تصدر هذه الثقافات المضادة لثقافة العولمة يكون أمراً مشروعاً[٢]، وهذا هو قانون الغاب سواءٌ بسواء فالبقاء للأصلح وللأقوى وللأسرع ولمن يمتلك الأكثر.

ولأن ثقافة العولمة تظل في كل المجتمعات محتكرة لدى فئة قليلة، وهم النخب والمترفون، والقادرون على شراء منتجاتها، من هنا تظل القاعدة العريضة من المجتمعات المتحصنة بحصن القُبَل والطوائف والعرقيات والإثنيات، غير قادرة على التكيف أو التعامل مع قوى العولمة وثقافتها وبالتالي ستصطدم معها ومع من يتعامل معها.

وإذاً فلا تجني الدول منها إلا الفرقة والشتات والحروب الطاحنة التي تأكل الأخضر واليابس، وما مقولة (صدام الحضارات) في نهاية القرن العشرين إلا تعبير عن حتمية هذا الصدام وأن الغلبة محسومة مسبقاً لصالح الأقوى وهو الغرب [٣].

ومن هنا فإن ثقافة العولمة تروج للتطبيع العالمي فلا انتماء للوطن أو القوم أو الدولة مستخدمة أحدث وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة للتغيير، واضعة أمامها خطة لغزو العقول، وتمييع السلوك، واستبدال القيم، بإبعاد المجتمعات خاصة الإسلامية عن واقعهم الاجتماعي، وسلخهم من ماضيهم المجيد، واختراق هوياتهم الثقافية، وتعميم

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٢) انظر د. مهدي امبيرش سقوط أطروحة نهاية التاريخ (لفكوياما) عن مجلة الشاهد (١٨٢) السنة الخامسة عشرة، تموز تشرين الأول، ٢٠٠٠م، ص ٧٠.

(٣) انظر أسامة عبد الرحمن، النفط والقبيلة والعولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٥٣ وما بعدها.

ثقافة لا تنتمي إليهم بأي حال، ثقافة القيم الاستهلاكية الترفيهية التافهة [1]، وإذا انسلخت أمة من ماضيها التليد، ولم تجعل منه منطلقاً لها في الحياة، واعتبرت الحاضر قوة فعالة يضمن لها وجودها وحضورها، فقد اختارت الزوال.

وهذه الأمة (الإسلامية) لا يمكن أن يكون لها ذكر بين الأمم إلا بما اختاره الله لها كنظام وسفينة نجاة تقود الحياة برمتها إلى بر الأمان، ففيه ذكرها وعزها وشأنها وسؤددها مصداقاً لقوله تعالى:{لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [2] وقوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [3].

ومن هنا فقد حرصت قوى العولمة في خطابها الصادر عن المؤسسات المالية والاقتصادية العملاقة أن تثبت قناعة لدى العامة في مجتمعات البلدان النامية، أن أقصر طريق للوصول إلى أقصى درجات النجاح في الأداء الاقتصادي والمؤدي إلى التقدم والرقي يمر عبر الفراغ الذي ينجم عن تهميش ثقافتها البائدة [4]، خاصة الثقافة الإسلامية التي من صميم تعاليمها أن الغاية لا تبرر الوسيلة مهما كانت هذه الوسيلة، ولا بد أن تكون شرعية خالصة وأن الحرية تقف عند عتبة العبودية لله سبحانه وتعالى إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة والسلوكيات النبيلة السامية.

قوى العولمة ترفض الماضي:

فإذا أرادت هذه المجتمعات النجاح والرقي بحسب دعوى ثقافة العولمة، فلا بد من الانسلاخ التام من الماضي المنصرم الميت، والارتباط بالحاضر الفعال حاضر العولمة المشرق الوضاء - بزعمهم - الحاضر الذي (انتهى) إليه التاريخ بحسب نظرياتهم! وهل للتأريخ نهاية غير النفخ في الصور عند قيام الساعة؟! والحقيقة أن هذا الخطاب الموجه إلى الأمم بشكل عام وإلى الأمة الإسلامية بشكل خاص ليس الهدف منه إلا سلخ هذه الأمة عن ماضيها وتفكيكها وتقطيعها وإغراءها بالشهوات والملذات ليسهل على قوى

(١) انظر د. ماجد شدود، العولمة مفهومها وأهدافها، ص ١٣٠، مرجع سابق / وانظر العرب والعولمة لمجموعة من الباحثين، مرجع سابق

(٢) الأنبياء آية ١٠.

(٣) الزخرف آية ٤٤.

(٤) انظر د. محمود مقدادي، العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص١٢٧

الاستعمار المتمثلة بقوى العولمة ابتزازها واستعمارها ونهب خيراتها كما هو حاصل الآن وإلا فما الثقافة التي تدعو إليها قوى العولمة؟!

إنها ثقافة الاستهلاك وإشباع الغرائز والشهوات، ثقافة ذات طبيعة حسية دنيوية وتجريبية، مثيرة للغرائز والشهوات، ثقافة الصوت والصورة والمتعة والحياة الزائفة، ثقافة تدعو إلى حياة هي أقرب إلى حياة الحيوان منها إلى حياة الإنسان المكرم بالعقل والعبودية لله، ثقافة تدعو إلى الحياة الدنيئة الرخيصة كحياة تمتع واقتناص قبل فوات الأوان، فلا تفكير في الآخرة، ولا حساب للعواقب سواء الدنيوية أو الأخروية إنها حياة البهائم والأنعام وصدق الله حيث يقول:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}(١).

إنها دعوة إلى اتخاذ الهوى إلهاً والشهوة معبودة والحياة متعة وفرصة، وقد حذرنا ديننا الحنيف من هذه الحياة فقال تعالى:{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً}(٢).

إذاً فماذا تريد قوى العولمة من إعادة تشكيل المجتمعات:

الحقيقة واضحة للعيان إنها تريد من المجتمعات أن تعيش نمط الحياة الغربية، فلا مكان بعد للدين، ولا مكان للعلماء الناصحين، ولا مكان للقبيلة المتمسكة بثقافتها، بل الحياة في نظر العولميين الخاصة بالعالم الثالث بعد أن أفسدت عقولهم، هي حياة الاستهلاك وإشباع الغرائز البهيمية، وثقافة الصوت والصورة، ومتابعة الموضة أولاً بأول، وثقافة الأفلام الداعرة والداعية إلى الانحطاط والانغماس في حمأة الرذيلة، ثقافة التربية والبرامج المسلية والقصص الملهية، ثقافة المنفعة والمصلحة والركض بقوة وبأقصى سرعة وراء كل رخيص تافه وحقير.

إنها ثقافة تدعو إلى الانسلاخ من الدين والقيمة والأخلاق الفاضلة وتدعو إلى نبذ الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع، وتشجع على الانطلاق إلى الحرية الفردية، وتكوين

---

(١) محمد آية ١٢.
(٢) الفرقان، آية ٤٣، ٤٤.

الشخصية المستقلة بذاتها، لا بمجتمعها، ولا بدينها، وإلى الارتباط بالانتماء الخارجي والاستنارة بهدى العولمة! وبدين العولمة الجديد، دين الحرية المطلقة من كل قيد وعناية، دين الرفاهية والمتعة والشهوات....

وهكذا تعمل قوى العولمة على تفكيك الروابط الاجتماعية بين القمة والقاعدة بين القمة الممثلة بالعلماء المستنيرين بنور الشرع، والقاعدة الممثلة بالمجتمعات على مختلف طبقاتها ومستوياتها.

وتعمل قوى العولمة على أن تجعل من الحكام خدماً لها وشُرَطاً يحرسون مصالحها باسم العولمة والاندماج والانفتاح الاقتصادي والأسواق الحرة إلى غير ذلك من دعاويها اللامنتهية، وتصور العلماء رموزاً للتخلف والانحطاط والدروشة والتبرك، إن لم تشوه سمعتهم وتلصق بهم سائر التهم وتضعهم في الريب والشك، وتعمل جاهدة على تنحيتهم عن قيادة دفة المجتمعات وإبعادهم عن مجال السياسة والحكم، وتروج على أن أحسن مكان لهم محاريب الصلاة ودور العبادة، فهم ليسوا من ذوي الحنكة والخبرة في قيادة المجتمعات، وليس هذا من قبيل الادعاء والاتهام للعولمة، فالواقع خير شاهد على ذلك، فأين علماء المسلمين في طول البلاد وعرضها؟ أين موقعهم؟ وأين مكانتهم؟!

* * * * *

المبحث الخامس:
الأدوات الإعلامية

توطئـــة:

يعتبر الجهاز الإعلامي أخطر أدوات السيطرة في يد النظام العالمي اليوم، وأصبح الصراع الحضاري بارزاً وظاهراً في مجال الإعلام، وأصبح التمكن من امتلاك الشوكة الإعلامية بكل لوازمها يضمن الغلبة الثقافية التي تعتبر ركيزة التفوق الحضاري، ذلك أن الإعلام بقدرته على الامتداد والاختراق ألغى الحدود الجغرافية والسياسية للدول وتجاوز كل المعوقات، وأخذ بحواس الإنسان حتى أصبح يرى ويسمع العالم من مكانه[1].

(١) عمر عبيد حسنه مقدمة كتاب في الغزو الفكري للدكتور أحمد السايح سلسلة كتاب الأمة (٣٨) الصادر

إنها معركة محتدمة تتمركز في الوسائل الإعلامية من ناحية والمضامين والبرامج من ناحية أخرى إنها حرب الهواء أو حرب المحطات الهوائية [1].

قوى العولمة والسيطرة على جهاز الإعلام:

ولهذا فقد أدرك قادة هذا النظام ومروجو العولمة مقدار هذا الخطر، فسيطروا على كافة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، فهي تعرف لذلك أهم أدوات العولمة التى تستخدم للاتصال المباشر بالمجتمعات والشعوب، وهي بمثابة المصانع أو المكنات التي تنتج عملية التغريب.

فالفيض الإعلامي الواسع والمتدفق بشكل مكثف ومتواصل، حيث لا يتوقف ساعة من ليل أو نهار، إنما هو بمثابة المؤسسة التعليمية التي يتلقى العالم كله تعليمه فيها، وهي لا تحتاج كبير عناء، فهي ميسرة لجميع قطاعات الشعوب وشرائحها فالكل يقف أمامها موقف المتعلم المستسلم المتلقي من غير ما جهد ولا تعب، فهي مشرعة أبوابها في كل وقت وحين وفي كل مكان، بل إن المرء ليتلقى هذا التعليم وهو في غرفة نومه مستلق على ظهره، فهي لذلك مؤسسة تشكيل ثقافي مستمر، بما يمتلك هذا الإعلام من إمكانيات فنية متطورة مستخدمة الصورة والصوت والضوء واللون واللباس والزخرفة والبريق واللمعان للتسلية والترفيه إلى جانب التنوع والتفنن بالمواد الإعلامية [2] المقدمة للجمهور المستسلم المنقاد، وهي مزدحمة بالفقرات الإعلامية المتنوعة والتي باتت تغطي كل المساحات وتملأ كل الأوقات ومن هنا أصبح الإعلام من أهم وأخطر وسائل العولمة لغزو العالم فكرياً وتشكيلهم ثقافياً، وبات الإنسان بشكل عام مرتهن اليوم لوسائل الإعلام وواقعاً تحت رحمتها في تكوين آرائه وبناء ثقافته وتشكيل نظرته إلى العالم [3].

* * * * *

عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية قطر ط١ ١٤١٤هـ صـ١٩، وانظر د. مالك بن إبراهيم الأحمد العولمة في الإعلام من البيان (١٤٨) صـ٤١.

(١) انظر إياد شاكر البكري عام ٢٠٠٠م حرب المحطات الفضائية دار الشئون ١٩٩٩م صـ٢٢٤.

(٢) نفس المقدمة صـ١٩.

(٣) أحمد عبد الرحيم السايح - في الغزو الفكري - كتاب الأمة رجب ١٤١٤هـ صـ١٩.

المطلب الأول:
الفضاء الإعلامي المفتوح

إنه يمثل ذلك السيل الجارف من الإعلام المنقول عبر الفضائيات المرتبطة بالأقمار الصناعية المنتشرة في الفضاء وهي تحت السيطرة واستحواذ الدول الغربية وفي مقدمتها أمريكا، وبهذا يكون الإعلام قد دخل طوراً جديداً ولم يعد محصوراً كما كان في السابق بل تخطى الحدود وتجاوز كل وسائل الرقابة [١].

ولما كانت العولمة ترتبط ارتباطا وثيقاً بالتطور الإعلامي والتقدم الاقتصادي وعملية الرقمية (Digitapl) في نقل الصوت والصورة والكلمة حسمت الأمر في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفضت التكلفة مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالمياً، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة (Fibers) في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات، وبدرجة نقاء عالية، وبوقت قصير حول العالم، وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شبكات الاتصال وشركات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظراً للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف [٢].

ويتعرض العالمان العربي والإسلامي من خلال هذه الفضائيات إلى حملات إعلامية ثقافية تتصف بدرجات عالية من التنظيم والشمولية، في عملية غزو شامل على فضاءات مفتوحة دونما سيطرة أو ترشيد، بإدخال البشرية بمعزل عن الأيدلوجيات التي تحكمها، إلى عصر حضارة الصورة والتلاعب بالزمان والمكان وأصبح الإعلام - خاصة المرئي منه - هذه الأيام ليس رافدا من روافد الوعي البشري العام، وحسب، بل أداة حادة تستخدمها القوى العظمى من أجل حشد الرأي العام الدولي بغية شرعنة سلوكها، بصرف النظر عن هذا السلوك وأهدافه ومراميه وخلفياته [٣].

وبحسب رأي هربرت شلر إذ يعتبره سلاح هام يتقدم السيطرة على الشعوب ويمهد لإخضاعها فيقول: «إن السيطرة على البشر وعلى المجتمعات تتطلب في الوقت

---

(١) د. مالك إبراهيم الأحمد العولمة في الإعلام عن البيان (١٤٨) صـ١١٩.

(٢) د. مالك إبراهيم الأحمد العولمة في الإعلام، المرجع السابق، ص١١٩، وانظر إياد شاكر حرب المحطات= =الفضائية، ص٢٢٣ وما بعدها.

(٣)بحث غير منشور ولا زال أوراق.

الحاضر وقبل أي شيء الاستخدام الموجه للإعلام، فمهما كان جبروت القوة التي يمكن استخدامها ضد شعب ما، فإنها لا تفيد على المدى البعيد إلا إذا تمكن المجتمع من جعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل إن لم تكن جذابة بالنسبة لهؤلاء الذين يسعى لإخضاعهم، فالحالة الشعورية لسكان بلد ما لها دورها الملموس في تحديد سلوكهم الاجتماعي ونهجهم الثقافي».

حرب المحطات الفضائية:

وعلى هذا فهي حرب فعلاً وتسمى حرب الهواء أو حرب المحطات الفضائية بحسب إياد شاكر، ولمعرفة أبعاد هذه الحرب التي هي اقتصادية بالضرورة لا بد من معرفة أن (٦٥٪) من الاتصالات في العالم تصدر من الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الأقمار الصناعية، وأن (٧٥٪) من السوق الحالي للاتصالات تحكمه بـ (٨٠) شركة متعددة الجنسيات، ومع العلم خمس شركات متعولمة كبرى تمسك بزمام (٤٠٪) من مجموع المبيعات في مجال الصناعة وتمسك بزمام (٤٠٪) من مجموع المبيعات في مجال الصناعة الإعلامية [١]، ولا عجب أيضا إذا علمنا أن هناك حوالي (١٢٠) وكالة إعلامية دولية منها (٣٠) وكالة أمريكية لها قرابة (٢٠٠) فرع توكيلا في العالم العربي وحده، وميزانية هذه الوكالات وحدها تعادل الميزانية المخصصة للتعليم في البلاد العربية والإعلام الغربي مما قد يمثل أكثر من (٩٠٪) من الإعلام العالمي[٢].

ومن هنا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستولي على الاتصالات العالمية فضلاً عن سيطرتها على إنتاج مراكز العقول الإلكترونية في أوروبا بأسرها حيث أن ثلاثة أرباع المعدات المستخدمة حاليا هي أمريكية وتأتي أوروبا في المرتبة الثانية في هذا المجال.

لذلك فإن ميدان البث التلفزيوني الفضائي تهيمن عليه الدول الصناعية الكبرى وفي مقدمتها أمريكا، ولهذا فقد تعززت قبضتها على آلة الإعلام العالمية بشكل عام والعالم

---

(١) إياد شاكر البكري: حرب المحطات الفضائية، دار الشروق، ط١٩٩٩م، ص ٢٤٤، عبد الحي زلوم نذر العولمة صـ٣٣٧.

(٢) علي محمود العاندي الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سلسلة دراسات استراتيجيته (٣٥) أبو ظبي ط١ / ١٩٩٩م صـ١٠٣وأنظر د. ماهر عباس جلال الاستعمار النفسي في ثوبه الجديد عن البيان (١٦٣) ربيع أول ١٤٢٢هـ يونيو ٢٠٠١م صـ١٢٠.

الإلكتروني بشكل خاص، رافضة توحيد الجهود العالمية في هذا المجال وموسعة نطاق البث الخارجي عبر المحطات التلفزيونية الفضائية، فالغرب وأمريكا يتصارعان لربط الدول النامية بأنظمتهم التلفزيونية والدولية، ولا شك فإن النجاح إلى الآن هو حليف الولايات المتحدة الأمريكية وتأتي بعدها المملكة المتحدة، ثم فرنسا ثم ألمانيا وقد أولت أوروبا الصراع الإعلامي بينها وبين الولايات المتحدة أهمية كبيرة، حتى لقد أشرف الرئيس الفرنسي السابق (فرانسو متران) على اجتماع لقادة دول السوق الأوروبية لدراسة مشروع خطة إعلامية موحدة لمواجهة الإعلام الأمريكي [١].

ولم يقتصر الصراع على أوروبا وحدها لكن امتد إلى الوطن العربي وبشكل سافر، ولعل أبسط الأمثلة على هذا الصراع بحسب إياد شاكر في حرب الفضاء: هو ذلك الصراع الدائر بين المحطات الفضائية حول الوطن العربي الذي حدث بين اثنتين من كبريات محطات التلفزيون في العالم حيث ادعت كل من محطة (السي بي سي)، ومحطة (كوردبورويشن) البريطانيتين أحقيتهما في احتكار البرامج والإعلانات الموجهة للوطن العربي وشاركت بريطانيا عندما عبر وزير خارجيتها السابق (دوغلاس هيرد) عن أهمية الغزو الفضائي بقوله: (إن المعركة الفكرية هي التي ينبغي خوضها وتحقيق النصر فيها)[٢].

ولا بد من مواجهة هذه المعركة، ومحاربة القنوات الفضائية فنحن أحق من غيرنا في هذه المواجهة؛ لأنها حرب على ديننا وفكرنا وثقافتنا؛ ولأنها تريد التهام خيرات أمتنا ومواردها بعد زعزعة عقولنا، بفكرها، ويؤكد أحد المتخصصين العرب هذه الفكرة فيقول: (لابد أن تحارب القنوات الفضائية الوافدة حيث أنها أصبحت أمراً واقعاً لا مفر منه) [٣].

* * * * *

(١) انظر إياد شاكر حرب المحطات الفضائية صـ٢٢٦ مرجع سابق.
(٢) انظر إياد شاكر حرب المحطات الفضائية صـ٢٢٨ مرجع سابق.
(٣) انظر إياد شاكر حرب المحطات الفضائية صـ٢٢٨ مرجع سابق.

المطلب الثاني:
الإذاعة

تعتبر الإذاعة من أهم وسائل الاتصال الدولي المعاصر، وهي في الأهمية تتلازم مع غيرها من وسائل الاتصال الأخرى، ومن حيث الترتيب الزمني فهي وسيلة اتصالية إلكترونية ظهرت في العالم في العشرينات من القرن الـ ٢٠، ومع أن التلفزيون قد أبدى تفوقاً ملموساً عليها في أواخر القرن العشرين لكنها لا زالت تمارس سلطتها ونفوذها وقدرتها على تخطي الحواجز الجغرافية الطبيعية والسياسية وتصل إلى كافة فئات المجتمع بمختلف شرائحه ومستوياته الثقافية والعلمية حيث يمكن للجميع حيازتها واقتناؤها لرخصتها وخفة حملها، ومن ميزاتها أنها تصل عبر الأثير إلى أقصى بقعة في الأرض وأغورها فلا يحجزها حاجز ولا يردها مانع تنقل الأخبار والأحداث فور وقوعها؛ لذلك نجد الكثير والكثير من فئات المجتمعات يتابعها ويحاول التقاط موجاتها العاملة بمختلف موجاتها للحصول على أحدث الأخبار وأكبر كمية من المعلومات، وللاستمتاع بحلو صوتها وما تبثه من مختلف البرامج حتى أضحت مرتبطة بالأقمار الصناعية في إرسالها مستخدمة أحدث وسائل الاتصال ميكروويفية أو سنتميترية، وأصبحت تغطي كل بقاع الأرض من غير أي تشويش. (١)

ولما كان للإذاعة هذه الأهمية البالغة حرصت كثير من الدول الكبرى ذات التأثير الخطير في السياسة الدولية أن توجد لها إذاعات دولية تنقل من خلالها لغتها وثقافتها وقيمها وسلوكها وسياستها إلى خارج حدودها الوطنية لتصل إلى أكبر عدد من المستمعين داخل البلاد وخارجها ترويجاً لأفكارها وعرضاً لقضاياها من وجهة نظرها، ومن خلال هذه الإذاعات تنقل القضايا العالمية وتوجهها كل دولة التوجيه الملائم لها.. وتقدم الأخبار العالمية تقديماً يناسب مصالحها، ومن خلالها كذلك تساهم في إيجاد الروابط بينها وبين الدول التي تبث إليها.

وقد لعبت كثير من الإذاعات الدولية دوراً بارزاً في هذا المجال منها على سبيل المثال إذاعة أوروبا الحرة التي كانت تبث برامجها إلى أوروبا الشرقية حتى سقط حائط

---

(١) انظر: مجد الهاشمي: الإعلام الدولي والصحافة عبر الأقمار الصناعية، دار المناهج للنشر والتوزيع ط١/٢٠٠١م، عمان، ص ٥١، ٥٢.

برلين [1].

ولا يخفى وزن وشهرة إذاعة (بي بي سي) في العالم فهناك إجماع على دور هذه الإذاعة في نشر الرؤية الإنكليزية، وأخطر وأبعد من ذلك الرؤية الغربية للعالم.

ثالثاً إذاعة فرنسا (آر آ في) فهي تمثل صوت فرنسا في الخارج وتمتع هذه الإذاعة بميزانية خاصة يتم التصويت عليها من البرلمان وتوظف ٢٧٠ صحفياً وهي بحسب عدة وحدات عمل تسهر على تحضير الأخبار والبرامج التي تبث بثماني عشرة لغة حسب الرؤية الفرنسية للأخبار [2].

ولم يقتصر استخدامها في نقل ذلك كله على موجات الميكروويف أو السنتيمتر بل تخطت إلى استخدام الرقمي " Digetal ".

ومن هنا فقد أحدثت هذه النقلة التقدمية تطوراً لم تشهده وسائل الإعلام من قبل، وأصبحت الإذاعة جاهزة للتعامل مع القرن الجديد، قرن ثورة المعلومات أو قرن العولمة القرن الـ ٢١.

ومن المتوقع أن تقوم إحدى الشركات البريطانية (B. T) بالاشتراك مع شركة (BANASONIC) اليابانية في إنتاج أجهزة متطورة تتوافق مع الهواتف المحمولة، وتحمل هذه الأجهزة أنواعاً من الموسيقى والأغنيات الماجنة بالصوت والصورة أو تسجيلها من الإنترنت في مسجل استريو مباشرة، ويحل بذلك الجوال محل الراديو والتلفاز فيما يشغل أوقات الشباب والفتيات ويضيع ويهدر جزءاً كبيراً من أعمارهم.

* * * * *

(١) المستقبل العربي، ٢٤٣، ص ٢٨.
(٢) انظر: المستقبل العربي ٢٤٣، ص٢٨.

المطلب الثالث:

التلفزيطون

أصبحت المعلومة في هذا العصر المسمى بعصر انتصار المعلومات من أهم عناصر إنتاج السلع والخدمات [١].

ولما كان جهاز التلفزيون من ألصق الأشياء بحياة الناس فهو يحل في البيت كأحد أفراد الأسرة، بل هو جليسها ونديمها، ويتحلق الجميع حوله الصغار والكبار والنساء والرجال ويمضون معه الساعات الطوال آناء الليل وأطراف النهار [٢].

فهو لهذا أقدر شيء على التأثير التوجيه والتغيير في الناس أفراداً وجماعات، فهو ينحت ليل نهار في عقول وأفهام وآراء الناس لتشكيلها، ولإرساء قيم ومفاهيم مخالفة لما عليه مجتمعاتهم من قيم ومفاهيم أصيلة، ويعمل خلال هذه الساعات والأوقات أيضاً بنشاط غير منقطع، لتغيير أنماط حياة الناس وانحراف سلوكياتهم وزعزعة أفكارهم ومعتقداتهم وعاداتهم، بل وإحلال محلها أفكار وعادات وتقاليد وسلوكيات أخرى تخدم في النهاية الشركات المسيطرة على وسائل الإعلام العالمي، التي ليس لها هم إلا الربح والربح فقط، ومن هنا فقط خضع البث التلفزيوني بوصفه وسيلة من وسائل الإعلام لقواعد السوق والاقتصاد مما أدى إلى عولمته، فدأبت الشركات العملاقة العابرة للقارات تبحث عن أسواق لتسويق السلعة الإعلامية. فهي أخطر وسيلة تروج لها العولمة بل هي الأداة الرئيسية لها، حيث أنها ترتبط بالأنساق الثقافية والحضارية وتسعى لتغيير أنساق وحضارات الأمم الأخرى لصالح أرباب هذه الشركات ومواطنها الأصلية.. أي لصالح الحضارة الغربية[٣] أو بالتحديد لصالح أكبر منتج للسلعة الإعلامية وهي بالطبع أمريكا.

التلفزيون وإشاعة الأخلاق الأمريكية:

ومما يجدر ذكره أن الإعلان في الوسائل الإعلامية عموماً بشكل الوسيلة الأساسية لتغيير أنماط الاستهلاك بين الناس ويتخذ كذريعة لإشاعة الأخلاق الأمريكية والغربية بين شباب المجتمعات الإسلامية، وتعتبر هذه الدول هدفاً رئيسياً للإعلام الغربي فهو

---

(١) علي الدين محمد - الإعلام الدولي والقضايا الإسلامية، السنة، العدد (٨٣) سنة ١٤١٩هـ صـ٣٩

(٢) تقريظ على بحث المقدم، لمجلة المنتدى محمد يوسف النهاري: التلفزيون وتدمير الاحتراق، العدد (٢٩)، ص ٦١.

(٣) علي الدين محمد - الإعلام الدولي والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص ١٣٩.

حين يصدر السلعة الإعلامية إلى العالم كله، بما فيه العالم الإسلامي، فإن الإعلان والأفلام - المتنوعة كوسيلة من وسائل الترفيه - التي تنطوي عليه هذه السلعة هما من أهم صادرات الدول الغربية حيث تجني من ورائهما الأرباح الطائلة خاصة في بلادهم وفي أسواقهم. ولكن تسهيلاً للدول العربية والإسلامية فإنه لا يؤخذ منهما إلا سعر التكلفة ويكتفون بإشاعة الأخلاق الغربية بين المسلمين وأما الأرباح التي تجنيها هذه الشركات فإنها تأتي من الأسواق الداخلية للبلاد الغربية ككل[١].

التلفزيون والإعلانات:

إن الإعلانات التي تبثها وسائل الإعلام الغربي في ظل التقدم الهائل والتطور التكنولوجي والاتصالاتي المذهل، وانتشار الأقمار الفضائية الكثيرة في الفضاء ودخول هذه البرامج (الإعلانية) إلى كل بيت، بل إلى كل غرفة نوم من غير كبير عناء ولا خسارة مادية تذكر باتت تشكل سوقاً واحدة في العالم كله، وتنشئ إنساناً واحداً كونيا لا وطن له ولا إنتماء، إنه إنسان السوق أو الإنسان الاقتصادي [٢] حيث لا همة له إلا في الحصول على النفعية (البرجماتية) وإشباع الغرائز وترفيه الجسد.

إن المتأمل إلى ما يجري عولمته بحق خلال العشر سنوات من القرن المنصرم في هذه الشاشات، لا يستطيع أن يرى أكثر من إعلان ترفيهي تافه لا يهتم إلا بسفاسف الأمور، ولا يخص إلا شرائح النساء والشباب وهذا يسهم في تحطيم قيم الشباب المسلم وإبعاده عن دينه ومبادئه أولا يمكن أن يرى غير دعوة إلى النمط الحياتي الغربي، أو أغنية ماجنة أو قصة مسلية أو! أما الإعلانات فإنها لا تعدو أن تكون حول مستحضرات التجميل، والمنظفات الصناعية، والمشروبات الغازية، والأطعمة ذات الوجبات السريعة، وآلات الموسيقى، والرياضية، الأمر الذي يجعل من الشباب المسلمين وشاباته قوماً مترفين ينفخ في روعهم الولوع بالرقص والطرب والمجون والاستهتار بالقيم ويزين لهم الفنانة العاهرة، وتجعلهم صرعى الغواني والغانيات، ويولد منهم مرض تحطيم القيود والأخلاق الإسلامية[٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٠.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠.
(٣) المنتدى العدد ٦٢ صـ٦٢. الأستاذ. محمد يوسف النهاري التلفزيون وتدبير الأخلاق عن المنتدى= =اليمنية - تعز - العدد (٦٢) ص٦٢.

وما أبلغ حديث الأرقام حيث لاحظ باحث أمريكي هذا الهراء وهذه المهزلة واستخلص في بحثه أن قنوات الإعلان التلفازي عبارة عن منتجات اقتصاد الأشياء التافهة Pepsi quick economy كمستحضرات التجميل والمنظفات الصناعية والمشروبات الغازية وغيرها مما ذكرت آنفاً [١].

ويؤكد الباحثون أن مبيعات التسجيلات الموسيقية في العالم بلغت ٣٥.٤ مليار دولار عام ١٩٩٥م منها ١١مليار في أمريكا، وبلغ الإنفاق العالمي في المجال الرياضي ٩مليارات دولار[٢].

وما أشد مكر الإعلام وتمييعه للحقائق وقلبها إلى أوهام وخاصة الإعلام الغربي الذي يطرح من ضمن أطروحاته مستخدماً جميع وسائله على أن الإسلام الخطر الأعظم الذي لا يمكن أن يلتقي مع الحضارة الغربية على أمر سواء فهو لذلك يتعمد الخلط بين الإسلام كدين وبين واقع الأمة الإسلامية المتردي، ويصور المسلمين المتمسكين بإسلامهم وخاصة شريحة الشباب منهم بأنهم جامدون تقليديون ومتعصبون متهورون أو إرهابيون إلى غيرها من الأوصاف والألقاب التي تنفر بقية شباب الأمة عنهم..، وفي نفس الوقت يعمل على تضخيم الفرق الضالة كالبهائية والقاديانية ويصورها بصورة مستنيرة ومتحررة والمواكبة لما عليه الحضارة الغربية وهي التي ينبغي التعامل معها[٣].

٢ - يعمل جهاز التلفزيون بدأب وجهد متواصل في تشويه حقائق الإسلام الناصعة حتى يحول بين مواطنيه وبين حقيقة الإسلام فلا يدخلوا فيه، فهو يتبنى الرؤى الاستشراقية في هذا الجانب من أن الإسلام دين دموي مصادم، وأهله قتلة شاربين للدماء... إلى غير ذلك.

٣ - ولأن الإعلام يمثل أهم مصادر استسقاء المعلومات وتلقينها فإنه يستخدم أسلوب الإلحاح والتكرار في تكوين الصورة، ويستخدم هذا الأسلوب في تشويه صورة الإسلام فيصورونه ديناً دموياً إرهابياً عنيفاً - ويمثل كتاب (صموئيل هينتغون) صدام الحضارات نموذجاً لهذه الصورة وهو وثيق الصلة بالاستخبارات الأمريكية وهو يهودي الأصل.

ويركز الإعلام الغربي من خلال التلفاز وغيره على المرأة ويصور العالم الإسلامي

---

(١) انظر علي الدين محمد الإعلام الدولي مرجع سابق صـ٤٠.
(٢) المرجع نفسه صـ٤١.
(٣) المرجع نفسه صـ٤١..

بأنه لا يحترم حقوق المرأة ولا يقدرها ويعاملها بقسوة ووحشية واستخفاف واستهتار فهو يحرمها من التعليم والعمل ولا يساويها بالرجل كإنسان تختلف عنه من حيث النوع (الجندر)، إلى غيرها من الاتهامات التي تكال ليل نهار على الإسلام مع أنه لم تكرم المرأة ولم تستوف حقها إلا في ظل الإسلام والتاريخ خير شاهد.

وتمثل صكوك المصطلحات أحد مهام الإعلام الغربي حيث يوصف المسلمون بأنهم أصوليون وإرهابيون ومتوحشون وقذرون غير أكفاء ومسرفون إلى غيرها من الأوصاف التي تبثها وسائل الإعلام بطريقة قذرة ويتلقاها العالم كله على أنها مسلمة من المسلمات.

ولأن وسائل الإعلام الغربية هي مشروعات تجارية تابعة للشركات العملاقة ولا يهمها إلا الربح فإنها تجري وراء الأخبار السيئة ووراء الفضائح والمآسي والقصص الرخيصة وغير الأخلاقية.

وسائل الإعلام معاول هدم للأخلاق:

وعلى هذا فإن وسائل الإعلام كالتلفاز والفيديو والإذاعة والبث المباشر إنما هي في الحقيقة معاول هدم للأخلاق والقيم الإسلامية، تدك حصون التدين والالتزام، وتهتك العفة وتعمق التغريب لدى شباب الأمة الإسلامية.

وليس معنى هذا الكلام أن أنفي عنها ما فيها من إيجابيات إلا أن إثمها أكبر من نفعها كما قال تعالى عن الخمر والميسر: **{قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}**[1].

إنما ينشر في هذا الجهاز من أغاني وتمثيليات وأطروحات ومسابقات ثقافية وما هي بثقافية، بل مسابقات نحو الغناء والخنا والرقص والرسم واللهو واللعب.... إلخ كما يراه الكبير منا والصغير.

إن هذا الذي ينشر في بلاد العالم الثالث المختلف أو في الأطراف كما يسمونها اليوم من أعظم أسباب الانحراف والانجراف وراء الشهوات والملذات والمتع الرخيصة، في حين أن أرباب العولمة ومروجوها، يتسابقون في علوم الفضاء، والتكنولوجيا، والاتصالات، والاستحواذ على المعلومات، وبناء أوطانهم اقتصاديا وسياسياً وفكرياً،

(١) البقرة: ٢٩١.

والمسلمون في شهواتهم وملذاتهم يتقلبون وفي سباتهم يغطون، وتيار العولمة لا يرحم أحداً بل هو سيل عرمرم جارف لا يعترف بالضعفاء ولا بالمهزولين ولا بالكسالى ولا بالشهوانيين!!

إن المشاهد واللقطات في هذا الجهاز وغيره من وسائل الإعلام مكتظة بما يثير السُّعَار الجنسي، ويلهب كوامن الشهوات في النفس البشرية، ويعمل على تعطيش الغرائز وإيقاظ مكامن الشر فيها، ويلعب بالأهواء، ويوجه الشباب للانحراف والإغواء بأشكال متعددة وأساليب متنوعة وبعوامل جذابة صارخة، ممزوجة بالصورة واللون والصوت والأضواء مع التفنن والتنوع في الإغراء والإغواء، ولا يكاد هذا الجهاز وغيره يخلو يوماً من صورة امرأة كاسية عارية، أو قصة ملهبة للغرائز الجنسية ومثيرة للعاطفة، أو أغنية غرامية خاصة (فيديو كليب)، وأخبار تافهة أو مثيرة للشباب[1].

لقد دخل الإعلام التلفزيوني منعطفاً خطيراً له أبعاده وأخطاره المستقبلية على حضارة الإنسان وتوجهاته، خاصة في ظل تطور طريقة البث المباشر بواسطة الأقمار الصناعية، وأضحى الأمر منفلتاً وخارجاً عن دائرة المراقبة والتوجيه من قبل حكومات البلدان المستقبلة، وكما أسلفت فإن الهدف الأساسي والرئيسي للتلفزيون هو تغيير اتجاهات الناس وقيمهم وعقائدهم وآراءهم وسلوكهم من خلال برامجه المتناقضة كأن يأتي برنامج ديني مثلاً يدعو إلى مكارم الأخلاق ثم يتبعه في الحال برنامج ترفيهي مسلي يدعو إلى الغناء والخنا والرقص وتعليم الموسيقى، وهو يعمل عملية غسيل المخ أي تنظيف العقل وإعادة تعليم الأفراد أو الإصلاح الفكري أو التربية العقائدية بأساليب ماكرة كقلب الحقائق والإلحاح عليها وتكرارها والتماس من يشهد زوراً وبهتاناً على صدقها أو تزييف سند التاريخ باستنطاقه ما لم يقل أو يحدث به[2].

التلفزيون وخدمة قوى العولمة:

وفي ظل هذه التطورات يعمل التلفزيون على خدمة أهداف العولمة وذلك بتزيين وسائلها وأهدافها ومستقبلها ومستقبل من يسير في فلكها وضياع أو بوار وهلاك من

---

(١) الأستاذ. محمد يوسف النهاري التلفزيون وتدمير الأخلاق الحلقة (٣) عن المنتدى العدد (٦٢) ص٦٣ مرجع سابق.

(٢) انظر مروان كجك - آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع مكتبة الكوثر الرياض ط١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م صـ٢٤.

يعارضها ولا يسير في فلكها كما يزعمون.

ففي الجانب الاقتصادي يروج التلفزيون لما يسمى بالسوق الحرة والانفتاح الاقتصادي للأسواق، واندماج الاقتصاديات والشركات باسم العولمة وإزالة أو تخفيف الحواجز الجمركية.

وفي الجانب السياسي تستخدم قوى العولمة التلفاز للترويج للديمقراطية والتعددية، وحقوق السياسة ينادي بالتعددية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات والمرأة، وحقوق الطفل وغيرها من الحقوق التي لم تنته بعد ولا تطبق إلا على الإنسان العربى نزراً يسيراً مما نراه ويراه غيرنا.

وفي الجانب الثقافي تعمل وسائل الإعلام من خلال الشاشات الصغيرة وغيرها للترويج للثقافة الغربية على أنها الثقافة الحضارية التي ينبغي أن تسود فتروج لقيمها ومفاهيمها وسلوكياتها وأنماط الحياة التي تحيها هذه الثقافة، ولأن التلفاز أكثر احتكاكاً والتصاقاً بالمجتمعات فإن تأثيره لا يستهان به على العقول والأفهام وتغيير الأفكار..

وهذا الذى تروج له الشركات الكبرى مدعماً بالصوت والصورة على شكل أغانى فيديو كليب وصور خليعة وتمثيليات ورقصات وترويج للفنانين والفنانات والمواهب الصاعدة من يساهم أيضاً في نسخ هويات المجتمعات خاصة الإسلامية وانحراف شباب الأمة هو الذى أصبح يعرف بالنموذج الأمثل والظاهرة الحديثة التى تسمى العولمة وما هى إلا صورة من صور الاستعمار غير أنها ركزت بشكل أقوى في تزوير العقول ومسح للقلوب وتنكبت عن المواجهة العسكرية التى أظهرت فشل ذلك الاستعمار مع نهاية الحروب الصليبية وما هذا إلا امتداد لحقبة الاستعمار القديم.

* * * * *

المطلب الرابع:
الأفلام السينمائية

توطئـــة:

المتتبع لسير السياسة الأمريكية من الخمسينيات والستينيات يجد أن المصلحة والمصلحة فقط هي التي توجهها، فأينما لاحت لها المصلحة تركت سفينة سياستها تمخر عباب البحر حتى إذا اصطدمت بمصالحها أوقفتها، لتغير اتجاهها ولتشق طريقاً آخر وتغيره بهدوء ففي الخمسينيات والستينيات كان هناك تخوف من القومية العربية، فصدتها بالإسلام (بالإسلاميين) وعاشت المنطقة العربية والإسلامية برمتها قلاقل واضطرابات مع أبناء قومها من الإسلاميين [1].

أما أثناء الحرب الباردة فقد كانت التحالف مع الإسلاميين لا يخفى وذلك لمنع المد الشيوعي وضربه، ثم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي قلبت ظهر المجن فانقلبت على الإسلاميين وأصبح ربان السفينة في أمريكا هم اليهود الذين بدأوا يحذرون الأمريكان من خطر الإسلام وخطر المندفعين إلى الجنة بقتال اليهود والكفار، فأخرجت لهذه الحرب مخرجات متنوعة ما بين نظريات ومقالات وتحليلات وأفلام سينمائية وتلفازية لتحكم خطتها وتقدم على هدفها بعد وضوح الطريق وجلاء المقصد.

الولايات المتحدة تهيمن على الأفلام السينمائية والتلفازية:

ولم تتماسك الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر سبتمر ٢٠٠١م حتى أعلنتها حرباً صليبية ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد بذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهداً مكثفاً وعملاً مضنياً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتأمين هيمنة أفلامها السينمائية والتلفازية على الأسواق الخارجية، وقد أخذ هذا الإنجاز طابعاً سياسياً داخل الولايات المتحدة، حتى لقد بات أحد البنود التي جرى إدراجها ضمن المعاهدات وبرامج المساعدات الغذائية. من أجل هذا دخلت أوروبا حرباً باردة في هذا الشأن مع الولايات المتحدة، حينما بدأت تأخذ موقفاً دفاعياً بعد

---

(١) فواز جرجس أمريكا والإسلام السياسي.. عرض وتقديم خالد الفيشاوي عن مجلة العربي الكويتية العدد (٥١٤) سبتمبر ٢٠٠١م ص١٨٨ وما بعدها.

الحرب بسبب الاتفاقيات الملزمة، وتميزت فرنسا بموقف صارم تجاه السياسة الأمريكية في هذا المجال بحجة التمسك بالخصوصية الثقافية لدى الفرنسيين، مما دفع بأمريكا للدخول في مسألة أخرى حيث أدخلت الحماية الثقافية ضمن البنود المسلمة لمنظمة التجارة العالمية[1].

من هنا تداخلت الثقافة مع الاقتصاد وأصبحت الثقافة متمثلة في الأفلام أو حقوق الملكية الفكرية أو براءات الاختراع أو التقويض المتعمد للاكتفاء الذاتي القومي في الغذاء اقتصاداً.

الأفلام السينمائية والرسالة الشيطانية:

وأضحت الأفلام أداة إعلامية قوية تؤدي رسالتها الشيطانية بحنكة واقتدار والمتأمل في سير هذه الأفلام وتاريخها منذ نشأتها، سيجد أنها تعمل في ثلاثة مسارات رئيسة وخطوط متوازية تسير جنباً إلى جنب في العمل المخطط لها [2].

المسار الأول: يتجه نحو إظهار شهامة وكرامة وصدق وأمانة وإخلاص الرجل الأبيض خاصة الأمريكي في عمله وإتقانه له.

المسار الثاني: نحو عولمة الفحش والخنا والرذيلة والسقوط في مستنقع الشهوات والجنس.

المسار الثالث: فيتجه نحو عولمة العنف وإثارة الأحقاد والضغائن والتحريض على الصراع العالمي خاصة ضد الإسلام جاعلاً من (العرب والمسلمين) غرضاً وهدفاً مرسوماً له.

وقبل الولوج إلى الحديث عن هذه المسارات يستحسن الباحث أن ينوه إلى أن مصدر هذه الأفلام هو الغرب وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الأخص هو مدينة هوليود [3].

---

(١) انظر فريد ريك جميسون، ترجمة شوقي جلال، العولمة الاستراتيجية السياسية، عن مجلة الثقافة العالمية العدد(١٠٤) ١/١/٢٠٠١م، ص٣٤.

(٢) المرجع نفسه، الصفة نفسها.

(٣) انظر مروان كجك آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع، مكتبة الكوثر - الرياض ١٩٩٧م ص٣٦.

والملاحظ على المسار الأول أن الأفلام التي تصنعها السينما العالمية قد أحدثت شرخاً واسعاً وتركت أثراً سيئاً في عقول الشباب والناشئة من الأجيال المسلمة وعوامهم لضعف الحصانة الفكرية لديهم، ذلك أنهم أكثر الشرائح في المجتمعات قابلية لهذا الاستهواء.

ويكمن هذا الشرخ في تجسيد القيم الغربية الهشة والثقافة الضحلة التي تنقلها هذه الأفلام عبر شاشات السينما والفيديو، والمسارح.

ويتضح الأمر أكثر عندما تظهر هذه الثقافة مدعمة بالصوت المميز بالمؤثرات الصوتية، والموسيقى الصاخبة، والصورة المزخرفة، والمغريات الكثيرة، وتصدر إلى العالم الإسلامي ليتلقاها ويستقبلها شرائح من الشباب المراهق والعوام والأطفال، ولا تعرض تلك القيم بشكل مكثف ومفاجئ، ولكنها تعرض بهدوء وعلى جرعات منتظمة مما يترتب عليها تشكيل العقلية الباطنة للمشاهدين وبشكل لا شعوري من جراء التركيز المستمر والدوري أحياناً على مدار الأسبوع وأحياناً يومياً وربما تتكرر المشاهد والعروض على مدار الساعات.

الأفلام السينمائية وتجسيد القيم الغربية:

إن تلك المشاهد والعروض التي تعرض من خلال الأفلام، تتعمد إظهار المجتمع الغربي على أنه مجتمع مثالي تتمثل فيه الصفات السامية والأخلاق النبيلة كالصدق والأمانة والترتيب والنظام والتقدم والقيام بواجباته على أحسن وجه وأكمله، فهو يلاحق الجريمة ويتتبعها، ولا بد من أن يكشفها، وتظهر هذه الأفلام بطولة ذلك الرجل الغربي وبالخصوص الأمريكي ويطلق عليه بطل القصة أو بطل الفيلم، وهو لا يشق له غبار ولا يمكن أن يقهر وهو أسرع وأقوى وأكثر حنكة من عدوه وربما أتى بالخوارق والمعجزات.

وتتعمد هذه الأفلام إظهار هذا الأمر بشكل مستمر كما أسلفت على أن ذلك هو النموذج المعهود للرجل الأوروبي أو الأمريكي النمط الذي يراد عولمته في عالم اليوم.

ولا شك ولا ريب أن مثل هذه الصفات تنعكس على المجتمع المشاهد حيث تظهر الصور المثلى والنموذج الأعلى للرجل الأبيض خاصة الأمريكي الأمر الذي يؤدي إلى

إلصاق الشعور بالدونية والعجز والشعور بالنقص عند هذه الشعوب مما يجعلها تتطلع بلهف ورغبة إلى اللحاق بهم في مضمار الحضارة والتقدم آخذين منه كل ما يمت إلى تلك الحضارة بغض النظر عن صلاحه أو فساده المهم تقليدهم ومحاكاتهم حتى " لو دخلوا جحر ضب " لفعلت هذه المجتمعات مثلهم " حذو القذة بالقذة ".

هوليود والحرب الإعلامية:

وتستخدم هذه الأفلام أقصد التي يتم إنتاجها في هوليود حرباً إعلامية مشوهة ضد العرب والمسلمين فتصورهم على أنهم عشاق دعارة وجنس، يتعشقون الغواني والعاهرات بل والبيضاوات من الغربيات وتصورهم على أنهم فجرة قتلة إرهابيون، ومفجرو قنابل وبشكل عام أصحاب عنف وجنس.

لمحة تاريخية عن أفلام هوليود وأثرها:

وفي هذا المضمار نجد كثيراً من الأفلام واتجهت بقوة وكثافة لصياغة وإخراج وإلصاق هذه الصفات بالعرب والمسلمين من نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين، وها هي مضامينها تصب في هذا المستنقع الآسن ومنها على سبيل المثال لا الحصر [1].

لتعرف ما هي المضامين التي غدت تنشرها من فترة العشرينات فقط حتى الآن على النحو التالي:

١- كانت الأفلام المنتجة في العشرينات عام (١٩٢١)، (١٩٢٤)، (١٩٢٨)، على التوالي هي فيلم(الشيخ)، وفيلم (مقهى في القاهرة)، وفيلم (عروس الصحراء) كانت مضامين هذه الأفلام تدور حول مغامرات في الصحراء ترتبط بالجنس والدعارة والعنف وتظهر العرب والمسلمين في أطر من الهمجية والغوغاء والوحشية وتصورهم على أنهم يختطفون نساء غربيات بيضاوات عفيفات!! ولا يكتفي مخرجو هذه الأفلام

(١) انظر عطية فتحي الويشي، هوليود وعولمة الإسلام وفوبيا، مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد (٤٢٦) السنة ٣٨، صفر ١٤٢٢هـ ص٥٢، وانظر مثلاً لهذه المعلومات، ومزيداً عليها - كتاب أحمد رأفت بهجت - الشخصية العربية في السينما العالمية - ط١٩٧٨م عن مجلة المثقف العربي، المقر الرئيسي لندن - الوكالة العربية للإعلام (عرب - بري) العدد ٢١ - ٢٢ - السنة /٢، ١٠، ١١ / ٢٠٠٢م ص٢٠، ص٥١..

بهذا بل يصورونهم أيضاً وهم يشنون الغارات على معسكرات الفرنسيين والإنكليز المحتلين طبعاً، ليأخذوا منها ما لذ وطاب من المآكل والمشارب وربما النساء.

ولك أن تتصور النتيجة التي تلتصق في عقول مشاهدي هذه الأفلام وأفكارهم وعن الصور التي ترسم في عقولهم عن العرب الهمجيين والبرابرة والوحوش الكاسرة، الباحثين عن الخنا والنساء الداعرات، ولك أن تتصور اللعنات التي تلاحقهم بعد ذلك من جراء مشاهدة هذه الأفلام والصور الكاذبة والتهم الملفقة بالقوم وهم منها براء.

وإذا خطونا قدماً تقدمنا إلى مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات فستجد أن الأفلام التي أنتجت خلالها كانت تصور العرب والمسلمين على أنهم متخلفون ومتوحشون وهمج ولا يعرفون من الحضارة شيئاً ولا حتى اسمها فيأتي الفرنسيون والإنكليز ليزيلوا عنهم آثار الجهل وران الظلم وغبار الوحشية ومن هذه الأفلام فيلم (كازابلانكا).

وأما خلال فترة الخمسينيات والستينيات فقد أضيفت موضوعات الجاسوسية والصراع العربي الإسرائيلي إلى الأفلام الأمريكية تظهر العرب على أنهم عاجزون حتى بعد الانتصار في إدارة شؤونهم فينسحبون ثم ليأتي البريطانيون كي يديروا شؤون البلاد فيفسح لهم العرب عن رضا وقناعة، ومن هذه الأفلام فيلم (لورنس العرب) ١٩٦٢م والجدير بالذكر أن هذا الفيلم قد حصل على سبع جوائز من جوائز الأوسكار، وحاز على لقب أحسن فيلم في ذلك العام [١].

وفيلم (العنقاء) الذي يصور العربي المسلم منعدم الضمير، ضعيف الشخصية عندما يتعمد قتل الغربي بلا أدنى سبب إلا أنه طلب منه المساعدة وغيرها من الأفلام التي تصور العرب كوحوش ضارية متعطشة للدماء مثل فيلم (الخروج) [٢].

وفي السبعينيات تغير مجرى الأفلام قليلاً ودخل منعطفاً آخر خاصة بعد حرب ١٩٧٣م واستخدام سلاح البترول. حيث صُورّ العرب فيها على أنهم إرهابيون ومعادون للغرب استغلاليون بما لديهم من ثروات مستبدون، يؤمنون بالترجمة الحرفية للقرآن يمارسون العنف والقهر ضد المرأة والصحافة الحرة ولقد مات الاعتماد عليهم يثير

(١) عطية فتحي الويشي المرجع السابق ص٥٤.
(٢) المرجع نفسه ص٥٤.

الرعب وعدم الاطمئنان والخوف منهم كما صورت ذلك (جين فورد) في فلم (رول أوقر) فعلينا إعلان الحرب عليهم [1].

وكانت هذه الأفلام بمثابة إعلان الحرب على العرب والمسلمين، ففي فيلم (الريح والأسد) عام ١٩٧٥م يصور العرب على أنهم مختطفون، حينما احتجزوا امرأة (كاندز بيرجن) في المغرب ويطالبون الرئيس روزفلت بفدية هائلة لتحريرها وفي فيلم (نتورك) عام ١٩٧٧م يصور العرب على أنهم قد استولوا على أمريكا ووصفهم بأنهم متعصبون منذ القرون الوسطى.

وفيلم (الأحد الأسود) عام ١٩٧٧م أيضاً صور العرب على أنهم مجموعة إرهابية تتربص بمتفرجي الكرة والمباراة للفتك بهم حيث يوجد بينهم الرئيس الأمريكي، ولكن يأتي ضابط في المخابرات الإسرائيلية ليحبط المؤامرة ويلقي القبض على هذه الزمرة على أنها زمرة ومنظمة (أيلول الأسود).

إلى غير ذلك من الأفلام التي تخدم السياسة الأمريكية أما في الثمانينيات فتأتي هوليود لتجعل من نفسها سيدة الموقف، ولتبرز العرب والمسلمين على أنهم العدو الجديد المرتقب (العدو الأخضر) بدلاً من العدو الأحمر الذي بات يحتضر ولتقدم للشعوب الغربية الأفلام الجديدة التي تبرز الإسلام كعدو جديد، وبديل للنظام الاشتراكي، ومن هذه الأفلام فيلم (ذا دلتا فورس) و(المنتقم) عام١٩٨٦م، والـ (الموت قبل العار) وكلها تظهر المسلمين على أنهم يمتلكون أسلحة دمار شامل أسلحة نووية ذات خواص تدمير شاملة تمهيداً لضرب المسلمين كما حصل للعراق وهم يمهدون الآن لإيران.

وتصويرهم على أنهم يحوزون على صواريخ عابرة للقارات يهددون بها الأبرياء، ويأتي الغرب لإنقاذهم واستئصال شافة الإرهاب!!

ثم تردف هوليود لتعمق ذلك التصور المشين لدى الغرب نحو المسلمين بفيلم آخر أسموه فيلم (أكاذيب حقيقية) ١٩٩٣م ليصور العرب كمجموعة من الأشرار المتطرفين وليقوموا بتنفيذ مؤامرة كبرى لتفجير مفاعل نووي في تلورين بنفث سموم الحقد والكراهية والبغضاء ضد الغرب وما هي إلا سنتين حتى أتبعوه بفيلم آخر فيه الكثير من

(١) المرجع نفسه ص٥٥.

اللمز والغمز والتعريض بالقيم الإسلامية الفاضلة، التي تصل إلى الدرك الأسفل من قبلة الأدب وأسموا هذا الفيلم فيلم (دون جوات) في عام ١٩٩٥م يقوم بطل هذا الفيلم باختراق الحجاب ليدخل إلى النساء في البيوت ليمارس الغرائز الجنسية مع (١٥٠) امرأة عربية مسلمة إمعاناً من هوليود في التعريض بأخلاقيات المسلمين وقيمهم ونفث السموم الثقافية الغربية لتصل من خلال الشاشة السينمائية والشاشة التلفازية بعد هذا الإنتاج العولمي إلى أكبر شريحة في المجتمع الإسلامي ككل [١].

وفي السياق نفسه أعلنت شبكة (H. B. O) أوسع شبكات الأفلام التلفازية انتشاراً في أمريكا أنها سوف تبث فيلماً في شهر يونيو ٢٠٠١م والمفترض أنها قد بثته، بعنوان " الطريق إلى الجنة " يحكي قصة تفجير المركز التجاري الأمريكي عام ١٩٩٦م [٢].

يعرض خلال أحداثه مجريات التفجير وكيف أن شيخاً عربياً مسلحاً ظهر مرتلاً لآيات القرآن الكريم ثم ما يلبث أن يقول بعد انتهائه من التلاوة"انتظر الانفجارات القادمة.

ويظهر خلال الفيلم ضابط أمريكي يسب العرب والمسلمين ويقذفهم بأقذع السباب والشتائم الجنسية وحدث بعدها عن أثر هذا الفيلم بالإضافة إلى الكتابات الصحفية التي تروج للكذب في حرق ٨ مساجد وارتكاب ٣٠٠ حادث عنف ضد المسلمين.

إلى غيرها من الأفلام التي أنتجت خلال التسعينيات كفيلم (الجهاد في أمريكا) و(الحصار) حيث تعرض في بلد يجمع أكبر نسبة من المهاجرين العرب والمسلمين الذين يتنعمون بخيرات الغرب والأمريكان ثم لنتخيل بعد ذلك وقع هذه الأفلام وآثارها على نفوس الغربيين حينما تغرس في صدورهم الحقد الدفين على المسلمين، وتغذي أفكارهم ببهتان الأقاويل وأباطيل الأحاديث والأكاذيب المتتابعة التي تتحول يوماً ما إلى حقائق!!

وتعكس هذه الأفلام شجاعة الأمريكيين حينما يدحضون مؤامرة تحاك ضدهم سواء من أبناء بلدهم أو من الوافدين المجرمين خاصة من العرب والمسلمين.

الأفلام السينمائية وسائل تحريض على الصراع:

(١) المرجع نفسه ص٥٥، ٥٦.
(٢) المرجع نفسه ص٥٧.

وبحسب عطية فتحي الويشى [1] فإن هذه الأفلام تعد من أهم مؤشرات التحريض على الصراع والمواجهة الشاملة الحازمة والصارمة ضد ما يسمى بالتطرف والإرهاب والأصولية من خلال تأصيل مبدأ التحدي والاستجابة..، ومن ثم تبرير تلك المواجهات التي قد تأخذ طابعاً جغرافياً أوسع داخل الدوائر الحضارية الأخرى لتعقب العرب المجرمين منهم وقطع دابر شرهم.

فتظهر ملامح هذه الاستجابة لقطع ما أسموه محور الشر والتطرف والإرهاب والأصولية كما حدث الآن في هذه السنوات والشهور ضد أفغانستان المسلمة، والعراق العربية المسلمة والسيناريو المرسوم لا زال لم ينته بعد حيث يتم التلويح الآن لإيران!

وهكذا تعمل الأفلام الفرشة والتمهيد لاستتباب جذور العولمة باسم تحرير الشعوب وتنوير المتخلفين وإدارة شؤون العاجزين واستئصال دابر الفساد في عرض الأرض وطولها لتسلم قوى العولمة زمام الأمور في كل مكان في هذه المعمورة..

وكل هذا يدور فى غياب الخلافة الإسلامية الراشدة وسيتحمل المسلمون جزءاً من المسؤولية التي أضاعوها وأفسحوا المجال لغيرهم يتربع ويبيض ويفرخ ولسان حال المسلمين يقول: خلا لك الجو فبيضي واصفري، ونقري ما شئت أن تنقري، لا بد من صيدك يوماً فاصبري.

* * * * *

المطلب الخامس:
الإنترنت

ترتبط العولمة ارتباطاً وثيقاً بشبكة المعلومات (الإنترنت) فقد أحدثت هذه الشبكة تغيرات جذرية في مجمل المعطيات المتعلقة بمسألة بنك المعلومات [2] وقد سلف في ثنايا هذه الرسالة التطرق إلى أن هذه الشبكة ليست حديثة من حيث الظهور ولكن الحديث عن اتساعها الفظيع وحجمها الكبير ونموها المتسارع العظيم[3]، فقد كانت عبارة

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) (انظر الصادق رابح /وسائل الإعلام والعولمة عن المستقبل العربي العدد (٢٤٣) ٩٩/٥م صـ٣٣ مرجع سابق).

(٣) (انظر المصدر نفسه ص ٣٣ وانظر العرب، نيل علي: الجوانب الثقافية، ورقة بحث قدمت، لندوة

عن مشروع خاص بالولايات المتحدة الأمريكية حينما أقامت وكالة المشاريع المتقدمة (ARPA) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية شبكة (أربانيت) (ARPANET) للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الجامعية الأمريكية، ضماناً لاستمرار التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري والسياسي في حالة حدوث ضربة سوفيتية نووية متوقعة ومفاجئة[1].

كانت البداية النواة الأولى لهذه الشبكة في عام ١٩٦٩م تربط بين المركز الدولي للبحوث التابع لجامعة ستانفورد، وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس، وجامعة كاليفورنيا في مدينة سانت باربارا وجامعة ولاية يوتا ثم نمت هذه الشبكة حتى أصبحت (شبكة الشبكات) حالياً، ومن المتوقع أن يصل حجمها في العام ٢٠٠٠م إلى مليار مشترك. انظر نبيل علي الجوانب الثقافية (التكنولوجية) [2].

وأصبحت شبكة الإنترنت تمثل فعلاً ما يسمى بالقرية الكونية على مستوى الاتصال وجمع المعلومات، فهي أنجح وسيلة سريعة لاستلهام المعلومات وسرعة انتشارها ونشرها وتوظيفها وهي أهم وسيلة لتحقيق النزعات الحالية نحو العولمة، لكن الأمر يحتاج كما يبدو إلى مهارة عالية في استخراج أية معلومة ما ويتطلب التحكم في آليات البحث الإلكتروني ومزيداً من الصبر نظراً للكم الهائل من المعلومات التي تتوفر في الإنترنت [3].

ويرى الباحث أنه بقدر ما فيها من الإيجابيات نحو تحقيق مزيد من المعلومات وتسهل على الناس مسألة هامة في البيع والشراء والدعاية والإعلان في أي وقت وفي أي مكان ولأي شخص من غير تمييز إلا أن سلبياتها تغلب إيجابياتها التي يمكن الإشارة إلى بعض منها كأمثلة فقط.

سلبيات الإنترنت:

ففيها كثير من مواقع الشر والفساد مواقع لترويج الرذيلة والفحشاء والمنكرات

العرب والعولمة ص١١٦).
(١) الصادق رابح ص٢٣٤.
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٣ - ١١٨.
(٣) الصادق رابح، ص ٢٣٤.

والمحرمات وفيها يتم الترويج لنشر القيم الغربية غير الأخلاقية، والأفكار المنحطة، والسلوكيات الشاذة التي تتسرب إلى عقول وقلوب وأفكار المسلمين، وخاصة من شريحة الشباب والشابات المراهقين والمراهقات وفيها يتم الترويج للقيم الاستهلاكية الغربية من غير تقيد بأخلاق أو أعراف أو آداب، ومن المدلهمات أن من لم يستطع أن يتحدث أو يكتب أو يعرف شيئاً من اللغة الإنجليزية، فإنه لا يستطيع الدخول إلى الإنترنت بسهولة، فهي ترويج للغة المسيطرة وتقضي بإقصاء غيها من مئات اللغات المنتشرة ففيها جانب الدمار يغلب جانب الإعمار.

وتستحوذ رائدة قوى العولمة على هذه الشبكة ولا تسمح لغيرها بأخذ الزمام فيها حتى أضحت أهم مورد لها في خدمة المعلومات فأحالتها إلى أكبر معقل اقتصادي حصين[1].

ولقد استغلت هذه الثورة التي تسمى ثورة المعلومات في هتك حرمات الآخرين والتسلط عليهم معرفياً وثقافياً، والتنصت على الأفراد والدول، فها هو (إريه بن منشه) ضابط الاستخبارات اليهودي يعترف بأن (إسرائيل) تمكنت من اختراق الشيفرة الإيرانية أيام الشاه، وكشفت تحريات صحفية عن وجود شبكة ضخمة للتجسس الإلكتروني شمال إنجلترا صممتها وتشرف عليها وكالة الأمن القومي الأمريكي (NSA)، ويطلق على هذه الشبكة اسم(Echelon)، وما صممت إلا للتجسس على الحكومات والشركات والأفراد دون مراعاة لحرمة آخر[2] فأي ديمقراطية تزعم راعية الديمقراطية وحقوق الإنسان والسلام!!

وعلى الرغم من أن البعض ينظر إلى عصر المعلومات بأنه عصر ازدهار اللغات إلا أن الفريق الآخر متشائم جداً.

بسبب طغيان اللغة الإنجليزية في الإنترنت على غيرها من اللغات من حيث إنتاج الوثائق الألكترونية وحجم تبادلها أو اللغة التي تتعامل فيها البرمجيات وآليات البحث عبر الإنترنت إلى جانب المطبوعات المتعلقة بالجوانب المختلفة لتكنولوجيا المعلومات، ذلك أن شركات أمريكية هي التي تقوم بتطويرها وربطها بالأسواق العالمية لصالحها.

---

(١) انظر المصدر نفسه صـ١١٧.

(٢) انظر جريدة الخليج الإمارات العدد (٧٦٢٨) ٢٠٠٠/٤/٧م صـ٤.

وتشير إحصائيات اليونسكو إلى حقائق مفزعة عن الوضع العالمي للغات البشرية فهناك (٦٠٠٠) لغة وهي تقريباً نصف لغات العالم حسب اليونسكو مهددة بالانقراض كما أن الإنترنت تعكس صورة قاتمة عن التنوع اللغوي فمن ضمن الستة آلاف لغة هناك خمسمائة (٥٠٠) لغة فقط على الشبكة [١].

إذن ومن سلبيات الإنترنت أنها تعمل ضد التنوع الثقافي حيث تنحاز إلى التوحيد القياسي اللغوي وبالطبع لصالح قوى العولمة.

وذلك بتوسيع نطاق تسويق المنتج المعلوماتي: طباعياً كان أم ألكترونياً إعلامياً كان أم تعليمياً وثائقياً كان أم برمجياً[٢].

كذلك يعمل سلاح التوحيد القياسي عادة ضد مصلحة الصغار، حيث تسيطر على منظمات التوحيد القياسي كبرى الشركات القادرة على فرض مواصفات منتجاتها كقياسات الأمر الواقع. وما على الدول الصغيرة إلا الرضوخ والاستسلام حيث لا تتوافر لديها صناعات قومية تساند موقعها في مساحة التنافس القياسي علاوة على عدم خبرتها النظرية والعملية في هذا المضمار[٣].

* * * * *

المطلب السادس:
وكالات الأنباء العالمية

لم يعد يخفى أن وسائل الإعلام هي أقوى أدوات السيطرة ولها أهمية عظيمة وخطيرة، فمن يمتلكها يمتلك العالم، وقد أدركت قوى العولمة هذه الأهمية فسيطرت على معظم وسائل الإعلام، ولذا لا عجب أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تمتلك في هذا المجال أقصد (مجال الوكالات) ثلاثين وكالة من وكالات الأنباء من أصل مائة وعشرين وكالة عالمية[٤] لها قرابة مائتين (٢٠٠) فرع في العالم العربي وحده

(١) انظر د. نبيل علي الإنترنت مفكرة اللغات أم بستانها مجلة العربي الكويتية العدد (٥١٣) صـ٢٣ - ٢٤ - ٢٥.
(٢) المرجع نفسه ص٢٥.
(٣) المرجع نفسه ص٢٥.
(٤) انظر علي محمد العقدي الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة دراسات استراتيجية العدد ٣٥ الصادر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث ط١ (١٩٩٩م) صـ١٧

وميزانياتها بحسب الدكتورة عواطف عبد الرحمن[1] تعادل الميزانية المخصصة للتعليم في البلاد العربية مجتمعة. ويشكل الإعلام الغربي أكثر من ٩٠٪ من الإعلام العربي الأمر الذي جعل الدول الصغرى غائبة بل تابعة تبعية كلية للإعلام الغربي فما من خبر أو حدث إلا وتستقيه من وكالات الأنباء العالمية الأجنبية خاصة الوكالات الخمس الكبرى التي تحتكر الأخبار والمعلومات بنسبة ٨٠٪ وهي (رويتر) و(أسوشيتد برس) و(يونايتد برس إنترناشيونال) و(وكالة الأنباء الفرنسية) و(وكالة تاس الروسية) [2] والتي تحولت إلى (إيتارس تاس) بالإضافة إلى وكالات الأنباء المصورة التي تمد أجهزة التلفزيون في العالم بالأخبار والمعلومات الفيلمية المصورة معتمدة على أحدث أجهزة التقنية والاتصال إلكترونية الحديثة مستخدمة الأقمار الصناعية لتحقيق أغراضها وإيصال أهدافها وهذه الوكالات هي:

١ - وكالة (النبز نيوز) البريطانية.

٢ - وكالة (أبتين) وهي تعمل برأس مال أمريكي بريطاني.

٣ - وكالة الخدمات التلفزيونية الأوروبية (إيتيس).

٤ - وكالة (CBS NEWS FILD) [3].

ومن هنا يتبين أن أخبار العالم، ومنه العالم الثالث تستمد من هذه الوكالات العالمية الرئيسة، التي تسيطر على المعلومات، وتصوغها، وتخرجها، وتشكلها كما يروق لها،

---

(١) د. عواطف عبد الرحمن في محاضرتها (الإعلام والعولمة في القرن ٢١) التي القتها بجامعة عجمان فرع العين عن جريدة الاتحاد الإمارات العدد (٩٠٠٣) ٢٠٠٠/٢/٢٨م صـ٧.

(٢) علي محمود العائدي /الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة صـ١٧ (مرجع سابق)وانظر الصادق رابح وسائل الإعلام والعولمة من المستقبل العربي العدد (٢٤٣) - ١٩٩٩/٥م صـ٢٤، وانظر: شفيق محمود عبد اللطيف، وكالات الأنباء، رؤية جديدة، دار المعرفة، سلسلة (كتابك)، (١٠١)، ص١ - ٢٧، وانظر: د. عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (٧٨) يونيو ١٩٨٤م، ص ٤٣، كما= =يمكن الرجوع إلى د. فاروق أبو زيد انهيار النظام الإعلامي الدولي، ط بدون ذكر دار النشر، ص٥٥.

(٣) د فهد بن عبد الرحمن المليكي: هيمنة وكالات الأنباء الدولية على الخبر الدولي في العالم الثالث انظر المجلة المصرية لبحوث الإعلام الصادرة عن كلية الإعلام جامعة القاهرة العدد الخامس يناير /إبريل ١٩٩٩م ص ٢٣٧.

ويحقق أهدافها، ويخدم ثقافتها، وتبقى دول العالم الثالث مستوردة لكل خبر، كما تستورد الثقافة العالمية في ظل هذا الاحتكار[١]، فعند نقل أي خبر، لا يتم نقله من قبل وكالات أنباء دول العالم الثالث بصفة مستقلة، ولكنه لا ينقل إلينا إلا بعد أن تلوكه وكالات الأنباء العالمية قاطبة، ومن هنا فإن الخبر ينتشر ويظهر حسب صياغة الوكالات المهيمنة، حتى ولو كان ضد شعوب دول العالم الثالث، ومنه العالم الإسلامي، مما يعكس وبصورة فاضحة التبعية الواضحة من جانب هذه الدول لتلك الوكالات، والتي قد تتسبب في زعزعة أمن واستقرار هذه الدول الأمر الذي يؤدي إلى الإضرار بمصالحها الحيوية[٢].

ولسنا في هذا المبحث بصدد دراسة تفصيلية لوكالات الأنباء العالمية بقدر ما يهدف البحث إلى توضيح مدى سيطرة هذه الوكالات على الأنباء العالمية والمختلفة (ما بين خبر وحدث وحديث).

والمتتبع لما يجري على المستوى العالمي يجد أن وكالات أنباء العالم الإسلامي والعالم الثالث معتمدة كل الاعتماد على ما يبث جملة وتفصيلاً، عن وكالات الأنباء العالمية المذكورة آنفاً [٣].

إن ضخامة حجم هذه الوكالات وقوة وسائل التقنية الحديثة التي تستخدمها وتستعين بها في جميع الأنباء وتوزيعها بلغات عديدة في أنحاء العالم يعكس مدى سيطرتها وهيمنتها على هذه الأنباء، خاصة وهي تعمل على مدى أربع وعشرين ساعة، إلى

---

(١) د عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم سلسلة عالم المعرفة الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد (٧٨) يونيو ١٩٨٤م ص٤٣، ٧٢.

(٢) فهد المليكي هيمنة وكالات الأنباء ص ٢٣٩ مرجع سابق.

(٣) ومن الأمثلة اتي تثبت ذلك:

١- ما تناقلته وكالات الأنباء نقلاً عن وكالة (أسو شيتد برس) حول حدوث توتر بين حدود السعودية واليمن، وعن توغل قوات سعودية في الأراضي اليمنية حتى كذبته بعد ذلك وزارة الخارجية في ١٢/١٢ ١٩٩٥م عن المليكي هيمنة وكالات الأنباء ص ٢٣٩، وانظر جريدة الشرق الأوسط العدد(٦٢٢٤) ١٩٩٥م ص.١

٢- حادث الانفجار الذي وقع في مدينة أوكلاهوما في الولايات المتحدة الأمريكية نسبت وكالات الأنباء الغربية هذا الحدث إلى العرب والمسلمين، حتى ظهر بُعد التحقيق أن المدبرين للحادث من الأمريكيين أنفسهم، حتى نفت هذا الاتهام جانيت رينور وزيرة العدل الأمريكية، فقالت: " إنه ليس لأية جهة شرق أوسطية علاقة بحادث أوكلاهوما " المرجع السابق ص ٢٤١، وجريدة الشرق الأوسط العدد (٦١٠٧)١٩٩٥م ص١ - ٤. وهذان فقط مثالان يوضحان مدى تبعية وكالات العالم النامي، ومنه العالم الإسلامي للوكالات العالمية، وعدم التثبت مما تسمع، وتنقله بعلاته مهما كانت النتيجة.

جانب فروعها الموزعة في شتى نواحي العالم[1].

وعلى سبيل المثال، فإن وكالة الـ «اسوشتيدبرس» لها أكثر من (١٥ ألف) مشترك في (١١٥) دولة ويعمل بها نحو خمسة آلاف مشترك في (١١٠) مكتب في الولايات المتحدة وثمانين مكتباً في الخارج[2].

أما وكالة (اليونتيد برس) فلها أكثر من عشرة آلاف مشترك في (١١٢) دولة ولها تسعون مكتباً في الولايات المتحدة وسبعون مكتباً في الخارج ويعمل بها نحو أربعة آلاف موظف[3].

ويضيف الدكتور فاروق: ومن هنا فإن التطور الهائل والمستمر لتقنية الاتصالات، يسهم بفعالية واقتدار في تدعيم السيطرة الدولية لوكالات الأنباء إذ شهدت السنوات الأخيرة تطورات فنية مذهلة، في أساليب جمع وتحرير وإرسال الأنباء بكم كبير يتزايد بسرعة فائقة بالاستعانة بأشعة (الكاشود) للكتابة والتصحيح والتحرير والإرسال الآلي، وكذلك استخدام أجهزة الكمبيوتر لتخزين الأنباء والبيانات الاقتصادية والمالية وغيرها[4].

لقد أدت سيطرة أو هيمنة وكالات الأنباء الدولية الخمس الكبرى إلى الاختلال وعدم التوازن في تداول الأخبار العالمية كما تسببت في إمعان الاستمراء في التبعية، كما أدى ذلك إلى تحريف الأنباء بما يتلاءم مع مصالحها وتحوير الأكاذيب والأوهام إلى حقائق ثابتة[5].

وإنه من المؤسف الإشارة إلى تبعية وكالات الأنباء المحلية لهذه الوكالات، فيما

١- د عواطف عبد الرحمن قضايا التبعية الإعلامية ص ٨١ مرجع سابق، ود. فاروق أبو زيد النظام العالمي ص٥٢ مرجع سابق.

٢- وهكذا بقية الوكالات في ضخامة حجمها وتوسعها في نقل الأخبار على مستوى العالم، انظر في ذلك: د. فاروق أبو زيد: انهيار النظام العالمي الدولي، ص ٥٦، ٥٧، المرجع السابق.

٣- وهكذا بقية الوكالات في ضخامة حجمها وتوسعها في نقل الأخبار على مستوى العالم، انظر في ذلك: د. فاروق أبو زيد: انهيار النظام العالمي الدولي، ص ٥٦ المرجع السابق.

(٤) وهكذا بقية الوكالات في ضخامة حجمها وتوسعها في نقل الأخبار على مستوى العالم، انظر في ذلك: د. فاروق أبو زيد: انهيار النظام العالمي الدولي، ص ٥٧، المرجع السابق.

(٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تغطيه من أحداث وأخبار، حتى تكون نسخاً مكررة للوكالات العالمية، ولو كان ذلك اضطرارياً، نظراً لعدم توافر شبكة مراسلين خاصة بها، أو ندرة الإمكانيات، إلا أن ذلك يعكس وصمة التلهف للغير والاستتباع الحضاري.

* * * * *

obeikandl.com